موسوليني
في ايامه الاخيرة

ترجمة
محمد منصور المريمي



الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

موسوليني

في ايامه الاخيرة

موسوليني في أيامه الأخيرة

La condanna di Mussolini
Gian Franco Vene

ترجمة

محمد منصور المريمى

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان



الطبعة الاولى
1399و.ر ـ 1990م

الكمية المطبوعة

3000 نسخة

رقم الايداع

874 ـ 90
دار الكتب الوطنية بنغازي

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراتة ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

ص.ب 17459 مُبرق (تلكس) 30098 "مطبوعات"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً.

صدق الله العظيم:

نبذة عن المؤلف:

اسم المؤلف هو: جان افرانكو فيني إيطالي الجنسية ولد عام 1935. صدرت له عدة مؤلفات تاريخية.

عمل صحفياً ناجحاً يهتم بادق التفاصيل وقد الف هذا الكتاب من مصادر الارشيف الرسمي الخاص بالحرب العالمية الثانية في ميلانو ثم قررت السلطات الإيطالية مصادرته لما يحتويه من احداث دقيقة وخاصة.

وبعد أن رفع المؤلف دعوى قضائية ضد المصادر حكمت محكمة ميلانو بالافراج عن الكتاب للتداول تحت رقم الحكم 424 بتاريخ 1972/11/3.

القاضي المسئول:

دينو فابري

«اهداء»

إلى روح شيخ الشهداء المجاهد الكبير المرحوم عمر المختار الذي اعدمه موسوليني وغرسياني ظلما وعدوانا ولم يستسلم لهم إلى آخر رمق في حياته العطرة الطاهرة.

إلى العقيد معمر امحمد أبو منيار القذافي قائد ثورة الفاتح المظفرة الذي توج كفاح الاباء والاجداد واكمل مسيرة عمر المختار الثورية بطرد رواسب الفاشيست من فوق هذه الأرض الطيبة المعطاة التي طالما عاث فيها الفاشيون فسادا وسفك للدماء..

إلى كل ضابط حر هب ليلة الفاتح العظيم مع معمر القذافي لقشع الضباب والغموض وهدم آخر معقل للمستعمرين فوق هذه الأرض وإلى كل مدني تحدى العرش حتى سقط العرش..

إلى كل المجاهدين والمجاهدات الذين تصدوا للغزو الفاشيستي أكثر من ربع قرن ولم تغرهم المادة ولا أجاه ولم يتقاعسوا عن الجهاد وخوض المعارك اليومية ضد الفاشية وجنود موسوليني في سبيل الله والوطن العزيز حتى منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا...

إلى كل أسرة ليبية تجرعت كأس الاستعمار الإيطالي المرير ونال من حقها الظلم الفاشيستي البغيض.

إلى كل شهيد وشهيدة ومناضل ومناضلة ضد الوحشية الفاشيستية وجبروتها الأسود الكريه.

إلى كل معتقل ومعتقلة وكل من وافاه الأجل في المعتقلات الرهيبية أو مازال على قيد الحياة.

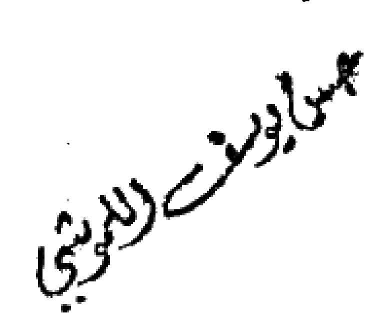
إلى كل صغير يتمه الفاشيون وجعلوه يعاني الجوع والتشرد.

إلى كل ضحايا الألغام الإيطالية المزروعة في أرضنا التي رواها الآباء والأجداد بدماءهم الزكية أهدي إليكم جميعاً هذه «المترجمة» إذ لعلكم تجدون فيها العزاء عما لحق بكم من قهر على أيدي الحزب الفاشيستي وزعيمه موسوليني وقائد جيشه غرسياني الذي مات في السجن بعد أن أصيب بالجنون.

إن هذه الرواية الإيطالية التي تتألف من خمسة عشر فصلاً تتناول حياة موسوليني الخاصة والعامة في أواخر الحرب العالمية الثانية وكيف تدهورت صحته وسلطة الفاشية الغاشمة وكيف شكلت الأحزاب الإيطالية جبهة المقاومة الوطنية للقضاء على الدكتاتور الطاغية موسوليني وحزبه الإرهابي البغيض.

وكيف أصبح موسوليني ضعيفاً حقيراً يعامله الألمان مثلما كان هو يعامل الليبيون وكيف كان موسوليني يمارس الانحراف الخلقي والفجور وكيف قبض عليه وتم اعدامه رميا بالرصاص وسقط الظلم مع سقوط جيفته التي مزقها الرصاص بعد التسلط والطغيان وقهر الشعوب...

«المترجم / محمد منصور المريمي»



مقدمة

هذا الكتاب الإيطالي بعنوان: ادانة موسوليني: ولكنني اخترت له عنوان: موسوليني في أيامه الأخيرة: من واقع تفاصيل القصة نفسها وبدون تصرف مني. وليس الغرض من ترجمة هذا الكتاب هو حب الاستطلاع على حياة رجل مهووس استطاع في غفلة من الزمن أن يصل إلى السلطة في إيطاليا.

وإنما كان الغرض من هذه الترجمة هو تسليط الاضواء على حياة هذا المخلوق المستبد وعلاقته بالعذاب والخسائر البشرية والمادية التي أصابت الليبيين نتيجة لسلوكه الشرير الذي كان شعبنا أول ضحاياه.

وكذلك لتعرف اجيالنا الحاضرة والمستقبلية بأن جيل آباءهم وأجدادهم كان يعاني من حكم فاشيستي إرهابي غاشم يتزعمه رجل مجنون هو بنيتو موسوليني موضوع الترجمة. ولا شك في أن كل من يتابع هذه الترجمة عن حياة هذا الرجل المجنون وسلوكه المتطرف لسوف يستغرب كيف أن الشعب الليبي لم ينقرض من الوجود نتيجة لتصرفات هذا المجنون وحزبه الأسود الذي دام احتلاله لليبيا أكثر من ثلاثين سنة.

هذا الطاغية (بنيتو موسوليني) الذي حاول ابادة الشعب الليبي نهائيا بحشره في معتقلات جماعية ومعاملات وحشية هذا الطاغية ظهر في

أيامه الأخيرة على حقيقته الممسوخة الحقيرة فـإذا به جبـان تافـه في حكمه وتفكيره تافه في ثقافته خائن لوطنه وزوجته جعله انفصام شخصيته يتآمـر أحيانًا مع النازية ضد شعبه ويتآمر مع الحلفـاء ضد الألمـان ولكنه هـا قد تحطم حزبه وعمره دفعة واحدة فكان مصيره كأي كلب مسعور يموت وهو يعوي حيث طلب موسوليني الرحمة والانقاذ من مصيره الذي يشبه قميصه الأسود حتى من الفاتيكان ولكنه لم يجد هذا الدكتاتـور المجنون من يـرحمه وينقذه من العقاب الرادع على أيدي شعبه الـذي تجرع هـو الآخر مـرارة حكم الفاشيست . .

ولنـترك الآن القصة بـالتفصيل يـرويهـا لنـا المؤلف/جـان افـرانكـو فينيي . . .

«شخصيات هذه الصراعات السياسية الدموية»

هم:

بنيتو موسوليني ـ رئيس الدولة الإيطالية وزعيم الحزب الفاشيستي.

راكيلي جويدي ـ زوجة موسوليني وأم أولاده.

اكلاريتا بيتاتشي ـ عشيقته المحرمة.

غاليدزوا تشانو ـ زوج ابنة موسوليني «ايدا».

اليساندرو بافوليني ـ مدير حزب الفاشيست.

جويدو بوفاريني ـ وزير الداخلية.

كارل وولف ـ ضابط في المخابرات الألمانية الجستابو.

فرنز اسبويجلر ـ ضابط في المخابرات الألمانية الجستابو والمكلف بحماية موسوليني.

ألين دالس ـ رئيس مكتب المخابرات المركزية الأمريكية بسويسرا

كارلو سيلفيستري ـ عميل موسوليني ووسيطه مع الأحزاب.

العقيد/ فاليريو اوديسيو ـ عدو موسوليني وقاتله.

الجنرال/رفائيلي كادورنا ـ قائد القوات البرية الإيطالية التي انضمت إلى صفوف المقاومة ضد الفاشية والنازية.

القسيس راكيلي مارادزا ـ اسقف ميلانو ووسيط موسوليني.

فيروتشو باري ـ مدير عام حركة المقاومة المدنية ضد الفاشيست

والمتحدث الرسمي باسم الجبهة مع الحلفاء.

لـويدجي لـونغو- أمـين الحزب الشيـوعي الإيطالي والمحـرض على القتل ضد الفاشيست والألمان.

سـاندرو بـيرتيني - رئيس الحزب الإشـتراكي الإيطالي ورئيس لجنـة التحرير الإيطالية ثم أخيراً رئيساً للجمهورية الإيطالية.

ليؤفالياني - رئيس حزب العمال الإيطالي وعضو في لجنة التحرير.

ريكـاردو لومبـاردي - مؤسس حزب العـمال وعضو لجنـة التحـريـر الإيطالية.

بدأوا يموتون

المكان / ميلانو / ميدان لوريتو / إيطاليا.
الزمان / 14 / أغسطس / 1944.

كان الوقت مساءاً تقريباً والسماء بيضاء والهواء حاراً وخانقاً وكانت رائحة الدم تفوح من خلال تلك الخرق والأحذية المتناثرة لاولئك الخمسة عشر رجلاً من الإيطاليين الذين تم اعدامهم رميا بالرصاص في الهزيع الأخير من تلك الليلة الرهيبة الدامية وقد ظلوا في مكانهم بميدان (لوريتو) طوال ذلك اليوم كله حيث بدأ الناس يتجمعون من حولهم منذ باكورة النهار لمشاهدة ذلك الوضع البشع الفظيع.

كان أحد الفاشيين بقميصه الأسود وقبعته التي تحيط بها الخيوط الفضية فوق جمجمته واقفاً وبيده علبة معبأة باللحم المجفف نخر فيها بسبابته كأنه لم يثر ذلك المنظر الرهيب في نفسه التافهة الاشمئزاز ولا حتى مجرد التأسف. وكانت هناك في وسط تلك الكومة من الكتل البشرية المضرجة في دماءها يافطة مثبتة كتبت عليها العبارات التالية:
«هؤلاء من الفرق الحزبية العاملة والمناهضة للألمان».

ومن بين ذلك الحشد الغفير من الناس انحنى أحد العسكريين على جثمان أحد الموتى بعد أن لاحظ في جيب جاكته قطعة من الورق المقوى فالتقطها فإذا بها صورة شمسية لطفل رضيع كتبت عليها من الخلف هذه العبارة «يا آخر تفكيري إليك حبي ويحيا الوطن» فعادها الجندي إلى

جيب القتيل الذي كان اسمه (امبيرتو فوغانيولي) العمر 32 سنة.

ترى لمن يوجه السؤال عن سبب هذه الإبادة الجماعية؟.

وما هي الجناية التي ارتكبوها حتى يلاقوا هذا المصير الممقوت؟ إنهم ليسو ألمان بدون شك ولكن أين أهلهم يا ترى؟ وماذا سيكون مصير ذلك الطفل الرضيع صاحب الصورة؟ ثم لماذا بقيت هذه الجثث طيلة الأربع والعشرين ساعة هنا؟ إنها اسئلة تبحث عن إجابة ولكن من يجيب؟.

ولقد أجاب أحد الحاضرين ممن يملكون الشجاعة فقال:

لقد تم إعدامهم على أيدي الجنود الألمان فجر هذا اليوم وذلك بأمر من الحاكم العسكري الألماني الذي قرر ابقاء هذه الجثث على ما هي عليه حتى يعم الرعب والفزع ميلانو كلها (انتهى الحديث).

أما فرقة الإعدام الألمانية التي نفذت تلك المذبحة الإرهابية ما زالت منتشرة في ميدان لوريتو ومستعدة لارتكاب أية مذبحة أخرى ضد الإيطاليين.

وماذا يهمهم طالما أن الضحايا هم من الشباب الإيطالي المناضل ضد الفاشية والنازية على حد سواء. ولقد لبثت تلك الجثث في ساحة إعدامها كما قرر الحاكم الألماني حتى الساعة الثامنة مساءاً ذلك اليوم الكئيب والناس تحتشد وتتفرق دون أن يحرك أحدهم ساكنا..

كان هناك رجل يرتدي بدلة رمادية معكرشة وقبعة عريضة مسدلة على جبينه يتقدم رويدا من شارع (بونس آيرس) يتابع زحام الناس كأنه لا يدري إلى أين هو ذاهب أو بالأصح يسير بدون هدف وقد ألقى مرتين نظرات عابرة وغير مستقرة على تلك الكومة من الجثث التي ما زالت رائحة دماءها تملأ الجو المختنق وكان قد تعمد الرجل وضع قبعته على جبينه حتى لا يشتبه فيه أحد أولئك العسكريين الذين يتفرسون في وجوه الناس تارة ويتفحصون البطاقات الشخصية تارة أخرى، ولكنه بالنسبة

لهذه الحالة الأخيرة فقد أعد لها العدة حيث كان يحمل وثائق مزورة تؤكد بأن اسمه هو (مانيولي دي شيسري) وهو في الحقيقة كان اسمه (ولتر اديسيو فاليريو) ورتبته عقيد في الحزب الشيوعي الإيطالي المناهض للفاشية والنازية.

كان يدور في ذهن فاليريو هذا بل كان يتمنى أن تتوقف جميع قطاعات العمل في جميع انحاء إيطاليا وتخرج في مظاهرات صاخبة غاضبة تسحق كل شيء في ميلانو احتجاجا على تلك المذبحة اللاإنسانية التي نفذتها النازية ولكن أنى له أن يحقق ذلك وسط هذا الجو المشحون بالتربصات الخطيرة وبعد أن أيقن الرجل بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ذهب مسرعاً إلى حيث لا يدري..

لقد كانت المسافة أقل من مائة كيلومتر بين ميلانو ومنطقة (جرنجانو) وفي نفس الساعة من نفس ذلك اليوم المشئوم حيث ما زالت الجثث طريحة في ميدان لوريتو وسحب الكآبة تخنق ميلانو كلها كان «بينيتو موسوليني» طريح الفراش بمنزله في جرنجانو يعاني حرارة النزلة الشعبية فقد بلغ عمره في ذلك اليوم «واحدا وستين» عاما وسبعة عشر يوما تماما.

ولقد كان وزير إعلامه «فيرناندو ميدزا سوما» يحاول الاتصال به هاتفياً منذ الصباح الباكر لذلك اليوم المفجع الطويل لاعطائه التقرير اليومي كعادته.

وبعد أن اتصل الوزير بزعيمه ابلغه بكل هدوء وقص عليه الواقعة كيف أن الألمان قد نفذوا حكم الإعدام في خمسة عشر شابا إيطاليا ممن وقعوا أسرى لديهم صباح هذا اليوم في ميلانو بميدان لوريتو.

وكيف أن الجثث ما زالت باقية في مكان الإعدام تحت أبصار الناس بأمر من الحاكم العسكري الألماني دون علم القيادة الفاشيستية.

وما أن انهى الوزير تقريره الهاتفي المؤلم حتى ألقى موسوليني بساقيه

إلى أسفل السرير وهو في حالة انزعاج يردد كلماته ماذا تقول؟ ومن أصدر الأمر؟ وكيف تم ذلك بدون علمي؟.

وقد أخذت حبيبات العرق تتسرب من خلال شعيرات لحيته التي صارت رمادية اللون وصوته كالطاحونة التي تهرس قشور البندق الأمر الذي ظنت زوجته «راكيلي» وابنه (رومانو) بأنه كان يناديهما فهبا مسرعان نحوه قائلان له نعم نعم ماذا تريد؟.

أما وزير إعلامه فقد خرج من صمته وطفق يحدث زعيمه بكل صراحة وتوضيح قائلاً في تقريره أن الحاكم العسكري الألماني هو الذي أصدر أمر الإعدام والإبقاء على الجثث في مكانها لبث الرعب في نفوس الناس وخاصة أهالي ميلانو مدعيا بأن الحزب الفاشيستي في هذا البلد قد أصابه الوهن والشلل ولم يعد يستطيع قمع الحركات المناوئة للمحور. وأضاف الوزير قائلاً: ولكن الحاكم الألماني انقلب الآن وصار يتصل مباشرة بمتصرف ميلانو «فرانكو كولومبو».

فقال موسوليني لوزيره بنبرة حادة وكولومبو قبل بهذا الأمر؟ ثم صرخ بشدة عبر الهاتف قائلاً: أريد كولومبو حالاً ليعطيني مبررا لهذه الفعلة، ما هذه الفضائح؟ ومنذ متى يصدرون الألمان الأوامر إلى الفاشيست؟ ودون أن أعلم أنا شيئاً؟ والمفوض (باريني) لماذا لم يخبرني هو أيضاً؟ وبعد أن فرغ موسوليني من اسئلته المتقاطعة وعباراته الصارخة أجابه وزيره من الطرف الهاتفي الآخر قائلاً: أنه لم يخطر أحدنا بعملية الإعدام في الوقت المناسب الذي يمكننا فيه أن نفعل شيئاً ونتجنب هذه المذبحة.

وابتلع موسوليني ريقه الجاف وقال لوزيره: سأتكلم أنا مع الحاكم الألماني وسأقوم باحتجاج رسمي بل سأفعل أكثر من هذا، سأعلن صراحة على الملأ إن جمهورية ألمانيا الإشتراكية هي المسئولة عما وقع من حماقة وقسوة ثم وضع موسوليني سماعة الهاتف ولم يلبث أن التقطها ثانية على وجه السرعة طالباً من المحطة تحويله مباشرة على مقر الحاكم الألماني في ميلانو.

وفي تلك اللحظة كانت قد دخلت عليه زوجته راكيلي وابنه رومانو حيث وجدوه واقفاً حافي القدمين بالقرب من مكان الهاتف وبيده منديل كان قد وضعه أسفل أنفه لمنع قطرات ترشيح الزكام ثم صار يزعق ببعض الجمل باللغة الألمانية لم يفهما منها شيئاً سوى كلمة «هتلر».

وما إن أنهى مكالمته حتى ألقى بالسماعة على الهاتف بغضب وهو يقول مجانين هؤلاء الألمان: ثم ألقى بجسمه على السرير واضعاً يده على أحشاءه من شدة الألم وبالكاد أخذ يقص على زوجه وابنه بصعوبة ما وقع في ميدان لوريتو على أيدي الألمان المتهورين ثم طلب منهما أن يتركاه لوحده قائلاً لا أريد شيئاً.

وقد أخذ العبس يكسوا وجهه فاستسلم له فوق الوسادة يسري عن نفسه ببعض التخمينات لرد الفعل الذي يجب أن يقوم به على الفور لاسترداد سمعته وسلطته التي سلبها من الألمان حتى أنه لم يستطع أن يتناول موسوليني عشاءه في تلك الليلة لشدة الألم والحرارة المرتفعة التي صار يعاني منها إنه يتألم جداً لدرجة الإختناق وكان على النهر ضباب كثيف حتى أنه قد حجب الرؤية بعد أن طمس زجاج النوافذ بطبقة جليدية تهبط كالرذاذ.

إنها ليلة قاسية عنيفة بالنسبة لموسوليني الذي لم تراوده الرغبة طوال تلك الليلة حتى في القراءة ولم يعطه المرض فرصة للطعام.

ربما كان المرض صاحب فضل على مثل هذا الدكتاتور الذي ما إنفك يوماً عن العمل ولم ينل قسطاً من الراحة إلا نادراً ها هو الآن ملقياً على الفراش يضع الوسائد فوق معدته ضاغطاً عليها بشدة سواعده من شدة الألم معتقداً بأن هذه الطريقة التي قد تخفف أوجاعه.

وقد بدأ شريط الواقع يستعرض حيثياته أمام عينيه، إنه أمر غير مسلم به، حتما غير مسلم به أن يستمر الألمان في عدم احترامه بهذا الشكل المزري، إنه أمر لا يمس بكرامته وسلطاته فحسب، وإنما سيمتد إلى حياته

أيضاً، هكذا كان الدكتاتور المتهالك يحدث نفسه عبر شريطه الخيالي الطويل.

ولكن ماذا سيرى موسوليني أيضاً في شريط حياته الذي يستعرضه الآن؟.

فهل سيرى أنه لم ينشىء حزب دموي يعيث في الأرض فساداً؟.

هل سيرى أنه لم يمارس القهر والعنف ضد الشعب الإيطالي إلى درجة أن حكم على صهره غاليادزو تشانو بالاعدام رمياً بالرصاص وهو زوج ابنته؟.

وهل سيرى موسوليني إنه لم يرتكب مذبحة 25 يوليو ضد من أسماهم خونة؟ الأمر الذي جعل هتلر في ذلك اليوم المحزن يقول لأكثر من شخصية كلمته المشهورة «لقد صار موسوليني يموت»؟.

ثم هل سيرى موسوليني في شريطه مأساة بئر (ارديتيني) الذي يضم رفاة (300) إيطالي ذبحهم الألمان بدون علمه كما حدث الآن في ميدان لوريتو؟.

وكان من ضمن الذين ذبحو في بئر ارديتيني صديق موسوليني الحميم ورفيق سلاحه وعمره وهو «الدو فينزي» الذي خرج مع موسوليني ليلة الزحف على روما يحمل معه البندقية العادية متحدياً بها حراس القصر المدججين بالرشاشات وكان هدفه تحرير الشعب الإيطالي في ذلك اليوم المشهود المؤرخ في 28/أكتوبر عام/1922م.

إذن كيف يرى موسوليني شريطه؟ وكيف يراه الشعب الإيطالي في شريط الماضي والحاضر ليس في تلك الليلة فقط وإنما في عدة ليالي سابقة منذ عدة سنوات؟.

كيف يرى الشعب الإيطالي موسوليني الآن وقبل الآن سوى سفاح وجلاد وفاسق بل بالنسبة إليه هذا قليل ثم من يكون (فرانكو كولومبو)

المفوض العسكري الذي قال موسوليني لوزير إعلامه لماذا لم يخبرني كولومبو عن مذبحة ميدان لوريتو؟.

إن فرانكو كولومبو هذا هو قائد الفرقة الملقبة بـ «الخرساء» الذي وهب نفسه وفرقته للألمان لينفذ لهم أحكام الإعدام ضد المواطنين الإيطاليين ولكنه بالنسبة لموسوليني ليس سوى قزم إذا ما قارنا بين السفاحين إلا أنه قد يكون هناك فرقاً بسيطاً بينهما وهو إن كولومبو كان قد اعترف بجرمه أمام الصحفيين قائلاً إني لا أستطيع أن أتحدى الألمان وما علي إلا تنفيذ أوامرهم وتنفيذ أوامر من يحكم البلاد..

جلس موسوليني على حافة سريره ومد يده إلى كوب الشاي الذي كان موضوعا على الصفرة الصغيرة بجانبه وأخذ يحتسيه وقد تذكر في تلك اللحظة بأنه كان منذ عشرين سنة خلت يشرب الحليب فقط إلى أن نصحه طبيب هتلر الخاص منذ أشهر قائلاً له: اترك الحليب أيها الزعيم فإنه مضر بصحتك كما نصحه الطبيب نفسه بأن يستعمل نظارات طبية تحفظ له بصره وإلا سيصاب بغشاوة قد تفقده بصره مع مرور الوقت.

ولقد أدخل الطبيب الألماني الرعب في نفس الزعيم بتلك النصائح التي ربما كانت عن قصد بيد أن موسوليني كان قبل أن يلزمه المرض الفراش يعمل في مكتبه ليل نهار وحتى بعد أن يرتدي بيجامة النوم.

وفي ذلك اليوم الذي عمل فيه موسوليني كثيراً حينما دلف باكراً إلى مكتبه كان أول شيء صادفه على طاولته هي مسودة تلك الرسالة المؤرخة في 15/أغسطس (بعد ميدان لوريتو) وهي موجهة إلى رئيس المخابرات الألمانية (س س) الهر هملر. وكان مدير مكتب موسوليني هو الذي كتب صيغة الرسالة التقط موسوليني مسودة الرسالة وقرأها تكراراً وهو يفكر بأن هذه الصيغة قد تجلب له المتاعب مع الألمان ولقد كانت المشكلة هي إن الهر (هملر) رئيس الجستابو الألماني قد طلب من موسوليني الموافقة على إنشاء كتيبة للجستابو في إيطاليا بدلا من المخابرات الإيطالية بطبيعة الحال وكان موسوليني قد رد عليه قائلاً (هذا لا يمكن) والحقيقة التي يجب أن

نذكرها هنا هي أن هملر كان يريد عزل فرق المخابرات الإيطالية السرية خاصة تلك الفرق التي كانت قد تلقت تدريباتها في ألمانيا نفسها.

كان هملر يريد عزل هذه الفرق لتحل محلها فرق ألمانية من الجستابو حتى لا تعرف القيادة الإيطالية أي شيء عن تصرفات النازية داخل إيطاليا.

تناول موسوليني ورقة وقلم بعد أن شعر بالتحسن الصحي في اليوم التالي لمذبحة ميدان لوريتو ليكتب رسالة احتجاج على ما ارتكبه الألمان في ميلانو ولكنه توقف ملياً وبصره مركزاً على الورقة البيضاء أمامه تنتابه الحيرة والقلق بين صيغة الاحتجاج الشديد وصيغة العبارات الناعمة أخف لهجة فالذين ماتو لن يعودوا أحياء وكل شيء قد انتهى الآن فلماذا إذن لم يتخذ موسوليني موقفا أقل تشدداً هذا ما قد جاش في خاطره وهو ممسكا بالقلم يحملق في الورقة البيضاء أمامه.

ثم قرر أن يكتب إلى أعلى المستويات إلى الهر «جوبلز» وهو الرجل المقرب جداً إلى (هتلر) فلينقر على الباب ولينتظر.. وهذا نص الرسالة:

الهر جوبلز: أنتم من الألمان القلائل الذين تعلمون أدبياً بأن هناك أموراً كثيرة من الأفضل أن أكون على علم بها قبل تنفيذها ولا سيما فأنتم تعرفون الأخلاق الإيطالية.

فعليه أرجوكم كل الرجاء أن تكون رعايتكم شاملة لإيطاليا وأود أن أقول لكم بكل لطف إن لديكم في إيطاليا ألآف المكاتب وملايين الألمان كان في الإمكان الاستفادة منهم في أعمال أخرى أفضل وأجدى بدلا من تواجدهم هنا وأقول لكم بصدق إن في ميلانو وحدها عدد «73» مكتباً ألمانياً الأمر الذي أراه يشكل حكومة داخل حكومة وهذه المكاتب خاصة بالعسكريين فقط، وعلاوة على ذلك فإن في إيطاليا مكاتب ألمانية أخرى تمثل الإقتصاد والثقافة والشرطة وغير ذلك وهي أيضاً إدارات حكومية

داخل إدارة حكومية وبالتالي فإن مثل هذا التواجد يفرق ولا يوحد وهو أيضاً ثقلاً على إدارة الحكومة الإيطالية.

أما الصناعة في إيطاليا فقد دمرها قصف الطائرات المعادية حيث توقفت زراعتنا نتيجة لتعطيل الماكينة وحتى غياب الأسمدة ونشكو كذلك من نقص الوقود واللحوم وأيضاً وسائل النقل.

وهنا حينما يتحدث موسوليني عن نقص وسائل النقل بالذات فلا بد لنا وأن نتوقف قليلاً لنتذكر أنه منذ أشهر فقط كان قد ورد في أحد تقاريره عندما كان قادراً على الفهم بأن إنتاج الغلال في ذلك الموسم كان خصباً وهائلاً جداً.

ولكن.. ما فائدة هذا الإنتاج والمحافظات الإيطالية كلها قد مزقتها الحرب الأهلية الناتجة عن المذابح الجماعية التي إرتكبها الألمان والفاشيست ضد كل الأهالي على حد سواء.

وإنما بالرغم من هذه المذابح والحرب الأهلية التي نشبت بين الأهالي من ناحية والألمان والفاشيست من ناحية أخرى إلا أنه لو وجد الأهالي وسائل نقل لمحاصيلهم الزراعية حتى ولو كانت عربات تجرها الخيول لما تفشت المجاعة على هذا النحو.

إذن كان يعلم موسوليني منذ أشهر بأن غياب وسائل النقل كان قد شل حركة البلاد كلها ليس في التنقل بين الحقل والعودة منه وإنما في الأهم وهو نقل المحاصيل الزراعية التي تركت قهراً تذروها الرياح بدلا من أن يقتات منها الشعب الجائع في جميع المناطق الإيطالية.

ولكن حتى الحيوانات القادرة على العمل فقد اختطفها الألمان ولم يترك منها شيئاً وحتى مصنع (الفيات) الذي كان ينتج شهرياً قبل أن يتوقف عدد «500» عربة نقل كبيرة (ولكن أين هي؟) فقد إستولى عليها الألمان أيضاً ولم يترك منها شيئاً.

ولقد بلغت المسكنة بموسوليني والإذلال إلى درجة أن طلب من الألمان

أن يعطوه ثلاث عربات نقل فقط من إنتاج الفيات لاستخدامها في تنقلات مخابراته عند قيامهم بتوزيع المؤن على الأهالي الجياع ولكن الألمان رفضوا هذا! أيضاً وليس هذا وحسب بل استولى الألمان حتى على العربات القديمة فاغتصبوها من أصحابها جورا ولقد كان من الطبيعي والمنطقي أن يتمرد المواطن وأنه لمن البديهي أن يحدث التمرد حيال هذه الظروف القاسية.

ومع هذا كله يتجرأ موسوليني ويقول للناس بإمكانكم أن تنسوا ما وقع في ميدان لوريتو فها أنا قد كتبت مذكرة احتجاج إلى صديقي «جوبلز» وإن كان قد كتب لصديقه جوبلز فماذا عساه أن يفعل جوبلز؟ لقد كان موسوليني منذ ساعات فقط على مرور مذبحة خمسة عشر رجلاً في ميدان لوريتو يريد أن يفعل الكثير والكثير ولكنه لم يفعل شيئاً سوى مذكرة إلى جوبلز والتي أضاف فيها قائلاً على ما تقدم ذكره: إن حكومتي يا عزيزي جوبلز قادرة على مراقبة جميع المحافظات الإيطالية لذلك فإنه لا مبرراً لتواجد مثل هذه المكاتب المشار إليها خاصة في هذه الأوقات العصيبة التي نمر بها جميعاً.

ولكي نكسب الوقت والرأي العام يجب التقليل من هذه المكاتب المتعددة حتى نستطيع التقليل من عدد المشاكل التي تباغتنا كل يوم..
المخلص: موسوليني.

ظل موسوليني قابع في غرفته تحت غيبوبة من الوجوم المطبق حتى بعد إتمام كتابة رسالته هذه إلى صديقه جوبلز وما زال الضباب فوق البيت كثيفاً تكسو طبقاته الجليدية زجاج النوافذ المطلة على النهر الممتد الذي غاب تحت موجات الرذاذ.

وفجأة انطلقت صفارات الإنذار الحربية معلنة بأصواتها الرهيبة المزعجة قدوم الطائرات المعادية لشن غاراتها الجوية الجهنمية على المنطقة حيث طرق إلى سمع موسوليني أصوات الضوضاء في بيته كله بعد أن صار

الجميع يهرع عبر السلالم في تسابق إلى الخندق أما زوجته راكيلي فقد تمهلت قليلاً ثم دخلت على زوجها غرفته تطلب منه أن يذهب هو أيضاً إلى المخبأ ولكنه رفض كعادته دائماً وألقى بنفسه على السرير.

«الرسالة المخيفة»

24 اكتوبر 1944م.

كان يوم الرابع عشر من أغسطس 1944م هو يوم الفاجعة في ميدان لوريتو «بميلانو» وبالرغم من أنه كان يوم فاجعة حقاً إلا أنه كان أقل رسوخاً في ذاكرة موسوليني.

أما الحاكم العسكري الألماني الذي كان يرأس تلك الفيالق الألمانية الغاشمة فقد نفذ جريمته الشرسة وصار حذراً من الجميع.

والمتصرف «باريني» في ميلانو كان قد قدم استقالته احتجاجاً على تلك الجريمة البشعة التي ارتكبها النازيون.

وجوبلز لم يرد بسرعة على رسالة صديقه موسوليني.

والآن فقد اقترب يوم 28/ اكتوبر وهو موعد الإحتفال بالذكرى السنوية للزحف على روما الذي أمسك فيه موسوليني بزمام الحكم ومقاليد الأمور.

أما السفير الألماني لدى الجمهورية الإشتراكية الإيطالية الجديدة والذي كان اسمه «راهن» فقد أعد خطاباً بهذه المناسبة قال إنه سوف ينشط من عزيمة هذا الزعيم العجوز موسوليني قبل أن يصيبه الوهن.

كان موسوليني جالساً في مكتبه واضعاً ذراعيه في وضع متقاطع مطأطئاً برأسه حتى كاد أنفه أن يلمس صدره حينما دخل عليه السفير الألماني

«راهن» ليتحدث معه حول الخطاب.

وقد إستهل السفير حديثه بقوله:

والآن يا سيادة الزعيم اسمح لي أن أقول لك أنه لا يوجد شيء اسمه الحكومة الإيطالية وإذا كان يوجد شيء من هذا القبيل فالرجل الذي يمثله هو أنت أيها الزعيم، فأنت الإيطالي الوحيد الحي المتحرك الذي تستطيع أن تفعل الكثير من أجل مواطنيك.

ومن أجل الشعار الفاشي والكلمة.

وحينما أقول إنك تستطيع أن تفعل الكثير فإنني أعني حتى استقلال الجمهورية الإيطالية الإشتراكية التي أسستها أنت حديثاً إذ أننا قد لا نستطيع أن نتعاون معك في جميع المجالات إلا إذا تأكدنا بأن الشعب الإيطالي ما زال معك كما كان.

وفي إمكانك أن تقوم بعمل تجريبي تمتحن فيه شعبك ونواياه حيث إننا نريد منك أن تخاطب الجمهور الإيطالي عبر الأثير وتظهر له مقدرتك على إدارة السلطة حتى تزول الشكوك حول السلوك الألماني وحتى يفهم الجميع بأن إيطاليا ليست منفصلة عن ألمانيا.

فقال موسوليني:

وماذا تريدوني أن أفعل؟.

فقال السفير:

في خلال الأيام القليلة المقبلة سيأتي موعد الذكرى السنوية للزحف على روما. ولا أعتقد بأن الشعب الإيطالي قد نسي ذلك.

إذن فالمطلوب منك أن تذهب أنت بنفسك إلى ميلانو وتقيم احتفالاً كبيراً هناك بهذه المناسبة وتلقي فيه خطاباً بالخصوص.

وها هو الخطاب فقد أعددناه لك إعداداً رائعاً.

وما إن أتم السفير كلماته حتى قفز موسوليني واقفاً يضرب على صدره بقبضته قائلاً للسفير الذي أدهشته سرعة القفزة:

أنا أذهب إلى ميلانو؟ لا لا يا راهن. إنني أعتذر عن هذا ولا أظنك تتكلم الجد.

أنا أذهب إلى ميلانو يا راهن؟.

وبعد أن جلس أضاف يقول في حركة لها مغزاها:

اسمع يا راهن إن المشكلة هي أنني ليس لدي ما أقوله للشعب الإيطالي في ميلانو:

وسرعان ما استوعب السفير الألماني ما كان يقصده موسوليني.

فبالأمس القريب كان الألمان قد فعلوا فعلاً في ميلانو يجعل ذهاب موسوليني إليها أمراً مستحيلاً بيد أن السفير قد تظاهر بالجلد والصبر الألماني وكأنه لا يريد أن يشعر موسوليني بإستدراكه للواقعة ولكن موسوليني هو أيضاً شعر بهذا التظاهر الذي يخفي وراءه سر الشعور فصار مرتاحاً نفسياً بعد إن تأكد بأن الطعنة السرية التي إخترقت الصبر الألماني قد أصابت مقتلاً.

ولكن من الوجه الآخر فإنه أمر طبيعي أن تشكل ميلانو مصدر خوف لموسوليني، ليس فقط من أجل الخمسة عشر شاباً الذين ذبحهم الألمان في ميدان لوريتو، وإنما لأن ميلانو كانت هي البلد التي تحملت مع موسوليني كافة مغامراته حتى وصل إلى الحكم، وقد نساها منذ سنوات، وما العودة إليها الآن إلا كمن يريد أن يحفر قبره بنفسه.

كانت راكيلي زوجة موسوليني داخل المطبخ في منزلها حينما وصلت إليها حقيبة البريد اليومية حيث باشرت فتح الرسائل كعادتها، وكان النهر الفسيح بأطرافه المترامية يتراقص تحت وابل الأمطار المنهمرة في غزارة جليدية ضارية، حينما عثرت راكيلي على رسالة صفراء بين الرسائل الكثيرة معنونة باسمها بخط يدوي مرسلة من ميلانو.

فأخذت تفتحها في نهم حتى إنها قد مزقت الظرف والطابع البريدي معاً فإذا بها رسالة رسمت فيها صورة هزلية لزوجها. وقد اعتقدت راكيلي بأنها كأي رسالة من آلاف الرسائل التي تصلها يومياً مشحونة بالشتائم

لزوجها إلا أن هذه الرسالة كانت تختلف عن سابقاتها.

حيث كانت تحتوي في الصفحة الباطنية على عدة نماذج لصور ملونة بألوان متميزة عن بعضها البعض وكل لون يقصد به شخصية معينة كتب اسمها تحت الصورة، فالأول كان موسوليني والثانية كانت لكلارا بيتاتشي عشيقته والثالثة لها «راكيلي» ثم الأطفال وهكذا.. وحتى جميع وزراء الحكومة.

وقد كتبت أسفل الرسومات هذه العبارات:

«سنأخذكم جميعاً إلى ميدان لوريتو» عما قريب..

ألقت راكيلي أكثر من نظرة على تلك الرسالة الموحشة، ثم طوتها ودستها في جيب جلباب المطبخ الذي كانت ترتديه وكأنه شيئاً لم يحدث. إلا أن تلك العبارات التي تذكرها بميدان «لوريتو» ظلت تطن في مخيلتها طوال الوقت الذي كانت تعد فيه طعام الغداء.

ولقد أخذت أفكار «الفلاحة البسيطة» تتصارع في كيانها، فهي ليست مفاجئة لها مثل هذه الرسالة التي تهدد زوجها بالموت يومياً.

ولكن الشيء الذي ما زال يحيرها ويقلق راحتها هو أن معظم رسائل التهديد التي وصلتها كانت تذكر كلها أن ضحايا زوجها وصل عددهم إلى المليون ضحية، فقد كانت تقول في نفسها هل هذا صحيح؟ وقد كانت تصدق أحياناً، وترفض أن تصدق أحياناً أخرى مثل هذه الاتهامات.

لقد كانت تقول في قرارة نفسها أن زوجها ليس لصاً حتى أنه قد يفعل ذلك. ولكن من يدري فهل المحيطين به كلهم صادقون أوفياء؟ فربما كانوا هم الذين يرتكبون هذه الجرائم باسمه؟ فهي تعرف زوجها جيداً، فقد يكون صلباً في بعض المواقف، ولكن هناك لحظات ضعف تنتابه أمواجها في بعض الأوقات تجعله يرضخ لمن حوله رضوخاً تاماً ويتورط دون أن يدري.

ولقد ذكرت راكيلي إنه منذ أسابيع قليلة ماضية كانت لديها «عصفورة» فرت من قفصها ودخلت غرفة زوجها وقد تشبثت بالسقف إلى أن لاحظت

نافذة الغرفة مفتوحة للتهوية ففرت العصفورة عبر النافذة ولم تعد.

وكان موسوليني لحظتها جالساً يرتدي حذاءه الطويل حيث قال لزوجته التي ما زالت واقفة شاردة الخاطر وراء هروب العصفورة ولم تنتبه إلا على صوت زوجها حين قال لها فجأة: بماذا تفكرين فهل تخشين بأني سأفر منك يوماً حتى أنا مثل هذه العصفورة؟.

ولكن راكيلي لم تخيفها تلك الهزة المفاجئة إذ لعلها قد عرفت ما كان يقصده الدكتاتور الغاشم فهي وإن كانت لا تعرف عن الأمور السياسية وأعراضها أي شيء. وإنما على الأقل فهي تعرف هذا الرجل المستبد الذي كان يعاملها دائماً معاملة قاسية كما كان يعامل ابناءه بنفس الأساليب إلا نادراً من اللطف والحنان.

هذا الرجل الذي ظل طوال حياته السياسية والإجتماعية منغمساً تحت دوامة من الغش والخداع في مواقع قد تكون كل الحقيقة فيها مزورة ومنقلبة رأساً على عقب.

ولقد كانت راكيلي تعرف هذا الضعف الذي يلازم زوجها مثلاً وتعرف أيضاً حتى عدم اكتراثه بما يجري في بلاده في أواخر سنوات الحرب التي لا زالت نيرانها تأتي على اليابس والأخضر في إيطاليا.

أما الشيء الذي كان يهتم به موسوليني منذ يوم 25/يوليو/1943 هو الكتابة الصحفية، فقد كان يكتب المقالات التي تنم بشكل ظاهر على أنه يعاني عذاباً داخلياً ساحقاً لفؤاده.

وتقول راكيلي إنه كان يقرأ الكتب البسيطة وكأنه قد عاد طفلاً صغيراً، وكان دائماً يلجأ إلى العزلة عن أسرته مدعياً بأنه قد مل الضجيج ويريد أن يستريح.

وكانت راكيلي تعرف كذلك بأن زوجها بنيتو موسوليني حينما يمنح القليل من وقته لأبنائه يداعبهم أو يلعب معهم كرة الطاولة أو يتنزه معهم في الحديقة أو يركب العجلة كما يفعل الصبية المراهقين، إنما كان يفعل ذلك لأنه

كان مريضاً نفسياً، وهو يخفف عن نفسه بهذه التصرفات، وكان مرضه واضحاً في نظراته المستغيثة سراً الأمر الذي يجعل المرء يشفق عليه من هذه المعاناة العنيفة.

إن كل هذه الأحاسيس الموجعة أيقظتها في نفسية راكيلي تلك الرسالة الصفراء المؤلمة التي هددتهم جميعاً بنهاية رهيبة دامية في ميدان لوريتو، حيث إن كاتب الرسالة قد اعتبر زوجها كأي لص دجال سفاح زان أثيم يجب أن يقتل.

ولقد قالت راكيلي في نفسها أنه من الممكن الدفاع عن التهم السياسية على الأقل، وإنما كيف يمكن الدفاع عن تهمة الزنا؟ وهذه كلاريتا بيتاتشي ـ عشيقة الزعيم التي يعرفها الجميع؟.

ثم اندفعت راكيلي تحت تأثير الشعور بالغيرة بعد خروج زوجها إلى مقر عمله فارتدت معطفها فوق جلباب المطبخ دون ما تدري واستدعت سائقها الخاص وطلبت منه أن ينطلق بها إلى حي «ماديرنو» حيث مقر وزارة الداخلية. وما إن توقفت بها السيارة هناك حتى دلفت راكيلي مسرعة إلى مكتب الوزير «بوفاريني جويدي» الذي كان قد وصل لتوه وقد خلع معطفه وجلس على مكتبه. فإذا براكيلي تقف أمامه قائلة له أريدك أن ترتدي معطفك وتذهب معي حالاً لتكون شاهداً رسمياً على ما سيحدث ولم يجد الوزير بوفاريني مناص من اتباع الأمر الذي أصدرته إليه زوجة رئيس الدولة موسوليني. ولكنه تجرأ وسألها قائلاً: إلى أين يا صاحبة الفخامة وماذا سيحدث فقالت له لا تسأل اتبعني بسرعة.

وركبا السيارة معاً حيث عادت بهما إلى «جرنيانو» لتتوقف بعد قليل أمام مدخل «فيلا الزهور» وهناك انتفض بوفاريني وزير الداخلية كأنه قد مسه تيار كهربائي قائلاً لحرم الزعيم: هل تعرفين يا سيدتي من يقيم هنا؟ ثم أضاف ـ أرجوك يا سيدتي أنا لا استطيع.

راكيلي ـ آه.. لا تستطيع؟ لأنك تعرف إذن؟.

أما من داخل الفيلا ومن شرفة الطابق الثاني فقد أطلت كلارتيا بيتاتشي برأسها ثم اختبأت بسرعة البرق حينما لمحت راكيلي تترجل من السيارة ومعها وزير الداخلية.

أما راكيلي فقد توجهت مسرعة إلى الباب الرئيسي للفيلا الذي كان مقفولاً لتضع إبهامها على زر جرس التنبيه ضاغطة عليه بشدة تترجم العصبية التي تسيطر على آدميتها.

بينما اكلاريتا من الداخل أصدرت أمرها إلى خادمتها بعدم فتح الباب وقد رفعت في نفس الوقت سماعة الهاتف وأدارت قرص الأرقام متصلة بفندق «الجاردا» طالبة رئيس المخابرات السرية الألمانية الضابط «فرانز سبويجلر». وما إن أجابها هذا الأخير على الطرف الأخر من الهاتف حتى قالت له اكلاريتا أسرع يا فرانز بالحضور إلى منزلي فإنني في خطر.

وسبويجلر هذا ضابطاً ألمانياً يبلغ من العمر تسعة وعشرين عاماً وهو لا يحب اكلاريتا هذه ولا يطيق رؤيتها لعدة أسباب ولكن هذه الكراهية قد لا تمنعه من القيام بواجبه بكل ما يملك من قوة وهمة لاسيما وأنه كان مكلف بحماية الزعيم موسوليني شخصياً.

والحقيقة فإن رسالة هذا الضابط الألماني الشاب كانت هي تبليغ الحاكم العسكري الألماني في ميلانو عن كل ما يجري في المدينة إلى جانب مهمته الأولى حماية الزعيم. ولكن اكلاريتا بيتاتشي عشيقة الزعيم عرفت كيف تستغل هذا الضابط وتستخدمه بأفكارها الشيطانية لصالحها عن طريق الزعيم العاشق نفسه ولقد كان فرانز يعرف جيداً أن وجود اكلاريتا كعشيقة لرئيس دولة والتي قد تكون مندسة عليه وخاصة وإن الدولة في حالة حرب تنتشر فيها الجاسوسية في كل بقعة يعرف بأن مثل هذه الحالة تعتبر خيانة أو على الأقل فهو عمل إجرامي في حد ذاته، ولكن ربما فرانز كان قد أعتبر هذا العمل الإجرامي هو من ضمن الأعمال الإجرامية الكثيرة التي تحرمها القوانين الإجتماعية والسياسية ومع ذلك فقد مارسها الفاشيست والنازيون بدون واعز من ضمير.

ولكن بالرغم من هذه التقديرات كلها فقد سبق لفرانز أن حذر اكلاريتا من مغبة أعمالها إذا ثبت تدخلها في أمور الزعيم السياسية، بل ربما كان قد هددها بالقتل أو السجن المؤبد مدى الحياة إذا لم تبتعد عن هذا العشيق وتتركه يكرس أوقاته للحرب وللسياسة مستقلاً عن تيار الغرام في هذه الظروف الحرجة.

وذلك لأن فرانز وهو ضابط في المخابرات السرية الألمانية كان يعرف عن يقين بأنه إذا وقعت أية هفوة سياسية وتكتشف أن لكلاريتا ضلع فيها فإن مصيره حتماً هو الوقوف مكبلاً بالأصفاد أمام فرقة الإعدام الألمانية «الجستابو» التي لا ترحم، لذلك فإنه بمجرد أن طلبته اكلاريتا هاتفياً هب نحوها مسرعاً دون أن يسألها عن الخطر الذي أشارت إليه، بل ما هي إلا دقائق معدودة حتى أوقف سيارته الفولكس الخضراء إلى جانب سيارة راكيلي التي لا زالت واقفة أمام ذلك السكن اللعين.

لقد كانت راكيلي في تلك اللحظة التي وصل فيها فرانز تحاول أن تتسلق الباب الرئيسي لتعبر من فوقه إلى داخل الفيلا، وكان بوفاريني وزير الداخلية يمسك بأحد رجليها بعد أن تسلقت إلى نصف الباب الحديدي محاولاً منعها عن ذلك، ولكنها صارت تركل رأس الوزير بالرجل الأخرى قائلة له: اتركني أيها الوزير فلماذا أنت تمنعني عليك اللعنة.

وبعد أن شعرت راكيلي بمقدم الضابط فرانز صرخت بصوت عال قائلة لكلاريتا: أعرف بأنك هنا اخرجي إلي إن كانت لديك الشجاعة.

فرانز كان معه مفتاح الباب حيث أولجه في القفل ودلف مسرعاً إلى الداخل عبر الحديقة دون أن ينتظر صحبة راكيلي التي بدأت تشعر بألم من جراء محاولتها التسلق وآثار يد الوزير التي كانت تمسك بها بقوة.

وجد فرانز اكلاريتا ترتعش من الخوف متخبئة تحت السرير فعاد أدراجه معلناً لزوجة الزعيم أن الفيلا مقفلة لا أحد فيها. إنما راكيلي لم تصدقه وقد هجمت عليه مهددة إياه بأن تنشب أظافرها في عينيه قائلة له أنت كاذب. كاذب.

ولكن ضابط المخابرات عرف كيف يهديء من روع السيدة الثائرة حيث أقنعها بأنه منذ ساعة مضت كان قد اتصل هاتفياً بكلاريتا ولكن لم يرد عليه أحد مما يؤكد بأنها لم تكن هناك.

ومن ثم فقد اقترح فرانز على راكيلي وبوفاريني بأن يرافقاه إلى الفندق الذي يقيم فيه. ومن هناك سوف يتصل بالزعيم ويحدد معه اجتماعاً مستعجلاً.

ومن الفندق حاول الضابط الألماني الذكي الاتصال بالزعيم موسوليني عدة مرات ولكنه لم يفلح أو على الأقل فقد تظاهر بأنه لم يجده لأن جميع الخطوط الهاتفية الرسمية مشغولة. الأمر الذي أتاح له الفرصة ليقول لزوجة الزعيم ارجوك يا سيدتي أن تنتظري هنا مع السيد الوزير حتى أبحث أنا عن خط مدني قد يوصلني بزوجك.

وقد تسلل فرانز إلى مكان قصي واتصل هاتفياً بكلاريتا في الفيلا حيث قال لها أرجوك أن تتركي باب الفيلا مفتوحاً لأن الزعيم كان على موعد مع زوجته راكيلي في الفيلا على أن تكوني حاضرة للإجتماع. وما عليك إلا أن تستعدي للقاءها فهو أمر عادي.

كما اتصل فرانز سراً بالزعيم مخبراً إياه بما جرى هذا الصباح طالباً منه الحضور إلى الفيلا على أن يتظاهر بأنه كان على موعد مع راكيلي هناك وإن يترك له بقية إتمام الفصل. فوافق الزعيم على ذلك.

عاد فرانز إلى حيث كانت راكيلي والوزير في انتظاره معلنا لهما بأنه قد تمكن من الاتصال بالزعيم وإنهما سيرافقاه إلى الفيلا.

أما اكلاريتا فقد تزينت بأفخر ثيابها وعطورها استعداداً لاستقبال الزائرة الكريمة.

بينما فرانز كان يحبذ اللقاء أو هذه المواجهة التي ربما ستجعل موسوليني يخجل من نفسه أمام هذه الفضيحة ويستطيع أن يتخلص من هذه العشيقة التي يثير وجودها الفزع في نفسه.

وحتى يتفرغ الزعيم لشئون الحرب والدولة الإشتراكية الجمهورية الجديدة التي أعلن عنها موسوليني يوم 8 سبتمبر 1943م وعاصمتها «بولزانو».

دخل فرانز تتبعه راكيلي والوزير إلى الفيلا حيث كانت اكلاريتا في انتظارهما حسب الاتفاق السري وكانت مرتدية أروع ثيابها كأنها عروس في ليلة زفافها، الأمر الذي جعل فرانز يختنق غيظاً وحقداً أما راكيلي فقد حاولت في بادىء الأمر أن تكون عاقلة بعض الشيء. وبعد أن اعتدلت في جلستها وجهت سؤالاً إلى اكلاريتا قائلة لها: كيف أقول لك سيدتي أم آنستي؟.

فردت اكلاريتا ـ بل سيدة.

وهناك التفتت راكيلي إلى الوزير بوفاريني والضابط فرانز قائلة لهما أنظرا ماذا تلبس عشيقة رئيس الدولة من ثياب فاخرة وماذا ألبس أنا من ثياب مهلهلة قديمة؟ وأنا زوجته!.

اكلاريتا بلهجة الاستنكار والاحتجاج ـ أنا عشيقة أيتها المرأة وقد حاول سبويجلر أن يتدخل لأنه كان يعرف فعلاً أن الثلاثة آلاف فرنك التي يدفعها موسوليني لعشيقته اكلاريتا وأسرتها كراتب ثابت قد لا تكفي أبداً حتى لنفقات الطعام.

فمن أين جاءت اكلاريتا بثمن هذه الثياب الفاخرة إذن؟.

كان الضابط الألماني يريد أن يجاهر بذلك لولا أن سبقته اكلاريتا بحركة شيطانية حيث تعمدت أن تسقط مغشياً عليها، بعد أن واجهتها راكيلي بتهمة «العشيقة».

أما راكيلي فقد أضافت تقول لمن حولها وهي على وشك أن تجهش في البكاء أرأيتم كيف تتظاهر هذه الشيطانة بالتغاشي؟ ولكن على من ينطلي خداعك أيتها الفاجرة؟.

نهض الضابط الألماني سبويجلر مسرعاً وقد اتصل هاتفياً بموسوليني

للمرة الثانية في ذلك اليوم قائلاً له: الحالة سيئة هنا أيها الزعيم. وفي هـذه اللحظة قفزت اكلاريتا من غشيتها واختطفت السماعة من يد سبويجلر لتبث بشكواها إلى موسوليني قائلة له:

يا بنيتو إن زوجتك تقول عني عشيقة وفاجرة أسمعت؟.

موسوليني «بنبرة الخضوع لعاطفته» حسناً يا اكـلاريتا اعـطني سبويجلر من فضلك.

ونـاولت اكـلاريتـا السـماعـة للضـابط الـذي مـا زال مـنـذهـولاً من تصرفاتها.

مـوسـوليني ـ أسمـع يـا سبـويجلر حـاول أن تهـدىء المـوقف فـأنت المسئول.

وأضاف الزعيم قائلاً: أنا لا أريد أن أسمع مثل هذه المهاترات...

وكان الوزير بوفاريني قد شـاهد زجـاجة «كـونياك» قـابعة عـلى تلك المنضـدة الكلاسيكيـة فمد يـده إليها واحتسى منهـا كـأسـاً ثم صـار يـوزع الكؤوس على ثلاثتهم.

وهناك فقد خطر لكلاريتـا أن تستفز راكيـلي وتكسر معنويتهـا وتحطم كبريائها وثقتها في زوجها انتقاماً منها عـلى قولهـا عشيقة حيث احضرت من صندوقها الخاص رزمة الرسائل الغرامية التي كان يبعث بها موسـوليني إليها قبل أن يجعل الإتيان بها أمراً مستديماً.

وقـالت لراكيـلي وهي تبتسم في خبث ومكر، اتحسبي نفسـك بأنـك المـرأة الوحيـدة في حياة الـزعيم ثم أية عشيقـة تلك التي تتحدثـين عنها يـا سيدتي؟.

وكاد الغيض أن يمزق فؤاد راكيلي ولكنها تمالكت اعصابها وتظاهـرت بعدم الاكتراث. بيد أنها نهضت تدنو من اكلاريتا رويداً حتى وثبت كالقطة المذعورة لتنهب تلك الرزمة من أيدي اكلاريتا وهي تقول هاتها يا ماكرة..

أما ضابط المخابرات الألماني فرانز سبويجلر فقـد شعر حينـذاك وكأنـه

قد امتلك السلطة كلها وآلت إليه كافة مقاليد الأمور. إذ نهض واقفاً في مواجهة راكيلي التي صارت تلك الرزمة من الرسائل الغرامية الخطيرة بين أيديها.

وقال لها وهو يخطو نحوها: إني آسف يا صاحبة الفخامة إذ أقول لك إن هذه الرسائل لا يمكن بأي حال أن تخرج من هذا البيت ولا أظنك بحاجة لأفسر لك معنى هذه الرسائل الغرامية التي خطها زوجك الدكتاتور العجوز بيده وأهميتها وقيمتها السياسية الثمينة بالنسبة للحاكم الألماني هنا في إيطاليا.

وما إن سمعت راكيلي ما قاله هذا الجستابي الخطير حتى صرخت في وجهه صرخة مؤلمة وهي تقول، ماذا تقول أنت؟.

ولم يمهلها فرانز إذ أمسك بمعصميها بقوة وعنف المخابرات الألمانية وانتزع منها تلك الرزمة التي كانت محزومة بشريط أحمر متين. ولكنه مع ذلك فلم يستولي على الرزمة قبل أن تنشب راكيلي أظافرها في يديه ورقبته حتى يكون الاستيلاء ممزوجاً بالدماء وخلايا جلدية آدمية تمزقها سيدة الجمهورية الإشتراكية الأولى.

وهذا أول حادث يتم في بيت الزعيم وأول نقطة دم تسقط فوق بساطه بينما كانت انهار من دماء الشعب تجري في الشوارع والبيوت إلا أن الذي وقع في بيت الزعيم وإن كان قد يبدو صغيراً في حجمه إلا أنه كبير في التاريخ إذ أن مثل هذه الأحداث الشخصية في مثل هذه المواقع لن تمر دون أن تفتح باب المتاعب وترسم الصورة القائمة التي تعكس سلوك الفاشيست الدموي المؤلم. . . وانحرافاتهم وتجنيهم على المواطنين.

لذلك التفتت راكيلي إلى بوفاريني وزير الداخلية الذي ما زال قابعاً في مكانه قائلة له: أي نوع من الوزراء أنت يا بوفاريني؟.

أين سلطتك؟ أين همتك الفاشيستية اتترك امرأة فاجرة ومجرد ضابط الماني يدوسونني بأقدامهم القذرة تحت سمعك وبصرك؟.

ولكن بوفاريني طأطأ بـرأسه متجـاهلاً ذلـك النداء من زوجـة زعيمه الفـاشي المراهق، خـاصة بعـد أن حدجـه ضابط المخـابرات الألمـاني بنظرة شرسة جعلته يتخدر أكثر ولم يستـطع أن يحرك سـاكناً سـوى قولـه لراكيـلي هلمي بنا نذهب يا صاحبة الفخامة.

وعند ذلك قـالت راكيلي: حقـاً يجب أن نذهب ولكن ليس قبـل أن أقول لكم جميعاً إنني سـوف أجعلكم تدفعـون الثمن من دماءكم في ميـدان لوريتو. . . الذي يهددكم به الشعب.

«ليلة الرعب»

ظلت راكيلي موسوليني حتى إلى الأعوام الأخيرة جداً وهي تذكر ذلك اليوم الممطر الكئيب والمشحون بالضجر والذي أشرفت فيه على الموت المحقق.

ذلك اليوم الذي أهينت فيه كرامتها في بيت العشيقة وعادت إلى منزلها مهزومة كسيرة الوجدان فارتمت على سريرها تحت وطأة الحرارة البدنية والغيرة والهموم.

ذلك اليوم المليء بالضباب الكثيف والذي لم تشرق شمسه منذ الصباح حينما استلمت تلك الرسالة الصفراء التي يبدو إن أحد المناضلين الإيطاليين كان قد بعث بها إليها ليبشرها بالنهاية المؤلمة التي تنتظرهم جميعاً في ميدان لوريتو.

ذلك اليوم الذي بدأ بالتهديد وانتهى بالفضيحة والتردي إلى الحضيض. ارتمت راكيلي على سريرها قبل المساء، وقبل أن تتناول العشاء ارتمت على سريرها وهي تشعر كأنها فوق أمواج عاتية تتقاذفها إلى مصير مجهول، لم تعرف كيف تتخلص من هواجسها المخيفة ولا كيف تسترد اعتبارها السليب.

لقد كانت تسبح في خيالها فوق اجنحة الكابوس حينما دخلت عليها

خادمتها تحمل لها ورقة صغيرة أرسلها لها زوجها بنيتو يقول فيها: إني قادم إليك بعد قليل وارجو أن أجدك في انتظاري وأن تسامحيني.

ولم يمضي وقت طويل حتى دلف موسوليني إلى غرفة زوجته راكيلي يسبقه صوت أقدامه بحذاءها الطويل الخشن كأنه ثور يهرول على جسر من الخشب.

وكان يرتدي بدلة واقية للبرد الذي كان يلاحقه حتى داخل مكتبه بالرغم من المدفأة التي تصل حرارتها إلى ثلاثين درجة في بعض الأحيان.

جلس موسوليني إلى جانب زوجته على حافة السرير، وقد أمسك براحة يدها طويلاً محاولاً أن يداعبها بأنامله الجافة وهو يهتز والكلمات تتلعثم في حلقه.

ولكنه استطاع أن يخاطبها حيث حدثها عن الأصدقاء والأعداء والحرب ومواقف الأقارب منه وقد شاركته بدورها فيما يخصها.

بيد أن حديثهما كان كمن يزور (مقبرة) فهو لا يهمه إلا القبر الذي جاء لزيارته فقط إنما القبور الكثيرة الأخرى والمنتشرة من حواليه قد لا ينظر إليها إلا عابراً.

كان هناك تساؤلاً واحداً دفين في مكنون موسوليني يسيطر على جوارحه ويريد أن يبوح به لزوجته. ثم يتراجع بعد أن يقنع نفسه مؤقتاً على الأقل بأن ذلك الخبر غير صحيح.

ولكنه فقد أخيراً سيطرته على الكتمان فانفجر بما يجيش في خاطره فقال لزوجته ترى هل صحيح أن فرقة المخابرات الألمانية المتواجدة في إيطاليا قتلت سبعمائة مواطنا مدنياً عزل من السلاح وألقت بهم في بئر «مازابوتو» بدون جرم اقترفوه؟.

وأضاف إذا كان هذا الوضع قد وقع حقاً فيجب علي أن أذهب أنا شخصياً إلى «هتلر» وأحمله المسئولية مباشرة.

وأردف يقول: ولكن إذا كان هذا الحادث غير صحيح فأي نوع من الغباوة أكون قد ارتكبتها أمام الفوهرر؟.

إلى هذه الدرجة من عدم الدراية بما يجري في البلاد وصل موسوليني وهو شاطع في حمى الغرام.

فالمخابرات الألمانية لم تحسب حسابه لتزوده بمثل هذه المعلومات بالنفي أو بالاثبات والمخابرات الإيطالية اضحت مغلوبة على أمرها وشبه معزولة عن معظم مجريات الأمور بل انها واقعة تحت سيطرة الألمان في موقف لا تحسد عليه.

ولقد تطرق موسوليني في حديثه مع زوجته في تلك الليلة إلى أعوانه فقال عن «بوفاريني جويدي» إنه لم يكن وزيراً للداخلية الإيطالية بالمعنى الصحيح، وإنما هو عميل للألمان ونذل.

فقالت له راكيلي: في الحقيقة كلهم يخدعونك يا بنيتو فلا تصدق منهم أحداً: موسوليني ـ أعرف ذلك. راكيلي ـ تعرف ولم تفعل شيئاً؟ موسوليني ـ وماذا أفعل؟.

راكيلي: أقذف بهم جميعاً إلى الجحيم وحرر عاتقك منهم وابدأ بالوزير بوفاريني.

موسوليني: سافكر في هذا الأمر.

راكيلي: أسرع قبل أن يقذفوا بك، واحترس على نفسك من هؤلاء الأشخاص فهم يكرهونك، ولكن يجب أن تسترد هيبتك كما كنت.

كانت كل جملة تقولها راكيلي يتفاعل معها موسوليني فتظهر انعكاسات ذلك التفاعل وهو يضغط على راحة يد راكيلي التي ما زالت بين راحتيه طول هذه السهرة المشحونة بالمخاوف وسوء المصير.

كان موسوليني قبل هذا اليوم الحزين باسبوع واحد قد أعد تقريراً وقدمه إلى السفير الألماني في روما، وهو التقرير رقم (7) الذي تحدث فيه الزعيم عن تمرد الشعب الإيطالي وأسبابه، إلا أن الألمان قد اعتبروا ذلك

التقرير بأنه متنافياً مع سياستهم.

وهـذا نص التقريـر الذي خـطه موسـوليني بيده إلى السفـير «راهن» أرجو كريم فضلكم أن تكرسوا بعض الدقائق من وقتكم الثمين لقراءة هذا التقـرير الشـامل لمجـريات الأمـور خلال شهـر سبتمـبر كله لعـام 1944م والنتائج كما يأتي:

أولاً : إن جماعة حركات التمـرد قد تحـولت الآن إلى كتائب وألـوية منظمة تحت قيادة جنرال محترف تابع لمركز قيادي للقوى الوطنية الإيطاليـة. والفكـرة لإنشاء هـذا التنظيم الـواسـع العسكـري المسلح تهـدف أسـاسـاً لمناهضة الفاشست وتصعيد المقاومة ضدنا.

ثانياً : إن هذه التنظيمات الحزبيـة للقوى الـوطنية الإيـطالية العـاملة والمناهضة للحزب الفاشيستي قد بلغ تعدادها الآن حوالي مـائة ألف رجـل مسلح ينقسمون إلى ستين لواء وهو وضع يشكل خطراً كبيراً، وقد بات من الصعب مواجهة هؤلاء بالقمع والقوة لعدة أسباب من بينها عـدم الانسجام والتنسيق بين السلطات الإيطالية والألمانية المسئولة.

ثالثاً : إن القوات الألمانية المسلحة والمتمركزة هنا في إيطاليا لم تأتي إلا لكي تتظافر مع القوات الإيطالية للعمل معاً في خنـدق واحد وهـذا واضح في الاتفـاق المبرم بيننـا، ولكن هناك الكثـير من قطاعـات قـواتكم صـارت تشكل دعامة للقوى الوطنية العاملة والمناهضة للفاشيست.

ولكنـه كذب مـوسوليني في هـذه الفقرة من تقـريـره إذ أن الألمـان لم يقـدموا أيـة مساعـدة للمقاومـة الوطنيـة الإيطاليـة وإلا لما وقعت كـل هذه المجازر في (ما زابوتو) وميدان لوريتو وغيرهما من إبادة جماعية.

رابعاً : وأضاف مـوسوليني قـائلاً في تقـريره: إن تسليحنـا هنا جيـد جداً ولكنه لن يكون مفيداً إلا إذا توفرت له العناصر الأساسية وفي مقدمتها وسائل النقـل أو لعلكم قد نسيتم قصـة عربـات النقل التي انتجهـا مصنع الفيات وقد استوليتم عليها، هل فهمت يا صديقي؟.

«بنيتو موسوليني» :

حتى هذا التقرير الذي لم يستلم موسوليني أي رد عليه كان قد أباح به لزوجته في تلك الليلة وهو جالس على حافة سريرها يشكو لها بما يعذبه كما لو كان طفل غاب طويلاً عن والدته وقبل أن ينهض مغادراً غرفتها ضاغطاً على يدها بشدة قائلاً لها أوعدك يا راكيلي بأنني سوف اشنق هذا الدسيس المدعو / بوفاريني جويدي وأنه منذ الآن يعتبر مستقلاً من وزارة الداخلية وسوف ترين بعد ذلك ماذ أفعل بالآخرين.

فقالت راكيلي ـ انني لا استطيع أن احتمل أكثر من الذي وقع.

موسوليني وهو ينهض ـ أوعدك.

كان موسوليني منذ عشرة أيام ماضية قبل حديثه مع زوجته قد طلب من وزراءه المختصين أن يوافوه بتقارير صحيحة حول المذبحة التي سمع بها مجرد سمع، بينما راح ضحيتها سبعمائة نسمة من بينهم نسوة وأطفال أصغرهم عمره عامين القت بهم المخابرات الألمانية في بئر «مازابوتو» أما بعض الرجال من ضحايا هذه المذبحة كانوا قد اشنقوا علنا بواسطة «مخاطيف» اللحم «الشناكيل» حيث اغرزت في رقابهم وظلوا يتأرجحون لساعات طويلة عبرة لغيرهم ممن يناضلون من أجل تحرير بلادهم.

ما زال موسوليني ينتظر في نتائج التحقيقات عن هذا الحادث وربما كانت في طريقها إليه في ذلك الوقت، إلا أنه لم يسمع في نفس الوقت إلا بهذه الحادثة التي أمر بالتحقيق فيها ولكنه لم يسمع ولن يسمع، لم يسمع مثلاً بواقعة جبل «الالبيني» وهي قصته كان من الأنسب أن لا نذكرها، ولكن يجب أن نذكرها كواجب للتاريخ.

إنها قصة أولئك النسوة اللائي انتهكت اعراضهن وقد اتخذهن الألمان كممسات رغماً عن أزواجهن، وكان من بينهن سيدات متعلمات استطعن معرفة اسم المسئول عن واحدة من تلك الجرائم البشعة ضد الإنسان ـ تلك الجريمة التي وقعت بالتحديد يوم 14/اكتوبر 1944م. حينما قام الضابط الألماني الملازم أول «استونوليكا» ليلاً بزيارة بعض البيوت الآمنة في مقاطعة

«جبل الالبيني» وذلك بقصد النيلِ من عرض أية سيدة تصادفه لقضاء وطره الأثيم فصار يقتحم البيوت واحداً تلو الآخر حتى لقد أعياه التعب وفشل في إيجاد من تلبي له رغبته البهيمية فعاد إلى معسكره خائباً.

وفي الصباح الباكر لذلك اليوم المشئوم الذي تلى تلك الليلة حالكة السواد جند هذا الضابط الشقي عدد أربعون جنديا ألمانيا وعشرون جندياً فاشيستياً مدججين بالسلاح الحربي وأصدر ـ إليهم أمره باحضار جميع نساء المنطقة إلى المعسكر بما فيهن الفتيات البكار.

وقد تم حشدهن تحت الحراب بعد أن استغرقت هذه العملية طيلة ثمان ساعات متوالية وفي المعسكرِ نزعت عنهن جميع ملابسهن تمزيقاً ومورس معهن الغرائز البشرية عنوة ،قهراً ثم أومرن بعد ذلك بالزحف على أركابهن عراة. وتم توزيعهن على بقية المعسكرات للغرض نفسه والويل لمن يأتي من ازواجهن يسأل عن زوجته أو ابنته فلم يكن نصيبه إلا رمية من الرصاص.

ولعل موسوليني لم يكن يسمع بهذه القصة أو هذه المأساة ولكنه عموماً فقد بدأت تجاربه الآن مع الألمان حينما قام بكتابة تقريره إلى السفير الألماني «راهن» ولم يتلق رداً الأمر الذي اعتبره ـ موسوليني إهانة له جعلته يطأطيء رأسه.

وبعد أن ذهب موسوليني للنوم في غرفته مغادراً غرفة زوجته في تلك الليلة وهو شبه يترنح من شدة التعب والهموم سمع ازيز الطائرات المعادية التي دأبت على شن غارتها الجوية فوق إيطاليا من الناحية الشمالية في أوقات مختلفة حيث اطلق عليها الإيطاليون اسم «الوطاويط».

ولأول مرة يشعر موسوليني في تلك الليلة بالخوف الرهيب حينما كان أحد الطيارين المغيرين المجهولين يحلق بطائرته الطرادة خفيفة الحركة الليلية فوق منزله، الأمر الذي اعتقد موسوليني بأن هذه الطائرة إنما تريد قصفه هو شخصياً وها هي تبحث عنه.

ولكن الطمأنينة ما لبث إن عادت إليه حينما علم بعد طلوع النهار بأن

جميع مقاطعات جمهوريته الإشتراكية كانت قد تعرضت بيوتها لمثل ما تعرض له بيته هو في تلك الليلة فقط.

فيما كانت بيوت المواطنين كلها تتعرض للمخاطر في كل ليلة، إلا أن الشعب الإيطالي كان قد «تدوجن» على مثل هذه الغارات التي صارت وكأنها تداعبه بقنابلها وصواريخها التي تحدث أصواتاً مدوية أعنف من الرعد، والتي حينما لم تصب بيتاً وتدمره بمن فيه يعتبرها الشعب معجزة قد لا تصدق ـ وهو أمر نادر الحدوث.

لقد كان لدي الانجليز والأمريكان اسلوبهما في تنسيق القصف الجوي، ومن خلال هذا التنسيق فهم يعرفون جيداً أين تقع «الفلل» التي يسكن فيها الزعيم وهي ليست بعيدة عن بعضها وكان في مقدورهم أن يقصفوها نهاراً بضربة واحدة ليجعلوها ركاماً على من فيها.

ولكنه أرجىء هذا العمل، وهذا هو السر الذي كان يعرفه الزعيم وحده وقد جعله لا يخشى الغارات الجوية ولم يذهب إلى المخبأ كبقية الناس أو بقية أفراد أسرته.

بيد أن ذلك الطيار المجهول الهوية كان قد أخافه في تلك الليلة وأنزل في قلبه الرعب.

ومما زاد في رعب موسوليني هو أن تلك الطائرة المشاكسة التي لم تنل منها قذائف الدفاع ـ الجوي بما فيها المدافع الألمانية المضادة للطائرات التي كانت تنهمر عليها من كل ناحية وكان يجب أن ـ تكون تلك الطائرة شظايا متناثرة في الجو، إلا أنها لم تصب بأذى، بل لقد توقف إطلاق النار عليها أخيراً.

ربما كان الجنود الإيطاليون الذين يتولون استخدام المدافع الألمانية المضادة للطائرات لا يريدون اسقاطها بعد أن حددوا موقع هدفها.

وعلى سبيل ذكر هذه الحادثة وحتى لا يتهم الجندي الإيطالي بعدم المهارة في إصابة الطائرات المغيرة فإنه يجدر القول هنا أن جميع الجنود

الإيطاليين الذين يستخدمون هذه الأسلحة الألمانية كانوا قد تلقوا تدريباتهم على هذه الأسلحة في ألمانيا نفسها، وذلك حينما طلب «الفيلد مارشال جورنج» قائد عام السلاح الجوي الألماني من موسوليني أن يبعث إليه عدد أربعة وعشرون ألف جندي إيطالي لتدريبهم على الدفاع الجوي.

وقد استجاب موسوليني لهذا الطلب بعد أن أوعده المارشال جورنج بإعادة هؤلاء الجنود بعد تدريبهم ليدافعوا عن السلطة الفاشيستية في مقابل أن يبعث موسوليني بعد ذلك بعدد مائة ألف جندي إيطالي ليدافعوا عن الرايخ.

بينما كان أكثر الإيطاليين سواء من أرسل منهم إلى ألمانيا وتدرب على السلاح وعاد إلى إيطاليا أو الذين حاول الدكتاتور تجنيدهم ليدافعوا عن الرايخ لكي يوفي بوعده للألمان حسب الاتفاق المبرم كل هؤلاء وغيرهم ممن كانوا يعملون حتى في المصانع والزراعة بدءوا يتمردون ويفرون إلى الجبال للإنضمام إلى المناضلين الذين كانوا قد أسسوا المقاومة تحت اسم الجبهة الوطنية أو الأحزاب العاملة «بارتيجاني» ولم يعد الإيطاليون مجرد سلعة تتم بها المقايضات السياسية طبقاً لمشيئة الفاشيست والنازية.

وبعد أن عجز الدكتاتور موسوليني عن إيجاد العدد المطلوب لإرسالهم للدفاع عن الرايخ. ولم يجد إلا عشرة آلاف فقط أخذ يبرر موقفه للألمان بقوله أن في ألمانيا الآن أكثر من مائة ألف إيطالي من النازحين إنكم بإمكانكم أن تجندوهم، وفي نفس الوقت حمل مسئولية هذا العجز إلى متصرفي المناطق وتقاريرهم التي وصفها الدكتاتور بأنها هامشية.

ان القمر قد تأخر ظهوره أو ربما قد احجبه ذلك الضباب الكثيف الذي ما زال يسكب على النهر رذاذه الجليدي في تلك الليلة التي شعر فيها الزعيم بالرعب والفزع من جراء تلك الطائرة المغيرة وحركاتها المريبة.

وقبل هذه الليلة كان النهار أيضاً مشحوناً بالخلافات العائلية والفضائح، ولذلك فلم يستطع الدكتاتور الاستسلام إلى النوم بالرغم من

أنه كان يترنح من الارهاق، وكان في حاجة قصوى إلى الراحة والنوم، ولكنه ظل واقفاً في غرفته ينظر إلى لهيب قصف الطائرات المغيرة من خلال فتحة صغيرة بين الستائر السميكة المسدلة على نوافذ غرفته الخاصة.

وعند الصباح امتد موسوليني على سريره دون أن يخلع قطعة واحدة من ملابسه وصار ينصت إلى البلاغات المحلية عن نتائج اضرار الغارات الجوية التي تذيعها وزارة الداخلية عبر الأثير حيث خطر على باله الوزير بوفاريني الذي ما زال الزعيم مصراً على الانتقام منه ومعاقبته على ما بدر منه من خنوع في الوقت الذي أهينت فيه راكيلي في فيلا أكلاريتا.

طبعاً لا يستطيع أن يتصور موسوليني ما عاناه الوزير بوفاريني جويدي. من جراء ذلك اليوم الكئيب حيث ابتلت ملابسه من شدة الأمطار الغزيرة المنهمرة على رأسه وهو واقف أمام فيلا اكلاريتا بدون مظلة تقيه مياه المطر كما كانت راكيلي.

ولا شك في أن راكيلي كانت قد أرغمته على ذلك حيث صار الآن طريح الفراش يشكو مرارة البرد القارص الذي غزى جسمه كله، فضلاً عن الإهانات التي صفعته بها راكيلي حينما قالت له أي نوع من الوزراء أنت؟ وأين هي سلطتك الفاشية.؟

كل هذه الحالات كانت لها ردود فعل على جسم الرجل ونفسيته بشكل مضر الزمه الفراش. إلا أن بوفاريني لم يتذوق طعم النوم في تلك الليلة القاتمة التي كانت فيها الغارات الجوية المعادية مكثفة بشكل لم يسبق له مثيل.

ولقد شعر هو الآخر بخوف شديد، خاصة حينما تذكر مع أصوات القنابل المزلزلة تلك العبارات التي اطلقتها راكيلي قبل مغادرتها لفيلا اكلاريتا حيث قالت: سأجعلكم جميعاً تدفعون الثمن باهضاً في ميدان لوريتو.

أية نهاية هذه التي تنتظره؟ وأية ليلة هذه التي جعلت قلبه المختنق تحت طبقات الشحوم يرتجف رعباً وهلعاً؟.

ولقد فكر طويلاً كيف يتخلص من هذه الورطة، إن موقفه أمام راكيلي

سوف يجلب له المتاعب مع زعيمه بصفته وزيراً للداخلية وعضواً بارزاً في الحزب الفاشي، ومن واجبه أن ينتزع رزمة تلك الرسائل الغرامية الخطيرة من أيدي الضابط الألماني ويسلمها إلى الزعيم، خاصة وإن السلطة الفاشية كانت قد استطاعت في يوم من الأيام أن تنقذ حياته من الموت بل من السجن الرهيب، فكيف يعجز هو الآن عن انقاذ سمعة زعيمه باختطاف تلك الرسائل؟ ولا سيما قد وقع هذا العجز أمام راكيلي زوجة الزعيم ثم إنها أهنيت أمامه ولم يستطع أن يرد لها اعتبارها إذا فلا بد من إيجاد وسيلة لتغطية موقفه المخجل الجبان.

وأخيراً فقد توصل إلى فكرة واحدة كاذبة لجأ إليها تحت وطأة الخوف العنيف تناول بوفاريني القلم والورقة وأخذ يسطر أكذوبته إلى الزعيم العجوز الذي صار هو الآخر يتشبث بقشة الغريق، وفي حاجة إلى أي فرد يريد مساعدته.

وكتب بوفاريني يقول: لقد علمت بأن الجبهة الوطنية المناهضة للفاشيست والنازية قد غيرت اتجاهاتها وصارت تناهض الشيوعية، وفي هذه الحالة المواتية يجب أن نغري هذه الجبهة ونستميلها إلى صفنا. . .

«بوفاريني»

«هدنة من السماء»

جرنيانو في 14/نوفمبر 1944م.

كان موسوليني قد أعد مرسوماً بإقالة بوفاريني جويدي وزير داخليته، ولكن لأسباب لا يعرفها إلا الزعيم الذي عدل عن توقيعه واحتفظ به في خزانة محفوظاته الخاصة.

ولقد كان الشتاء قاسياً على صحة الدكتاتور العجوز، والبرد شديد وغير عادي ـ ولكن ليس عليه وحده الذي كان يتمتع بمدفأة موقودة ليل نهار في مكتبه وبيوته وأين ما يحط رحاله.

بيد أن صحته لم تعد تستطيع المقاومة لولا أن هناك بعض المعطيات التي تأتي بها الصدف لتغذي جسمه المتهالك بحقن الهرمون المنشط ليستمر مرحليا على الأقل.

وهكذا فقد كان صباح يوم الرابع عشر من نوفمبر 1944م كما أعرب عنه الدكتاتور نفسه أقل كآبة ومشاكل من كل الأيام التي سبقته.

فهو عموماً يعتبره يوماً هادئاً حيث لم يجد فيه على مكتبه أية صورة من تلك الصور التي تهدده وتشتمه والمخطوطة على جدران المباني في كل مكان. تلك الصور التي اعتادت طغمة مخابراته أن تقدمها له كل يوم حتى إنها قد صارت أمراً مألوفاً لديه.

ولم يجد على مكتبه كالعادة اليومية تلك الصور المزرية لأولئك الشباب

والبراعم الذين يتسكعون في الشوارع والأحياء بملابسهم المهلهلة الرثة التي مزقها الضياع والجوع والتشرد نتيجة لفقدان أولياء أمورهم تحت الإنقاض، هؤلاء الذين يكتبون على الحيطان جميع العبارات المستهجنة ولم يعد أحدهم يفكر في شيء اسمه «الموت».

وكذلك لم يجد الدكتاتور على مكتبه في ذلك اليوم أي نوع من التقارير التي كانت ترد إليه من رجال مخابراته والتي يحذرونه فيها بأن جبهة المقاومة الوطنية تتربص به الدوائر لتقتله إذا ما فكر في الذهاب إلى ميلانو.

وكان موسوليني قبل هذا اليوم الذي أسماه الهادي بأربع وعشرين ساعة قد تلقى بلاغاً سرياً خاصاً من عيونه المنتشرة بأن المارشال الكسندر قائد قوات الحلفاء على الجبهة الإيطالية قد بعث بمنشور سري إلى جبهة المقاومة الوطنية الإيطالية يقول فيه مايلي:

أيها المواطنون جنود المقاومة الشعبية لقد أجبرت قواتنا على وقف القتال نتيجة لهطول الأمطار الغزيرة والخارج عن إرادتنا وهو أمر لا مفر منه، لذلك يطلب منكم ايقاف جميع العمليات القتالية وإعادة تنظيماتكم ريثما تكف الأمطار ويجف الوحل.

إذن.. فالعدو قد أوقف الآن القتال على الجبهة الإيطالية من ناحية بولونيا، لأن الأمطار والأوحال قد فرضتا عليه الهدنة الجبرية السماوية المفاجئة، ولكن الجدير بالذكر هو أن المنشور يحمل صيغة الأمر إلى جبهة المقاومة الوطنية الإيطالية بوقف القتال ضد الفاشية والنازية، ومعنى هذا أن المتمردين كما يسميهم الفاشيون قد يستطيعون النزول من الجبال والعودة إلى بيوتهم ريثما تكف الأمطار ويجف الوحل؟.

وهذه بطبيعة الحال فرصة سانحة أمام الدكتاتور موسوليني لكي يبادر من ناحيته بأي عمل قد يشجع على عودة المتمردين ويظهر به تسامحه معهم وسروره لهذه العودة.

وهكذا فقد أصدر موسوليني أمراً بالعفو عن المتمردين الذين يعودون من الجبال في غضون ثلاثة أيام فقط اعتباراً من تاريخ صدوره.

ولكن منذ ثلاثة أيام خلت قبل صدور هذا العفو قصير الأجل كانت هناك كتيبة من الجيش الإيطالي مهمتها تنفيذ عقوبات الإعدام ضد المواطنين الإيطاليين بدلاً من أن تكون على جبهة القتال ضد العدو والذود عن الوطن.

هذه الكتيبة اتفقت مع قائدها بعد أن استيقظ فيها الضمير وتسللت إلى الجبال تحت جنح الظلام وسلمت نفسها إلى قيادة المقاومة الشعبية طالبة الانضمام إلى المقاتلين ضد الفاشية والنازية.

الآن هذه الفرقة بالذات أصبحت في موقف حرج للغاية بعد اعلان الحلفاء عن وقف القتال بسبب الأمطار التي عرقلت معاركهم.

وهذا يعني بالتأكيد تسليم هذه الفرقة بين أيدي الدكتاتور السفاح موسوليني ليفعل بها ما يشاء.

ولذا فقد أضاف موسوليني في بيان العفو الذي أصدره عبارة «ولا يشمل هذا العفو الكتيبة المسلحة التي تمردت أخيراً والتي يرجع الفضل في ايقاف قتالها ضد الفاشية إلى المارشال الكسندر قائد قوات الحلفاء».

وحتى بالنسبة لرجال المقاومة عموماً فإن موسوليني لم يكن يقصد الرحمة أو العطف على هؤلاء، وإنما قد اصدر عفوه المريب هذا للنيل من معنوياتهم التي كادت أن تنهار بعد اعلان هذه الهدنة غير المتوقعة.

لقد كان الحلفاء يحترمون الشعب الإيطالي المناضل من أجل تحرير بلاده من الفاشية والنازية. وفي المقابل كانت السلطات الألمانية العليا في حاجة إلى موسوليني وحزبه الفاشي لأنهم على وتيرة واحدة وفي خط محوري واحد حقاً إنها لعبة القدر وفرصة العمر بالنسبة للدكتاتور واحلامه ها هم المتمردين يعودون إلى بيوتهم كما كانوا، وربما سيتشتت شملهم وتفتت عزيمتهم بعد هذا الذي حصل.

هكذا كان يضمر الطاغية في قرار نفسه حينما كانت يده المرتعشة تسطر أمر العفو المريب. ومما لا شك فيه... فإن المرء حينما يتحمس لفكرة معينة ويغتنم لها الفرصة لتنفيذها فلا بد وأن تؤتي ثمارها، وقد كان الدكتاتور من هذا النوع الذي لا يضيع الفرص تفلت هباء مع اعتبار الفرق بين الماضي والحاضر، فعندما كان شاباً كان يفكر لوحده، وكان قادراً على أن يفكر بل كان مستبداً في تنفيذ أية فكرة تستقر في رأسه بصورة مستعجلة دون استشارة أحد، أما الآن وامام هذه الظروف الطارئة وهذه الأمور الدقيقة فلا بد للدكتاتور أن يتريث حتى لا يوضع العنان في عنقه ليكون منقاداً إلى حيث يريد الآخرون.

بل سوف يتريث الجميع معاً في مثل هذه الحالة التي لم تكن في الحساب.

فالمارشال الكسندر أصبح خائناً لجبهة المقاومة الشعبية الوطنية الإيطالية لأنه قد جعلها تخضع فعلاً لإرادة جلاديها، وهذا هو الرأي العام السائد بين الاوساط الوطنية الإيطالية.

ولكن ربما كان في مفهوم الكسندر إن افراد هذه الجبهة قد لا يتعرضون لاحكام الاعدام لأنهم ليسوا جيشاً نظامياً خائناً وربما كان في مفهومه أيضاً أن مجرد ايقافهم للعمليات الحربية سوف يجعل كل شيء طبيعي وحدث قد ينسى في حينه.

بيد أن الجيش الإيطالي الرسمي لم يعلن التزامه بوقف العمليات الحربية ضد المتمردين بأسباب المطر كما كان يتصور الكسندر.

وعلى العموم فإن المارشال الكسندر بات عدواً للجبهة الوطنية الإيطالية، وخاصة للأشخاص البارزين فيها ومن بينهم الشيوعيين الذين قد لا تكتب لهم النجاة المؤكدة إذا ما فكروا في إلقاء السلاح والعودة إلى أهاليهم.

كان المنشور الداعي إلى ايقاف عمليات القتال موقعاً باسم المارشال

الكسندر فقط ولكن مما زاد في شطحات الدكتاتور موسوليني وجعله يرقص فرحاً هو ذلك البلاغ الرسمي الموجه إلى الإيطاليين والذي أذاعته واشنطون ولندن في آن واحد وبنفس الصيغة التي عبر بها الكسندر.

فهل يستطيع المرء أن يتصور بأن الحلفاء لا يعرفون أن الوضع ما زال فاشيستياً في إيطاليا؟ وهل الفاشيست يؤمنون بحرية المجتمع حتى يتسامحون مع من رفع في وجوههم السلاح؟.

وهل الفاشيون والنازيون من الاجناس البشرية التي تؤمن بالمصالحة بين افراد الوطن الواحد وازالة الخلافات السياسية باسلوب الحوار والاقناع؟ كلا إنهم ليسوا كذلك: لا شك في أن الحلفاء يعرفون كل كبيرة وصغيرة في إيطاليا، كما انه لا شك أيضاً في أن موقفهم هذا له ابعاده السياسية ولكن علينا أن نقف قليلاً لنسأل أنفسنا عن معنى الحرية وما هي الحرية؟.

لقد قال المستر ونستون تشرشل ذات يوم... إن هناك بعض الأسئلة العادية جداً والإجابة عليها تجعلنا نقيم أنفسنا في هذا العالم الحديث.

فالحرية في زمن السلم لها مقومات كثيرة جداً وقانونية وهي طبقا لمستلزمات الناس وما يتفق عليه الناس وما يتماشى مع الاخلاق الفاضلة والفضيلة.

أما في زمن الحرب فليس للحرية إلا التزام واحد فقط وهو الدفاع عن الوطن بامانة وجدية تحت قيادة يطمئن إليها الشعب.

ولكن كيف يكون الحال إذا اعطت الدولة حرية المواطن ونسفت حقوقه وفرضت سيطرتها عليه بالحديد والنار كما يجري هنا في إيطاليا؟.،

إن الفلاح المنتج والعامل الكادح الذي يكسب قوت يومه من عرق جبينه وجهده المتواصل ويصارع من أجل الإبقاء على حياة أسرته هو من ذلك ليس حراً في (إيطاليا موسوليني) فهذه الفئات وغيرها من الإيطاليين

تعيش تحت وطأة الرعب والفزع الذي تثيره العناصر المتطرفة والخاضعة لتوجيهات الحزب الفاشي الأوحد الحاكم، أو بعض الدوائر الارهابية الأخرى كالجستابو مثلا أو البوليس السري السياسي الذي تلقى تدريباته على أيدي النازية في ألمانيا.

إن مثل هذه الاغلبية الكادحة صارت الآن ومنذ زمن مسحوقة تتحمل على اكتافها الضربة تلو الضربة وتتعرض لأحكام جائرة دموية قاسية وبفيضة.

أفلا يحق لها بعد المعاناة أن ترفع السلاح في وجه الفاشية والنازية على حد سواء؟ وهذه هي الأسئلة البسيطة التي نريد أن نقيم أنفسنا بموجبها ونبحث عن الإنسان الشريف المخلص الذي يستطيع أن يبني ما أهدم في إيطاليا من جديد.

لقد كان من السهل جداً على الجبهة الوطنية الإيطالية أن تراجع جميع خطابات زعماء الدول الحليفة وبصفة خاصة خطابات ونستون تشرشل التي كانت كلها شبه خالية من التحامل على الفاشية والنازية بقدر ما هي منصبة على الشيوعية فقط.

ولكن هل تستطيع الجبهة الوطنية بهذا الخيار الصعب أن تواصل كفاحها في ذلك الوقت بدون القوى الشيوعية التي تشكل جزءاً مهماً في هذه الجبهة؟.

لقد أضحى الموقف الآن يكسوه الضباب والغموض بعد أن كادت هذه الجبهة الوطنية أن تقيم علاقات طيبة مع البريطانيين ولكنه على ما يبدو من خلال المعطيات المفاجئة فإن هناك نية دولية في أن إقامة الحكم الجمهوري الجديد في إيطاليا بعد سقوط الفاشيست لن تشترك فيه القوى الشيوعية الإيطالية العاملة مع الجبهة الوطنية.

ومما لا شك فيه فإن منشور الجنرال الكسندر الذي تلاه بيان رسمي للحلفاء بخصوص إيقاف العمليات الحربية بسبب العوامل الشتوية له

مغزاه الدولي، وبالأصح فإنه يعني إيقاف نشاطات العناصر غير المرغوب فيها حتى لا تشترك في إقامة الجمهورية الإيطالية الجديدة بعد انتهاء الحرب.

وبينما ظلت الجبهة الروسية مستمرة في قتالها ضد النازية وتتقدم إلى قلب أوروبا أوقف «الانجلو أمريكي» عملياتهم الحربية على الجبهة الإيطالية طبقاً لما جاء في منشورهم.

ولعلهم يريدون بذلك تغيير استراتجية الجبهة الوطنية الإيطالية بإعادة تنظيماتها وتركيزها على مقاومة الشيوعية والفاشية والنازية على حد سواء.

أما بنيتو موسوليني فقد لمعت في مخيلته بارقة أمل وهمية حيث فسر التوجهات الجديدة للحلفاء بعد منشور الجنرال الكسندر الذي اعقبته بيانات رسمية أذيعت في واشنطون ولندن حول وقف العمليات الحربية على الجبهة الإيطالية فسر هذا العمل بأن نية الحلفاء الغربيون باتت واضحة الآن لضرب الروس مباشرة بعد قيام دولة إيطالية جديدة مناهضة للشيوعية، على أن تبقى هذه الدولة الإيطالية مسالمة وقاعدة للحلفاء ينطلقون منها للاجهاز على القوات الروسية في أوروبا بعد سقوط برلين مباشرة قبل أن تجمع هذه القوات الروسية صفوفها وتسترد قواها.

وفي هذه الحالة كما فسرها موسوليني في تحليلاته المهزوزة فإنه لا يمكن الاستغناء عن وجود الحزب الفاشيستي باعتباره المهيمن على إيطاليا تحت زعامته هو شخصياً لأنه العدو اللدود للشيوعية.

وقال موسوليني لحوارييه بعد هذه التأويلات الخالية تماماً من الواقعية:

والآن أيها السادة فإنه لا ينقصنا إلا كيفية الاتصال بالمستر ونستون تشرشل الذي كان يحترمني في وقت ليس بعيداً لنعرض عليه رغبتنا.

لقد كان موسوليني منذ وقت قصير ماضي قادراً على أن يقنع غيره بفكرته، وكان بمجرد أن يفكر في شيء ما يجد من ينفذه على الفور، وكان

قادراً أيضاً على الحسم بالوسائل الإكراهية. أما الآن... فإنه لا يقدر إلا على التخمينات المفرطة في الغرور والأوهام.

وعلى العموم فقد قال موسوليني لمن حوله، يجب أن نتصل بالسفير الإيطالي «فيليبو انفوسو» الذي ما زال متواجداً في لندن لنبحث معه هذا الأمر.

بيد أن موسوليني كان قد نسي في هذه اللحظة الوضع الذي يحيط به، أو هكذا فقد سول له غروره أن يتناسى الجبهة الوطنية الإيطالية العاملة ضده وضد حزبه الأسود وموقفها منه، وخاصة الحزب الشيوعي الإيطالي الذي سبق له وأن أعلن مراراً بأن موسوليني «مجرم حرب» وقد ادرج اسمه في قائمة مجرمي الحرب الذين سوف يقدمون للمحاكم الحربية لمعاقبتهم بالإعدام بدون رحمة.

هكذا كان يخمن موسوليني بأنه يعيش، وسوف يحكم إيطاليا من جديد لأن الحلفاء في حاجة إليه، ولأنه سيعطيهم موطأ الأقدام لضرب الروس من الخلف وإنه سيشكل جمهورية إيطالية حليفة للغرب ومن ثم فقد يستطيع تصفية الحساب مع خصومه والعودة إلى ميلانو... وهو مطمئن على حياته التي صارت تزحف نحو الاختفاء.

«موقف الحزب الشيوعي الإيطالي»

ميلانو في أوائل شهر نوفمبر عام 1944.

تناول «لويدجي لونغو» رئيس الحزب الشيوعي الإيطالي العامل فعلياً مع جبهة المقاومة الوطنية الإيطالية. تناول ورقة صفراء شفافة وأخذ يسطر عليها موضوعاً معيناً.

وقد انفرجت شفتيه ووجنتيه النحيفتين عن ابتسامة خفيفة كعادته دائماً حينما يريد أن يتناول أمراً ذي بال.

وقد كان لونغو بطبيعة الحال محكوما عليه بالموت من قبل الفاشيين، ولكنه لم يقع بين أيديهم لشدة يقظته وحرصه على نفسه إلى أبعد الحدود.

وإلى جانب يقظته وحرصه كان أيضاً سياسياً داهية بل سياسياً مخضرماً.

وكان الموضوع الذي صار لونغو يسطره على تلك الورقة الشفافة الصفراء أقل ما يقال فيه أنه وثيقة تاريخية اطاحت باحلام موسوليني حيث ارتفع لونغو في صياغتها إلى قمة البلاغة والتحليلات المنطقية التي دمرت كل التحليلات الأخرى للذين كانوا يحلمون، بل جعلت افئدتهم ترتجف من الخوف والألم.

إنها عبارة عن وثيقة تفسيرية لمنشور الجنرال الكسندر الموجه إلى الجبهة الوطنية الإيطالية بشأن إيقاف عملياتها الحربية اسوة بجبهة الحلفاء

الغربيون الذين أوقفوا نشاطهم القتالى بسبب العوامل الشتوية أو هكذا يدعون.

هناك عدة وثائق تعتبر تاريخية نظراً لما تحتوي عليه من تعبيرات أدبية قيمة.

وهناك عدة وثائق أخرى تعتبر أكثر من ذلك أهمية نظراً لما تحتوي عليه من اتجاهات إيجابية وأهداف وطنية كدليل عمل واضح يحرض المرء على المضي إلى الأمام ويزيل أمامه كل أسباب الغموض والشكوك وهذا ما لجأ إليه لونغو في صياغة وثيقته تلك التي جعلت موسوليني جثة جامدة بدون حراك.

لقد كانت نجاة «لويدجي لونغو» من براثن الفاشيست ليست أمراً مرغوب فيه وحسب في تلك الظروف القائمة التي تمر بها إيطاليا وإنما صارت أمراً طبيعياً يتطلبه الوطن إذا يجب أن يعيش لونغو الرجل السياسي المحنك الملتزم الذي لازم الاحداث منذ بدايتها وكان عاملاً فعالاً قوياً في انصهار الأحزاب الإيطالية العاملة في بوتقة واحدة اسمها جبهة المقاومة الوطنية المناضلة ضد الفاشية والنازية باخلاص.

كما كان له الفضل أيضاً في تجنيب البلاد من الاندماج في كارثة حرب أهلية مدمرة.

لقد صارت الورقة الشفافة الصفراء التي خط عليها لونغو وثيقته الوطنية التي تلقفتها أياد رؤساء الأحزاب الإيطالية العاملة في الجبهة الوطنية من يد إلى يد فوق الجبال، صارت تلك الوثيقة موضع مناقشات بين ملايين المقاتلين.

ولكنها صارت أيضاً مثار جدل وخلافات، بل صارت مقدمة للعنف والتهديدات المسلحة بين زعماء الجبهة.

ومع ذلك فقد اثبتت تلك الوثيقة تاريخياً بأنها كانت نواة غرس شجرة الحرية وبناء إيطاليا من جديد.

لقد سطر «لويدجي لونغو» بأنامله الناعمة وثغره المبتسم تلك الوثيقة التاريخية حيث أوضح فيها تفسيراً فائضاً بالذكاء وبعد النظر لما يحتويه منشور الكسندر الموجه إلى الإيطاليين بايقاف العمليات الحربية خلال الطقوس الجوية التي تذرع بها الحلفاء الغربيون بانها قد عرقلت تقدمهم.

وهي ذريعة خارجية لتغليف المحتوى الحقيقي الذي لم يكن سوى إبعاد القوى الشيوعية عن الحركة الوطنية الإيطالية وفرزها ومن ثم عزلها لتظهر بعد ذلك في صورة صفوف الأعداء.

وهذا نص لويدجي لونغو:

إلى زعماء الأحزاب الوطنية المناضلة في القرى وفوق الجبال: يقول الجنرال الكسندر قائد قوات الحلفاء الغربيون التي تقاتل ضد الجبهة الإيطالية، يقول في منشوره أن قواته المحاربة قد لا تستطيع مواصلة القتال بسبب غزارة الأمطار والوحل وتساقط الثلوج التي تعرقل مسيرتها، وهو يطلب منا أن نحذوا حذوه ونوقف عملياتنا الحربية ريثما يتوقف المطر ويجف الوحل وأنا أفسر هذا الوضع وهذا المنشور الذي يحمل صيغة الأمر بأنه جد غريب ويشكل استرخاءاً خطيراً في موازين القتال في هذا الوقت الحاضر الذي بات فيه سقوط الفاشيست أمر وشيك الحدوث، ولكن مما يفهم بعد التحليلات الدقيقة لعبارات المنشور فإن الحلفاء الغربيين يريدون ربط الجبهة الوطنية الإيطالية بمدى تحركهم واغراضهم وان تسير وفقا لمشيئتهم نحو أهدافهم السياسية قبل الوصول إلى اهدافهم العسكرية.

وكان من السهل جداً، بل إنه من الواجب أكثر على الجبهة الوطنية المناضلة أن ترفض هذا المنشور شكلا وموضوعا ولا تعيره أي اهتمام باعتباره ينطوي على دسيسة قد تبعثر ما جمعناه ألم يقل الكسندر في منشورة الصقيع: عليكم أن تستفيدوا من أية مناسبة إذا كانت لا تشكل لكم خطراً؟.

أي أن تستمر الجبهة الوطنية في اصطياد الفاشيين والنازيين والمخربيين. فما معنى هذه العبارات الواردة في المنشور والخالية تماماً من أي

مبرر حقيقي يدعو إلى ايقاف نضال الجبهة الوطنية ضد الفاشية والنازية بصورة علنية؟.

ثم بأي حق يملكون الحلفاء عموماً الوصاية على جبهتنا المناضلة وهم العدو المعلن؟.

وعليه فإنه كل ما ورد في منشورهم أو بياناتهم الرسمية هي عبارات باطلة ومرفوضة قطعاً لأنها ليست عادلة ولا تمثل إلا الشقاق.

ولأنها متناقضة وتخفي في باطنها نوايا أبعد من ظاهرها. وأضاف لونغو قائلاً في وثيقته: ولذا فإنني أشجب بشدة وأدين كل عبارة قالها الكسندر في منشوره، وانني اتهم الحلفاء الغربيون بأنهم يحاولون إيجاد الفرقة بين المعسكر الإيطالي الواحد الذي يناضل ضد الفاشية وطرد النازية من البلاد لمصلحة الشعب الإيطالي الذي سلبت حريته.

ويجب أن لا تنسوا أيها الزعماء وجنود الوطن المناضلون أن كافح هذه الجبهة الوطنية الموحدة قد اصبح الآن بالنسبة لكل فرد في هذا المجتمع أمر جد حيوي وضروري، وليس مزاج أو لهو يمكن تركه متى نشاء، بل صار أمر واجب مقدس يحتم علينا القتال جميعاً من يوم إلى يوم ومن شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت من أجل كرامة المواطن وعزة الوطن والمعنويات العالية لجميع افراد الشعب الإيطالي المظلوم.

إنه بقاءنا ووجودنا وكياننا وحياتنا التي يجب أن نقاتل من أجلها جميعاً إلى أن نطهر البلاد من كل ظالم ودخيل.

فمن ذا الذي يحمي الوطن إذا لم نحمه نحن؟.

ومن الذي يدافع عن حريتنا وحرية أجيالنا القادمة والحاضرة إذا لم ندافع عنها نحن؟.

إنه شقاءنا كلنا الذي فرضه علينا بنيتو موسوليني وحكمه ويجب أن نقاوم هذا الشقاء.

كما يجب علينا أن ننظر إلى المستقبل البعيد، ولا ننظر إلى مدى الأيام

والأسابيع والأشهر، ولا يجب أن تكون بيننا خلافات ولا وهن في عزيمتنا ولا استرخاء في كفاحنا ولا جدال ولا خضوع لارادة اعداءنا.

أما قادة البلاد حالياً فقد اصابهم الشلل كما تعلمون جميعاً وهم الآن لا يفكرون إلا في انفسهم ومصيرهم. فقد تدهورت أوضاعهم وأصبحوا في قلق شديد يعانون منه ليل نهار، وإذا ما اتحنا لهم الفرصة واطعنا مشيئة الحلفاء واوقفنا عملياتنا الحربية وتراخينا عن ضربهم اليوم بسبب هطول الأمطار والأوحال، وغدا ستأتي تراكمات الثلوج ونستمر نحن في التقاعس وفك حزام النشاط وتحلو لنا الحياة تحت سحابات المطر بدون رائحة البارود.

فإننا إذا فعلنا ذلك فسوف يقومون هم بالتقرب للحلفاء بوسائلهم الشيطانية ويسلمون لهم مفتاح البلاد بدون قتال. ومن يدري بعد ذلك فقد يصبحون هم قادة البلاد من جديد والويل لمن رفع ضدهم السلاح.

«لويدجي لونغو رئيس الحزب الشيوعي الإيطالي ميلانو»

إن وثيقة لوغو الداعية إلى التمرد على أوامر الحلفاء ورفض التبعية وإن كانت ليست منشوراً عمومياً متوزعاً على جميع رؤساء الأحزاب في البلاد إلا انها قد تمكنت من نسف فكرة ايقاف العمليات الحربية ضد الفاشية والنازية سواء في الجبال أو المدن والقرى. بل نسفت حتى الاقتناع بذريعة هطول الأمطار والوحل وشجعت على أنه بالامكان مواصلة القتال حتى فوق الثلوج ودفعت العزم على الاستمرار إلى أن يتم اعدام موسوليني.

بيد أن لونغو لم يطالب في وثيقة علنا باعدام ذلك الدكتاتور العجوز موسوليني الذي ما زال يعتز بقيادة النظام ويحاول هذا الجلاد عبثاً أن يتحول إلى وسيط صلح مستحيل مع الحلفاء ليكون حليفاً لهم ويتقرب إليهم ليمسح كافة جرائمه في منشفة الحرب.

لم يطلب لونغو في وثيقته تلك اعدام الدكتاتور الشرير ولكن محتويات الوثيقة كانت في قمة الاستقلالية وفي غاية التحريض على مواصلة الكفاح الذي سيكلل حتما باعدام موسوليني.

وبعد اسبوعين فقط من تلك الوقفة المحيرة القصيرة ما بين منشور الكسندر ووثيقة لونغو اعترف الحاكم العسكري في روما باسم الحلفاء «بلجنة التحرير القومية الإيطالية» التي تمثل إدارة جبهة المقاومة الوطنية الإيطالية اعترف بها كإدارة رسمية تحكم البلاد الإيطالية في مقاطعات الشمال ومن حقها أيضاً معاقبة موسوليني واعوانه عندما تتمكن من إسقاط الجنوب الإيطالي الذي ما زال تحت هيمنة الفاشيست والنازيون.

وفي صبيحة يوم 16/ديسمبر/1944م حدث ما لم يكن في الحسبان حيث فوجأ الناس في ميلانو وضواحيها بألآف الجنود الفاشيست من أتباع موسوليني ينتشرون في جميع الميادين والشوارع والاحياء يلصقون على الجدران واعمدة الكهرباء آلاف المناشير التي تشيد بالزعيم موسوليني وتحمل صوره وكأنهم يحتفلون بمرور عشر سنوات فضية لحدث عظيم وكانت صورة الزعيم كما يلاحظ قد التقطت حديثاً بعد محاولته الأخيرة لاعلان جمهوريته الفاشلة حيث يبدو فيها هرما أهلكته السنون والمحن ولكنه مع ذلك كان يحاول أن يظهر في الصورة نشيطاً مسيطراً يخفي عجزه بالتفاته على يمينه متحاشياً مواجهة «آلة التصوير» وقد كانت عيناه شبه مغلقة ولكنه كان انيقاً في تسوية قميصه الأسود حول عنقه كأنه يريد الأخذ في الانهيار.

وقد صار أعوانه يعلقون مكبرات الصوت في كل مكان من مدينة ميلانو وفي المسارح والمباني المرتفعة.

وبعد قليل أخذت الناس تراقب وتتجمع وتتساءل ويكاد أن يكون السؤال واحد على الشفاه: إذا موسوليني لم يمت بعد؟ ولكنهم سرعان ما انتبهوا جميعهم إلى أن هناك جهاز تصنت ثبت تحت كل ناقل للصوت.

لقد كان الجميع يشتبه في أن موسوليني قد مات وانتهى بل كانت إيطاليا تعتقد بأن هذا الجلاد لن يرضى لنفسه بحياة القهقراء، ولكنه ما زال حياً على كل حال.

وها هي الصحف تنشر اليوم صوره وكلماته وتنسب إليه الاقوال المائورة.

ترى ماذا يعني هذا العمل؟ وما هو تفسيره إذا كان موسوليني لم يتكلم؟.

ولكن لا بد أن كل ما يجري الآن كان حقيقة، حيث أكدته صحيفة الكوريري ديلاسيرا التي خرجت في ذلك اليوم بعناوين ضخمة تشير إلى أفعال الزعيم ومؤلفاته ومقالاته العديدة منوهة عن تاريخ حياته الذي يبدو وكأنه قد «مات» ومما جعل أهل ميلانو يشعرون وكأنهم في حلم مزعج يهذون فيه بما لا يفهمون هو قيام أولئك الآلاف من الشبان الفاشيست بتوزيع العديد من الكتب والمجلات القديمة التي تحتوي على مؤلفات الزعيم ومقالاته التي تحدث من خلالها عن «أيام ميلانو الجميلة» «والزعيم وشعبه» «والتاريخ في عام» «والاحتفال بقيام الجمهورية الجديدة في إيطاليا» وغيرها.

ولقد تم توزيع تلك المطبوعات على الناس المحتشدة هناك وهي في شبه ذهول مما يجري أمامها دون أن تعرفه. وفي تمام الساعة الحادية عشر صباحاً من يوم 16/ديسمبر/1944م ظهر موسوليني على شرفة مبنى مقر الحزب الفاشي في ميلانو وقد صارت الشبيبة الفاشية تتجمع من كل حدب وصوب حتى لقد ازدحمت بهم الميادين والشوارع الرئيسية هاتفين بحياة الزعيم.

أما الزعيم ذاته فقد ظلت أسنانه تلمع وراء ابتسامته المنبثقة عن سروره المعبر عن اعتزازه بما يجري حوله من ابتهاج لم تره ميلانو منذ أكثر من عام.

وقد وقف شامخاً ببزته الرسمية الانيقة وصدره البارز الأمر الذي جعل الكثيرين من السذج يعتقدون بأن موسوليني ما زال رجل إيطاليا القوى وربما ليس شريراً كما يقولون عنه.

وقد تعالت أصوات الهتافات بحياة الزعيم مدوية تمزق السكون وتشق الفضاء تلازمها عاصفة التصفيق الحاد الذي كاد أن يحطم أجهزة «راديو ماريللي» عبر ناقلات الصوت المعلقة في جميع انحاء ميلانو.

كانت راكيلي موسوليني زوجة الزعيم في تلك اللحظة قابعة في بيتها إلى جوار جهاز الإذاعة المسموعة تنصت باهتمام إلى تلك الاصوات الصاخبة المتصاعدة في حماس منقطع النظير هاتفة بحياة الدوتشي فأيقنت المرأة ان زوجها «الدوتشي» قد إجتاز مرحلة الخطر فلا خوف عليه اليوم من ميلانو بعد أن استعاد سيطرته وهيمنته كما كان في السابق وها هو الآن سعيد جداً وان كابوس «ميدان لوريتو» قد زال وسقط ودفن تحت أقدام هذه الآلاف الهاتفة بحياة الزعيم.

وفجأة انطلق صوت الزعيم مدوياً كأنه الرعد القاصف يفرض الصمت والاستماع كما كان في عهد شبابه قائلاً:

أيها الأحباء.. أيها الأعزاء.. يأهل ميلانو العزيزة إنني لا أطيل عليكم مقدمة الحديث عما أشعر به اليوم من عزة وسرور، ولكنني سأدخل مباشرة في الحديث عن الواقع المهم، وذلك من خلال خطابي هذا اليكم اليوم.

بعد مرور أكثر من عام ونصف العام من ابتعادي عنكم، وبعد تلك الحادثة المروعة التي تمت في ميدان لوريتو، وما قبل ذلك من أحداث مؤلمة ضد الديمقراطية وكينونة الإنسان وبعد الجريمة الكبرى التي قامت بها الحكومة الأمريكية والمتملثة في عملية إنزالها في الدار البيضاء، بعد هذا كله أيها الأحباء ها أنا أعود إليكم لأقول لكم إن الأيام القريبة المقبلة هي التي سوف تثبت لكم وترد وحدها على سؤالي هذا «من هو الخائن؟» من الذي خان وطنه وما زال ماضياً في الخيانة؟.

أما بالنسبة لراكيلي موسوليني فإنها بمجرد سماعها لكلمة «الخيانة» عبر الأثير فقد قفزت وأقفلت المذياع قبل أن يكمل زوجها خطابه.

ولعل هذه العبارة قد أثارت في نفس راكيلي شجن وذكرى هزت كيانها ـ تلك هي ذكرى إعدام صهرها «غليادزو تشانو» زوج ابنتها «ايدا» الذي أعدمه الفاشيون في مدينة «فيرونا» في اليوم الحادي عشر من يناير عام 1944م.

ولقد اعتبر الفاشيين «تشانو» خائناً يوم 25/يوليو/1943م حينما تصدى لصهره موسوليني وطالب باسقاطه خلال آخر مؤتمر عام يعقده الفاشيست.

وبالرغم من صعوبة الألم الذي تكبدته راكيلي من جراء إعدام صهرها الشاب، إلا أنها قد اعتبرت تصرفاته «خيانة» ليس من الناحية السياسية وحسب، وإنما حتى من الناحية العاطفية التي تربطها بزوجها الدكتاتور.

وقبل اعتقال «تشانو» بيوم واحد كانت راكيلي قد قالت له وهي تضع أصبعها السباب نصب عينيه في تحد صارخ اسمع ياتشانو ـ إن زوجي ليس قطعة من أثاث في بيتك لتضعه حيث تشاء، وإنك أن وقفت ضده فسوف تدفع الثمن باهضاً.

وفي اليوم التالي لاعدام «تشانو» خرجت الصحف المحلية تنشر صوره وهو جالس بمعطفه الابيض أمام فرقة الإعدام في شبه التفاته نحو الفرقة التي رمته بالرصاص، وكانت معظم عناوين الصحف ومقالاتها تشيد بالعدالة الحقة.

في ذلك اليوم فقط رفض الدكتاتور موسوليني قراءة جميع الصحف حينما دخل عليه رئيس فرقة الإعدام لإعطائه التقرير النهائي عن عمليات الإعدام التي تمت بالأمس وجده مرتبكاً مرتعش اليدين ودموعه تبلل وجنتيه فسأله ما الخطب؟.

فقال الزعيم إنني التمس العذر لابنتي «ايدا» في نقمتها ضدى بعد أن فقدت زوجها.

لقد كانت نقمة ابنته «ايدا» قاسية جداً بالنسبة إليه حيث قالت لوالدتها راكيلي: قولي لأبي ليس أمامي إلا حالتين قد وضعتها لتقرير مصيري فاما أن أهرب ولم تروني أبداً واما أن انتحر.

وهذه العبارات المؤلمة التي تفوهت بها الأرملة الشابة الحزينة هي التي جعلت والدتها راكيلي تحس أيضاً بالألم الحاد يعصر مهجتها حينما تسمع

كلمة «خيانة» حيث تتذكر المصاب الجلل في فقيدها «تشانو» زوج ابنتها.

ولذلك قفزت كالسهم لتغلق المذياع حينما ذكر زوجها في خطابه كلمة «خيانة».

أما موسوليني فقد تابع خطابه يقول:

أيها الاحباء:

إن موضوع التسليم السري الذي سمعتم به، والذي تقرر يوم 8/سبتمبر المقبل فإنه كان من افكار الملك والمحيطين به ممن جرفهم تيار العمالة وقذف بهم خارج الحضارة الإيطالية، اضيف إليهم بعض العناصر الهزيلة في القوات المسلحة الملكية والتي لا تمثل الاغلبية، والتي لا تؤمن بالانتصار والتي يتزعمها «بادوليو» المنشق.

ففي يوم 15/مايو الماضي اصدر الملك الذي كنت قد خلعته حديثاً اصدر أمراً يقول فيه:

لقد آن الأوان لنقطع علاقتنا مع الألمان، وأن نستسلم للحلفاء دون قيد أو شرط وبين يدي الآن نسخة من هذا الأمر وقد سلم الملك المخلوع أمره هذا إلى «بادوليو» لينفذه في سبتمبر المقبل، ولكن أيها الاحباء، قبل أن يأتي ذلك اليوم، وهو الثامن من سبتمبر القادم سوف اقوم أنا بتكرار يوم 25/يوليو وهو يوم اعدام الخونة.

ولا بد لي وان أكرر ذلك اليوم واقوم بانقلاب جديد لتصفية الحساب مع من تجاوزوا حدودهم وتجاهلوا النظام الفاشي الذي ما زال قادراً على الحرب من أجل البلاد.

وأطلق ذلك الحشد الكبير موجة عارمة بالتصفيق والهتافات الصاخبة ضد «الملك وبادوليو» ثم انقلب الهتاف دوتشي دوتشي أنت الزعيم.

أما راكيلي زوجة الدوتشي موسوليني فقد كفكفت دموعها ولسان حالها يقول لقد كنت على خطىء لأنها منذ ثلاثة أيام قبل موعد الخطاب بسينما «ليريكو» بميلانو كانت راكيلي قد قالت لبعلها موسوليني بعد أن تذكرت

ميدان لوريتو لا تذهب إلى ميلانو لأنهم سيقتلونك هناك.

فقال موسوليني من هم؟.

أي واحد هناك.

فرفع موسوليني كتفيه بحركة تنم على عدم الاكتراث ثم ابتسم ابتسامة كان يقصد بها طمأنة زوجته ولكنها في نفس الوقت كانت ابتسامة ضعف تدل على اقتناعه بما قالته راكيلي ولكنه أصر على الذهاب.

وكانت راكيلي قد اعدت قائمة باسماء الأعوان الخلصاء الذي تثق فيهم شخصياً والذي في مقدروهم حماية زوجها منذ أن تطأ قدماه أرضية ميلانو واخراجه منها إذا لاح في الأفق خطر على حياته وذلك لأنه لم يكن رأس الطاغية موسوليني مطلوبا من الأحزاب العاملة ضد الفاشية والنازية ولا من أقارب ضحاياه قديماً وحديثاً فحسب وإنما كان رأسه مطلوب حتى من بعض زعماء الفاشيست انفسهم الذين لاحظوا الوهن يسيطر على سلطات الزعيم العجوز المنحرف بل وحتى من بعض العناصر الألمانية أيضاً.

ولقد أخذ موسوليني قبل أن يسافر إلى ميلانو لالقاء خطابه هناك تحت ضغط «الجستابو» أخذاً يزين هيئته البالية ويتعطر وهو الذي كان قد نسي نفسه منذ عدة أشهر فحلق شعر رأسه «صفرا» ولبس أفخر بزاته العسكرية ودس في جيب بنطلونه مسدساً صغيراً مرصعاً بالذهب ثم طلب من اعوانه أن يكون الخطاب الذي استبدله بالخطاب الذي سلمه له السفير الألماني مكتوبا بالحروف الواضحة حتى لا يحتاج موسوليني إلى استعمال نظارات القراءة ثم توجه إلى ميلانو في موكب تحفه عربات الحراسة المسلحة من كافة العناصر التي تؤمن به.

وهكذا بعد أن سمعت راكيلي ذلك التصفيق الحاد تصاحبه هتافات باسم الدوتش زوجها هدأت نفسيتها وقالت لخادمتها وهي تبتسم ما زال الشعب الإيطالي يحب بنيتو موسوليني.

«ميلانو في نفس اليوم»

كان موسوليني على يقين بأنه سيجد استقبالاً هائلاً من جانب ذلك الحشد الكبير الهائج من الشبيبة أتباعه الذين غصت بهم قاعة السينما التي أعدت لهذا الغرض حيث زينت أركانها الداخلية بالستائر الضخمة والخمائل المزركشة بالاشرطة القرمزية والفضية والذهبية إلى جانب الأزهار والرياحين حتى صارت كانها قبر مرمري تحيط به باقات الورود من كل ناحية.

ولكنه ايقن أيضاً أثناء القاءه لخطابه بأنه لا أحد داخل القاعة أو خارجها قد استوعب خطابه المتبخر في الفضاء في بادىء الأمر لأنه كان يتحدث بسرعة ويقلب أوراقه بسرعة كإنما يستعرض الأحداث تحت محنة وخز الضمير أو يريد أن يضع برنامجاً للحياة أم للموت.

ولهذا فقد توقف قليلاً عن متابعة الخطاب ثم ركز على العبارات الشفاهية قائلاً للحاضرين كرروا الهتاف بأعلى أصواتكم ضد «الملك وبادوليو» الخائنين، وشهروا بهم لأن المجتمع يريد أن يسمع ما يدور هنا بحق السماء فمن واجبنا أن نعرى زعماء الخيانة.

وما إن أتم موسوليني عباراته حتى انطلق دوي أصوات الشبيبة الفاشية كالرعد القاصف في الفضاء تهتف وتندد بأقطاب الخيانة الملك والمارشال بادوليو وبعض زعماء الدول الأخرى الذين تخاذلوا تحت تأثير

الحلفاء ثم توقف الهتاف واردف موسوليني قائلاً بعد أن ملأ الغرور صدره بالكبرياء.

حقا لقد عانا الشعب الإيطالي وتحمل فوق القدرة البشرية من جراء هذه الخيانات الجماعية والفردية على المستوى المحلي والخارجي.

وكان يقصد بكلمة «الخارجي» الألمان وذلك لارضاء أهالي ميلانو الذين تجمعوا تحت ناقلات الصوت في معظم شوارع ميلانو المنكوبة لينصتوا إلى الخطاب إذ لعله يتطرق إلى فاجعة ميدان «لوريتو» وها هو موسوليني ينوه عنها الأمر الذي جعل ضباط المخابرات الألمانية سي سي المتواجدين في القاعة يقطبون حواجبهم.

ومضى موسوليني يقول:

ولقد حان الوقت كي أقول للإيطاليين وحلفاءنا الألمان واليابانيون إن الاتفاق الذي أبرمته إيطاليا في سبتمبر عام 1943م ما زلت اعتبره قائماً «حسب اعتقادي» بالرغم من الإهانات الراهنة التي لحقت بالجمهورية الإشتراكية الإيطالية الجديدة فوق أرضها.

إن كلمة «حسب اعتقادي» بين القوسين التي أشار إليها موسوليني باصابعه تعني انه قد لا يريد إدانة الألمان مباشرة بسبب إهانتهم للشعب الإيطالي الممزق خاصة وإن خطابه هذا جاء بعد الرسالة التي كان قد بعث بها إلى صديقه «جوبلز» عن طريق السفير الألماني «راهن» كما تزامن الخطاب مع فرض الضريبة الحربية على سكان شمال إيطاليا من قبل السلطات الألمانية وإنما يريد موسوليني أن يجعل صوت السلطة الألمانية أقل من صوت سلطاته المتداعية ريثما يأتيه الرد من عاصمة الرايخ.

واسترسل موسوليني في خطابه يقول:

إن تعاوننا مع الرايخ والمبرم في 30/سبتمبر/43 هو عبارة عن اتفاقية خاصة تمثل رقما محدداً نضع بموجبها تحت تصرف الألمان عدد 786ـ ألف جندي إيطالي وبعض العمال الإيطاليين في المصانع الألمانية «وهنا ضغط

موسوليني على شفته» ثم انفجرت كلماته بقوله. . ولكن هنالك بعض المعطيات غير قابلة للجدل لأن مصادرها ألمانية.

تبادل ضباط المخابرات الألمانية المتواجدين في قاعة الاحتفال النظرات مع بعضهم البعض كما لو كانوا يريدون القول «أية لعبة يريد أن يلعبها موسوليني من وراء هذه العبارات»؟.

لقد كانت فكرة مجيء موسوليني إلى ميلانو والقاء خطاب فيها ليست مقبولة لدى الحاكم العسكري الألماني في ميلانو ولكنها كانت فكرة «الجستابو» التي لا تقاوم.

وحتى موسوليني نفسه لم يكن يرغب في هذا في بادىء الأمر بيد أنه لم يجد مفراً من إلحاح السفير الألماني تحت وطأة المخابرات الألمانية.

وأخيراً فقد صرخ موسوليني أثناء خطابه بأعلى صوته قائلاً: انني أسير الألمان انقذوني أيها الإيطاليون.

وما إن أكمل موسوليني عباراته المستغيثة حتى امتدت بعض الأيدي الألمانية اللاشعورية إلى سحب المسدسات من أغلفتها في حين كان ضباط الفاشيست أسرع منهم حيث تواجه الفريقان مواجهة كادت أن تؤدي إلى مذبحة داخل السينما لولا أن استدرك موسوليني بأنه قد حرك طرف الخطر في خطابه ولكنه أي موسوليني تمكن من احتواء الموقف الساخن بأسلوب ناعم لإقناع أعوانه بالصبر والتخلي عن العنف فتظاهر بقوله يا أصدقائنا وحلفائنا الألمان انني وأعواني وعلى رأسهم بافوليني وفرناتشي يمكننا التخلي حتى عن الفاشية على أن لا نشهر السلاح في وجوهكم وأن نبقى مواطنين عاديين إذا كان هذا يرضيكم.

ومضى موسوليني يتابع خطابه المبعثر قائلاً:

نحن لا نرفض مبدأ التعاون حتى مع خصومنا ونحترم الحوار والمناقشات حتى مع المعارضة وندعو إلى الوحدة الوطنية ولكننا ضد محاولات الانفصال.

وكـان موسـوليني يقصد ذلـك الماضي البعيـد عندمـا حاولت صقليـة الانفصال عن إيطاليا في عام 1922م فأراد أن يحرك هذه المحاولـة اليوم في شهر ديسمبر 1944م حيث كشف عن نيته فقال أنا لا اعترف بأي انفصال إلا إذا كـان اخوتنـا الصقليون يـريدون الآن الانفصـال عن إيطاليـا الملكية وانضـمامهم إلى جمهوريتنـا الإشتراكيـة الجديـدة فمرحبـا بهم في «بولـزانـو» العاصمة.

أمـا إذا كانـوا ليس هذا قصـدهم الآن فإنني اعتـبر أي انفصال هـو خـروج عن القانـون ويجب التصدي لـه بكل حـزم لأن الوحـدة الـوطنيـة الإيطالية أقوى من أن تفصل وهي كـالصخرة ليس لهـا مثيل في أي مجتمـع آخر.

وهكذا صار موسوليني يهذي من خلال خـطابه المتنـاثر انمـا يريـد أن يبدأ من حيث قد ينتهي مركزاً هذه المرة على حرية الحوار والوحدة الـوطنية وهي عبارات يعرفها حتى الاطفال.

وبعد أن افرغ موسوليني ما في جعبته من ثرثرة في خطابه عاد تحيط به زمرته من كل ناحية وسط هتافـات صاخبـة وحراسـة مشددة تحت مسئـولية الفاشي الأسود «اليساندرو بافوليتي» ومسـاعده «بـاروكو» يـرفعون الأعـلام السوداء في سيارة خاصة إلى ميدان لوريتو حيث وجدو هناك دبابة ألمانيـة في انتـظاره فركبهـا ثم سارت بـه إلى ميـدان «سـان سيبـولكـرو» حيث وجـد المارشال غـرسياني في انتـظاره أمام مـدخل المبنى الـذي كان مـوسوليني قـد أسس فيـه حـزبـه الأسـود في 23/مـارس/1919م وبعـد دقـائق خـرج الدكتاتور العجوز إلى جمهـور الصبية الفـاشيين الـذين احتشدوا أمـام المبنى فأخذ يحييهم بيده من الشرفة على الطريقة الفاشية يغمره الغـرور والابتهاج وربما كان هذا آخر لقاء بهم - ثم ألقى فيهم كلمة جاء فيها:

أيها الأصدقاء شباب ميلانو لقد شعرت اليوم وأنا أدخل بلادكم بـأن شعب ميلانو قد نال منه البرابرة فأصابوه بجراح ولكن شموخ هذا الشعب وتـلاحمه الـظاهر جعله يسمـو فوق الجـراح بالـروح الإيطاليـة المتأخيـة من

الشمال إلى الجنوب الإيطالي.

«قال موسوليني هذه الكلمة وهو ما زال ينكر بأنه هو وحده الذي دمر إيطاليا ووحدتها الوطنية» ومضى هذا الدكتاتور بقول:

أيها الاعزاء: لقد صار العدو يزحف إلى الجنوب ولكن قواتنا الباسلة صدت تقدمه ولا شك في أن الشعب الملتزم بالدفاع عن وطنه سوف لن يهزم ولن يلقي السلاح إلى آخر يوم بعد الانتصار على الأعداء فإن الوطن يستحق التضحية.

وهنا أخذ الضباب ينثر رذاذه حوالي الساعة الخامسة مساءاً حيث أنهى الطاغية كلمته القصيرة ودخل ليجلس مع أعوانه في حين ظلت الشبيبة الفاشيستية محتشدة في الميدان هاتفة باسم الزعيم وقد بدأ الحوار واستعرض حصيلة اليوم والأمس بين كبار الفاشيست وزعيمهم موسوليني وفجأة وضع موسوليني يده على كتف الجنرال «فيتشينزو كوستا» قائلاً له أمازلت مصراً على انسحابك من «فالتالينا»؟.

وهذا السؤال عن الانسحاب العسكري جاء بعد أن كان موسوليني منذ ساعات يبشر بالانتصار وصد العدو الزاحف نحو الجنوب.

فقال كوستا بتلهف نحن مستعدون أيها الزعيم. أما جبهة «فالتالينا» هذه التي يتحدث عنها الطاغية المخادع موسوليني كادت أن تسقط في يد الحلفاء لولا الخطة التي وضعها الفاشي العنصري المتشدد «بافوليني» بالاتفاق سراً مع سيده موسوليني وهي الخطة التي كانت السبب في عدم سقوطها إلى هذا الوقت وها هو موسوليني يسأل الآن أحد قواده عن موضوع الانسحاب من «فالتالينا» متظاهراً بحسن النية في حين كان هذا المخادع يخفي شيئاً يريد تحقيقه من خلال هذه المنطقة لأنه منذ أسابيع قبل خطابه في ميلانو كان موسوليني قد تحدث مع السفير الألمان «راهن» حول امكانية تدعيم جبهة فالتالينا بالعناصر الألمانية المقاتلة غير أن السفير الألماني قال لموسوليني نحن لا نستطيع إبقاء هذه المنطقة تحت سيطرة الإيطاليين هل

تعرف لماذا أيها الزعيم؟ لأنها قريبة من «سويسرا» ونخشى أن يتهرب رجالك من خلال هذه الثغرة وتبقا أنت لوحدك في إيطاليا.

ولهذا السبب قام موسوليني بتكليف نائبه بافوليني بوضع خطة للدفاع المتسميت عن سقوط «فالتالينا».

ثم أبرق موسوليني شخصياً إلى «هتلر» بعد الذي سمعه من السفير الألماني راهن ولكن هتلر تجاهل البرقية بعدم الرد عليها.

ومن خلال الحوار الذي جرى بين الزعيم موسوليني وأعوانه وضباطه الكبار وبعد غمرة الاحتفالات واستغراض الوقائع بدأ اليأس ولإنهيار النفسي يغزوان أوصال الزعيم العجوز ولكنه أصر على عناده وخداعه حيث قال لمن حوله أنا ما زلت حراً أقرر ما أريد وأختار الانتحار بطريقتي الخاصة.

لقد كان موسوليني متمسكا بالدفاع عن فالتالينا لشيء في قرارة نفسه ولذا طلب من الجنرال أن يأتيه بخريطة هذه المنطقة للاطلاع عليها بنفسه واحضر كوستا الخارطة وأخذ يوضح لزعيمه حدود المنطقة ومسافاتها ومنافذها إلى برلين وسويسرا حيث صار موسوليني يدقق في المنافذ الأمر الذي جعل الجنرال كوستا يدرك مقصد الزعيم فقال له:

نحن يجب أن ننتصر وكفانا تخمينات، وأضاف يقول فإذا لم نؤمن بالانتصار فلماذا نحيا؟ قال ذلك بلهجة تحكمية كعادته عندما كاد أن يكون لغزاً يحير من حواليه.

ثم أردف يقول موجهاً حديثه إلى كوستا إنك وطني متحمس يا جنرال كوستا ولكن هناك جوانب كثيرة غابت عن بالك بالنسبة لأهمية فالتالينا فقد كان من الممكن أن تبني هناك محطة إذاعة مسموعة ومطار للطائرات المروحية على الأقل ومطبعة لطبع المناشير وتوزيعها على المقاتلين

هناك وان تجعل من «فالتالينا» قلعة مستقلة نحتاجها في عدة مواضيع هامة غير أن هذا النسيان لا يمنعني من أن أطلق عليك لقب بطل فالتالينا وما عليك الآن إلا أن تعمل ما غاب عن بالك في أسرع وقت ممكن.

ثم قال رفعت الجلسة:

«ميلانو في يناير 1945»

كان هناك رجل يدعى «فيروتشي باري» ترافقه امرأة هي زوجته حيث وقفا أما مدخل السجن في روما تحيط بهما الحراب من كل ناحية وهما يبتسمان ابتسامة الألم من جراء المفاجأة غير المتوقعة وكان ذلك اليوم هو يوم الذكرى السنوية لزواجهما فدخلت المرأة أولاً ثم زوجها.

كان باري في الخامسة والخمسين من عمره وكان منذ أشهر قليلة مع «لويدجي لونغو» رئيس الحزب الشيوعي ورئيس الفرقة المدنية المتطوعة لتحرير البلاد من النازية والفاشية وقد ظن باري عند دخوله وزوجته إلى هذا السجن بأنهما سوف يتعرضان للتحقيق وربما للتعذيب أو أن يستبدل بهما أحد الضباط الألمان الكبار الذي تم اعتقاله من قبل الحلفاء أو الأحزاب المقاتلة في الجبهة الوطنية الإيطالية.

ولم يكن باري شخصية مرموقة على أعلى المستويات فقط. وإنما كان أيضاً من بين الأربعة رجال الذين وقعوا «ابروتوكول روما» مع الجنرال «ولسون» أحد قادة الحلفاء في يوم 7/ديسمبر/1944م والقاضي باعتراف الحلفاء باللجنة الوطنية الإيطالية التي تمثل كافة قطاعات جبهة المقاومة الإيطالية المناهضة للفاشية والنازية بانها هي السلطة الشرعية في شمال البلاد ولها صفة الدولة.

وبينما كان باري وزوجته ينتظران البدء في التحقيق والتعذيب فإذا بهما ينقلان من الزنزانة إلى فندق ريد جينا بشارع سان فيتوريو ومن هناك إلى معهد الضمان في «فيرونا».

إن بروتوكول روما يحمل بين طياته نموا قد لا يعرفه موسوليني أو لا يعرف منه إلا القليل لأن هذه «الوثيقة القانونية» كانت قد تم توقيعها حتى من الدولةالملكية التي ما زالت سلطتها تشمل جنوب إيطاليا وشمالها.

إذن فقد كانت هذه الوثيقة تربط بين السلطة التقليدية في البلاد وبين جبهة الكفاح المسلح التي تم الاعتراف الآن بلجنتها فاصبحت هي السلطة الجديدة التي يمكنها إدارة شئون الحكم وباري هذا أول من وقع على هذه الوثيقة وبهذا فقد أصبحت جمهورية موسوليني الإشتراكية الجديدة خارج الحلبة وخارجة عن القوانين الشرعية في البلاد ليس بالنسبة للإيطاليين والتاريخ فحسب وإنما حتى منطقياً وفي الدوائر القضائية.

ولقد كانت هذه الخطوة بمثابة عقدة في حلق موسوليني وجمهوريته الفاشلة.

أما بالنسبة لـ . «فيروتشي باري» فقد استقال من الكتيبة الوطنية المقاتلة التي كانت تحت قيادته كي يتفرغ تحت سمع وبصر الفاشيست والألمان للاشتراك في تشكيل الحكومة الجديدة ليشغل فيها منصباً من أعلى المستويات والتي من مهامها الأولى التفاهم مع الحلفاء بشأن الصلح وانهاء الحرب مع إيطاليا سواء رضا المحور أم غضب.

بيد أن هذه النقطة الأخيرة ما زال موسوليني الدكتاتور العجوز لم يطلع عليها لأنه ظل مشغولاً في همومه وتورطاته الخاصة التي صارت تؤرقه وتضيق عليه الحلقة الخانقة يوما بعد يوم بشكل مؤثر وفعال.

وفي شهر يناير 1945 وصل إلى يد الدكتاتور موسوليني منشوراً يتألف من 16 صفحة فأخذ موسوليني يتصفحه بشغف وهو جالس إلى جانب المدفأة المتوقدة والضباب ينثر رذاذه على النهر كعادته دائماً.

وسرعان ما جف لعاب الطاغية موسوليني حينما تركز بصره على عبارة «معاقبة موسوليني» فأخذ يتابع بقية الأسطر التي جاء فيها ما يلي:

ولكن إذا كنتم تكرهون موسوليني بسبب فاشيته أو بسبب الشر الذي فعله في إيطاليا وإسبانيا وإلبانيا واليونان وليبيا والحبشة أو بسبب الدماء البشرية الغالية التي أهدرها هذا السفاح في عدة مواقع أخرى فإنه من منطلق الضمير والواقعية يجب حتى معاقبة المسئولين الأنجليز الذين يعتبرون شركاءه في كافة الجرائم التي وقعت ضد الإنسانية.

فإذا كان موسوليني مذنباً فهم أيضاً مذنبون ويجب معاقبة الجميع معاقبة نموذجية تتساوى مع جرائمهم النكراء.

وقال موسوليني يحدث نفسه بعد أن توقف قليلاً عن متابعة القراءة: هذا مستحيل أن يكون أحد أعدائي هو الذي كتب هذا المنشور الذي جاء بما كنت أفكر فيه حتى أنا.

إنه مستحيل أن يعاقبني أي مخلوق دون أن يعاقب حتى أعدائي الحلفاء. . ولكن من كتب هذا المنشور الذي كانه من أعماق ما كنت أريد قوله للناس إذا ما تم اعتقالي ومحاكمتي في يوم من الأيام؟.

إنه مما لا شك فيه أن موسوليني مجرم أثيم ومدان محلياً وعالمياً إلا أن كاتب هذا المنشور الموقع باسم مستعار «كاسيوس» كان قد شمل حتى أقطاب الحلفاء وبالذات الزعماء الانجليز وهم: «أوستين شمبر لاين» واللورد روثمير» «وارد برايس» «ايميل لودويج» وأخيراً ونستون تشرشل رئيس الحكومة البريطانية.

وذلك لأن هؤلاء قد ساهموا بشكل فعال منذ البداية بسكوتهم عن تكوين الفاشية وظاهرتها الغريبة بقيادة موسوليني.

إنهم لم يقاوموها إلا بإسلوب معنوي ضئيل جداً مثلما فعلوا مع «البولشفية» عند ظهورها لأنهم لم يخجلوا ولم يند جبينهم حيال جميع الأفعال البشعة التي ارتكبها الفاشيون ضد الحرية والبشرية والعبودية التي عانت

منهـا الشعوب الـواقعة تحت سيـطرة هذه التيـارات الإرهابيـة العنيفة ولكن هؤلاء الزعماء البريطانيين وقع لهم الآن مثل حكايـة «الخرفـان» حيث يحكى أن هناك قطيعا من الخرفان وقع تحت يد أحد الجـزارين الذي أبـرز سكينه وأخذ يذبح الأول فقال الثـالث للثاني ربمـا لم نذبـح أنا وأنت لأننـا لم نفعل شيئاً ولكن الجزار ذبح الثاني والثالث والرابع إلى أن أتى على الجميع.

ظن موسوليني أن هناك من يحاول الدفاع عنه ولو بصورة غير مبـاشرة حيث حشره هـذا المدافـع مع الكثيرين من المتهمين إذن ليس وحـده الذي أصبح مجرم حرب؟ إلى هذا التصور العقيم ذهبت ظنون موسوليني بعـد أن صار غير قادر على الحكم على الأشياء وعاجزاً عن التقديرات.

وهنا لا بد لنا من العودة قليلاً إلى سنوات خلت لنقول: لقد ظهرت الفاشية حقيقة في وقت كانت فيه الرجعية الإيطالية تهيمن على كل مقومات البلاد كان ظهور الفاشية ليس محل صدفة أو عفوياً وإنمـا كان لمقـاومة هـذه الرجعية التي أفسدت كل شيء في إيطاليا ومـع ذلك فقـد تشائم الكثـيرون من ظهور هذا الحزب الأسود.

وقـالوا يـومها أن هـذه الظاهـرة الفاشيـة سوف تنقلب وتـرتكب مالم تستطع الرجعية الإيطالية ارتكابـه حتى لقد التحمت جميـع الجرائم القـديمة والحديثة وصارت من مسئوليـة هذه الفـاشية التي أصبـح زعيمها مـوسوليني الآن متهما بجميع ما وقع من جرائم على التراب الإيطالي وخارجه.

طوى موسوليني ذلك المنشور الذي اعتبره كشاهد على الحقائق بحيث سوف لن يكون وحده مجرم الحرب. ولكنه كان على يقـين بانـه سوف يقف يـوماً مـا في قفص الاتهام متمنيـاً في قرارة نفســه أن يكـون القـاضي الـذي يحاكمه بريطانيا.

إن هذا الذي نقدمه اليوم هو عبارة عن قضية فريدة من نوعها لرجل متهم بقـائمة ضخمـة من الجرائم فتصـور وهو في قفص الاتهـام في إحدى محاكم لندن يقف كدابة ضخمة مفترسة وشرسة وقـد كان بـالأمس القريب

رئيس لدولة معترفا بها من قبل الذين اسقطوها وهزموها اليوم.

ولكنه شيء بديهي وطبيعي أن يقف المنهزم أمام المنتصر في قفص الاتهام إذ لو فرضنا وانتصرت إيطاليا على الحلفاء وسطع نجمها في هذا الشأن لما تردد موسوليني في محاكمة أعداءه ولو لحظة واحدة.

بيد أن وقوف موسوليني في أحد أبراج لندن لمحاكمته سوف لن يكون مرضيا للشعب الإيطالي لأن القصاص منه مهما كان نوعه قد لا يمسح ما ارتكبه هذا المخلوق المتوحش في حق شعبه ووطنه وأيضاً سوف يكون هناك محامون يدافعون عنه وعن ظلمه ويدحضون الحق بالباطل هكذا علمنا التاريخ وتجارب من سبقونا إلى هذا المنعطف الصعب.

إن العديد من المحاكم قد لا تثق ولا تعتمد على الرصاصة التي أخرجها الطبيب من جسم القتيل حتى وإن كانت المحكمة قد تعتبر هذه الرصاصة كمبرزة من أدوات الجريمة إلا أنها قد تبرىء المتهم وكم من متهم وقف أمام المحاكم بذنوبه ثم أفرج عنه دون أن ينال العقاب.

وحتى الغضب الشعبي وسحق موسوليني بطفرة شعبية هائجة قد لن تكون من العدل في شيء لأنه قد يفسر هذا العنف بأنه انتقام حاقد شاركت فيه أغلبية الشعب دون أن تعرف أو أن تصل إلى اعماق المشكلة وإنما الشيء المنطقي هو محاكمة موسوليني على أيدي من اصابهم ظلمه حتى تقتنع الناس جميعا بادانته وتطرح جرائمه على المكشوف هذا بطبيعة الحال أفضل من محاكمة موسوليني على أيدي الحلفاء الذين بدون شك سيحاكمونه على انه أعلن الحرب ضدهم وسفكت دماء مواطنيهم على ارضية جبهات القتال ولكنهم سوف لن يحاكمونه عن ظلمة لمواطنيه وتسليم بلاده للنازية تعبث فيها كيف تشاء ولا عن تدخله في الحرب الأهلية الإسبانية طيلة أربع سنوات ولا عن ظلمه لليبيا والحبشة واليونان وغير ذلك ولا عن الخراب والدمار الذي لحق بإيطاليا من جراء تحالفه مع النازية ولا عن كونه عدوا للبشرية والديمقراطية وكل ما الأمر سوف يقول له القاضي: «بنيتو موسوليني» إنك متهم بأنك أعلنت الحرب على الحلفاء وتسببت في

سفك الدماء بين الأطراف المتحاربة هل أنت مذنب؟ وبالطبع سوف يقول موسوليني انني أنفي هذه التهمة.

وبعد أن طوى موسوليني ذلك المنشور الذي اعتبره كشاهد لصالحه وطاف بخياله حول الماضي البعيد والحاضر القريب انتابته نوبة صدرية أفقدته التنفس لعدة دقائق ثم استرجع أنفاسه وقد خطر بباله شيء ما فأخذ يفتش في أدراج مكتبه عن الصحف البريطانية القديمة حتى عثر على ضالته المنشودة وهي صحيفة «الديلي ميل» حيث صار قلبه يخفق فرحاً بعد أن كاد يفقد نبضه إذ لعل في هذه الصحيفة ما قد يجعل القضاة الانجليز يستعملون معه الرحمة والشفقة إذا كتب له الوقوف بين أيديهم.

وبطبيعة الحال فقد تصور موسوليني في تلك اللحظة بأنه سوف يندب له بعض المحامين الذي سوف يسلم لهم بدوره هذه الصحيفة التي اعتبرها الطاغية موسوليني بخياله الممزق بانها سوف تكون خير شاهد لصالحه وسوف ينده محاميه على أول شاهد وهو السير «اوستين شمبر لاين» لتسأله المحكمة عما كتب عن موسوليني في هذ الصحيفة عام 1923 ـ حيث جاء فيها ما يلي: إن السنيور موسوليني رجل معجزة ويعتبر عاملاً نموذجياً انني لا استطيع التدخل في الشئون السياسية لأية دولة ولكنني استطيع القول بأن السنيور موسوليني يستطيع أن يعمل لصالح بلاده ونموها ورفع المعاناة التي تثقل كاهلها بشكل فظيع.

وينده محاميه على الشاهد الثاني وهو صاحب الصحيفة نفسها السير: «لورد روثمير» الذي كتب على صحيفة يقول: «عام 1928 ـ إن السنيور موسوليني هو نموذج أكبر من عصرنا كله وموسوليني قد استولى بحق على التاريخ في القرن العشرين وهو أعظم حتى من نابليون الذي استولى على جزء فقط من القرن الثامن عشر عبر التاريخ.

وهكذا تبلبل فكر موسوليني بعد قراءته لذلك المنشور الذي ذكره بتلك الصحيفة الصادرة منذ عشرين عاماً وهي الآن بين يديه يتخيل ما يقوله القضاة الانجليز وما يدفع به محاميه وقد تصور كيف سيطلب الكلمة

ويجاب إلى ما يريد: إذا كان هناك عدل وإنصاف فيبدأ قائلاً:

لقد كانت الحرب خطأ مأساوي فظيع بالنسبة لي ولبلادي إيطاليا ولو أنني قد صنت يدي عن التوقيع على وثيقة إعلان الحرب. إلى جانب النازية في ذلك اليوم الأغبر لكنت اليوم معززاً مكرماً أيما عزة وتكريم وأنا واقف شامخاً في روما انظر إلى الاستعراض العسكري دون أن أفقد هيبتي وبلادي.

أجل... لقد ارتكبت خطأ وكلنا نخطىء ولكن هذا الخطأ أدى إلى فشلي ادينوني اشنقوني اعدموني رمياً بالرصاص ولكن وفروا على انفسكم خداعكم أيها الانجليز لا تقولوا «انني جاني» فلا يوجد قانون يشير إلى رجال الدول بانهم جناة وإن وجد فإنه لا علاقة له بالعلاقات الدولية فجميع قوانين العقوبات محلية ولا تطبق خارج موطنها.

وحتى وإن عاقبتموني فإن هناك من سيناضل للسيطرة على العالم وحتى وإن اعدمتموني فإن هذا الحدث قد لا يضع حداً لاستعراض القوة في العالم لأن القوة لرب الشعوب وهي القدسية التي لا تعرف الهزيمة طالما هناك عالم ووجود.

ولكنني اعترف بأني كنت غبياً وأحمق لأن هناك رغبة كانت تغزو نفسي وتدفعني إلى الزعامة لا سوق الناس كالقطيع أعبر بهم طريقاً دموياً قذراً لا لشيء إلا لأكون زعيماً هكذا عرفني العالم وعرفت نفسي بعد فوات الوقت وهكذا كنت طيلة عشرين عاماً متوحشاً وطموحاً.

ولقد كنت أطبع آثار أقدامي على نزعتي الشريرة مثلما يفعل الأسد بمخالبه حينما يفترس ضحية ثم يعود إلى عرينه ليتربص بضحية أخرى.

هكذا طبعت جروحاً عميقة في نفوس العديد من الناس تحتاج إلى سنوات كثيرة كي تندمل هذه الجروح.

إن كل هذه التخيلات وهذه الخواطر والاعترافات دوَنها موسوليني في أوراقه المتناثرة هنا وهناك فبعضها قد ضاع وبعضها نشر والكثير منها لم ينشر

بيد أننا تحصلنا على البعض منها فضميناه إلى هذا الكتاب الذي لم تنته قضية طبعه ونشره إلا بعد سنوات طويلة من التقاضي.

تابع موسوليني التحليق بخياله ثم كتب يقول:

قد لا أستطيع أن أقول عن نفسي أكثر من هذا القول الذى ربما لن يكون مقنعاً للكثيرين الذين يعتبرونه أقل من الحقيقة.

ولكنني اعترف بانني فشلت وإنما اعرف أيضاً وسيلة العلاج حقاً لقد غلبتني بريطانيا وهى تدوس على عنقي بحذائها القذر ولكن لا تطمع بالقبض علي دون أن أقاتلها وعليها أيضاً أن تنسى بأن إعدامي أمراً مشروعاً وقانونياً وأن لا تنسى بريطانيا بأنها مفترسة للمعنويات الإنسانية.

إن بريطانيا تناضل من أجل الإبقاء على مكانتها الدولية ولكنني على يقين بأن بريطانيا سوف تقع هي الأخرى في شر أعمالها ولسوف تواجه متاعب كثيفة ولسوف تصادف من هو عملاق أقوى منها بشعبه الذي يحمي ظهره وسيأتي اليوم الذي تنغلب فيه بريطانيا وتقهر بمساعدة الله على أيدي الشعوب بالرغم من غرورها ستهوى إلى الحضيض وربما سيأتي من يقيم تمثالاً لبنيتو موسوليني كرمز وذكرى بعد أن ينتصر على بريطانيا عدوة البشر.

لقد كانت تخيلات موسوليني هذه وما روته في أوراقه هي عبارة عن «هذيان» يوحي به خاطره الذي لم يعد يستلهم الواقعية ولهذا فقد ترك أوراقه ومدوناته تقذف بها الأرياح لأنها كانت خواطر سخيفة لا قيمة لها في التاريخ.

نقول سخيفة لأنها كانت نتيجة لهواجس الخوف من شبح مصيره الأسود ولأنها ربما كانت إيحاءات من وخز الضمير الذي كان متجمداً في كينونة هذا الطاغية إبان صعود نجمة إلى قمة الدكتاتورية الحادة التي لا تعرف الرحمة إليها سبيلاً.

لقد كان المجتمع الإنساني كله على امتداد هذا الكون الشاسع يعرف من هو «بنيتو موسوليني» مؤسس الفاشية ذات السلوك الشاذ والتي نكبت

بها إيطاليا وغيرها من بلدان العالم حقبة من الزمن كانت كئيبة وظالمة.

كان موسوليني يتمنى أن تصل أفكاره وهذيانه هـذا إلى اسماع النـاس في حينه ولكن حتى ولو وصلت فإن الناس لم تصدقه بل سوف تزيده ازدراء حتى على الأقل بأنه كان يتمنى أن يقف أمام محكمة بريطانية ثم ها هو يتنبـأ لبريطانيا بمصير مؤلم مثل مصيره أليس هذا هذيان مبين يهبط عليـه ليلاً قبـل النهار؟.

يقـول البعض إنه حينـما كان يتمنى مـوسوليني الـوقوف أمـام محكمـة بـريطانيـة كان يـريد فقط أن يسمـع الإنجليز هـذا الهذيـان وهذه التنبؤات وجهاً لوجه حتى يظهر أمام العالم في موقف الشجاع الذي لا يلين.

ونحن نقول كلا ليس هـذا الصحيح لأنـه لو كـان يقصد هـذا فعلاً وفقط لكان في إمكانه أن يفعل وهو في أوج ازدهار سلطته لا أن يتبادل مـع الزعماء البريطانيين عبارة التبجيل والمجاملة التي سبق ذكرها.

أما اليوم فقد صار يشعر بنهايته في داخله فلم يعد حديثه وتخيلاته إلا وهما وهذيانا لا يحفظه له التاريخ.

ولن يأت أبداً ذاك الذي حلم به موسوليني بأنه سوف يقيم له تمثـالاً كرمز للبطولة.

وبعد هذا الهذيان ذهب موسوليني إلى الـدكتور «زاكـاريس» الطبيب النفسي ليعـرض نفسه بعـد أن شعر بمـرارة الندم الـذي يعذبـه وجثم عـلى ركبتيه أمام الطبيب قائلاً بنبرة الحزن والألم:

أنا مريض يا دكتور وأريد أن أموت طبيعياً هنا وبسرعة.

وفي اليوم التالي اتصل موسوليني هاتفياً مع هتلر قائلاً له لقد عجزت واعترف لك بهذا العجز وأريد أن انسحب إلى الأبد.

نال التعب من قوى الطاغية موسوليني فأصابه الصداع وغشيت عيناه وأمسكت معدته من جراء تخيلاته وتحليلاته حيث أيقن بأنـه مدان لا محـالة وأنه إذا ما وقف أمام أية محكمـة فسوف يـطلب المدعي العـام من المحكمة

إصدار حكم الاعدام بدون شك ليس بسبب جرائمه الحزبية والحكومية وإنما بسبب هذه الحرب ضد ما يسمى بالعالم الحر فلهذا أخذ موسوليني يعد العدة للتخلي عن الحكم ويخطط للهرب خارج البلاد «إلى سويسرا» فصارت الأمور تختلط في خياله تتناقض أحياناً وتلتئم حيناً آخر فهو متورط في ألآف المشاكل السياسية والاجتماعية والدولية.

وبعد أن استراح قليلاً وخفت عنه تراكمات أطياف الخيال تناول القلم وسطر على ورقة بعض السطور الطائشة قال فيها:

لو قدر لي أن أعيش بعد هذه الحرب لسوف أصلح كل ما أفسدته تاريخياً في السنوات المقبلة.

ومن ضمن ما سطره موسوليني في تلك اللحظات الهادئة هذه العبارات:

لقد كان المستر ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا من أعز أصدقائي ولكنه أصبح الآن من أشد أعدائي.

حقاً فمنذ سنوات بعيدة وبعد تصفية النائب الإشتراكي «ماتيوتي» جسدياً من قبل السلطات الفاشستية قال تشرشل هذا بصراحة:

«لو كنت إيطاليا فإنه لا يسعني إلا أن أكون فاشيستياً عقائدياً موالياً لموسوليني».

ولقد كذب تشرشل وتملق لأنه لم يكن موسوليني شخصية جذابة ولا نموذجاً يستحق الاحترام بل على العكس فإنه من النوعيات التي تتلاشى شخصيته الذاتية والحكومية إذا ما قورنا حتى بأدنى الشخصيات الدولية الأخرى ولا يحترم الصداقة ولا يثق في أحد إلا في النائمون في قبورهم من هذه الحرب الطاحنة.

هكذا خطر ببال موسوليني أن يحاول الاتصال بصديقه القديم وعدوه الحديث تشرشل لعله قد يستطيع أن يساعده على الهرب لينفذ بجلده.

فلماذا لا؟ أليس تشرشل هو شريكه الآن في هذه الحرب المدمرة

للأرض والبشر فاصبحا مع غيرهما مجرمي حرب؟.

ولو فرضنا احتمالاً جاداً ووقع موسوليني أسيراً في أيدي بريطانيا ومثل أمام محكمة عامة أو عسكرية فهل يستطيع أن يطلب شهادة تشرشل؟ بالطبع يستطيع وربما سيقبل تشرشل بدفع شهادته ولكن هل ستكون لصالح موسوليني أم ضده؟.

هذا ما قد حير الدكتاتور مثلما وقع في نوفمبر عندما ارسل الجنرال الكسندر منشورة إلى زعماء الجبهة الوطنية الإيطالية يطالبهم فيه بوقف القتال خلال فصل الشتاء حيث حاول موسوليني آنذاك أن يتصل بتشرشل كتابياً عن طريق سفيره في لندن لطرح عليه موضوع تجديد الصداقة وإنهاء الحرب مع إيطاليا بيد أن هذه المرة لم تكن سوى عملية مقايضة بين الرجلين لأنه سبق لموسوليني منذ سنوات خلت وان انقذ حياة تشرشل حينما تعرض هذا الأخير لعملية اختطاف على أيدي جماعة تابعين «للمحفل الابتدائي» في إيطاليا والذين يختطفون رجال السياسة لارغامهم على قبول العضوية في «المحفل» أو القضاء عليهم. والمثل الإيطالي يقول:

«انقذني حتى لا ازعجك»

فكر موسوليني جدياً في أن يكتب رسالة سرية إلى صديقه تشرشل في هذا الخصوص ولكنه توقف عن الكتابة ولسان حاله يقول:

وإذا لم يقبل تشرشل بهذا العرض؟ وربما ستزداد الأمور سوءاً إذا نشرت هذه الرسالة على العالم كله «فماذا تكون النتيجة؟».

ويعود موسوليني إلى عالم خياله المرتبك فيقول في كتابه: ربما يقبل تشرشل بهذا العرض إذا تأكد من أن هتلر بعيداً عن هذه اللعبة وإنني جاد في انفصالي عن ألمانيا:

ولكن موسوليني مهدد باعتقاله من الجبهة الوطنية للأحزاب العاملة الإيطالية التي تقاتل في الجبال ضد النازية والفاشية في آن واحد.

صار موسوليني يواجه صعوبة أشد إذ كيف يتمكن من إرسال هذه

الرسالة لتسليمها إلى السفير الإيطالي في لندن ليسلمها بدوره إلى تشرشل يداً بيد؟.

وهل السفير نفسه موثوق فيه لمثل هذه المهمة؟.

وأخذ موسوليني يستعرض من خلال شريط خياله المتشتت اسماء بعض الخلصاء الذين مازالو موضع ثقته إذ لا بد أن يكون هذا الرسول غير معروف في الأوساط السياسية حتى لا يشتبه فيه من أية جهة لا سيما وإن الجستابو الألماني بفتح عيونه على كل من له صلة بالزعيم.

إذن لا بد أن يتم الاختيار المركز على رجل تهمه سلامة موسوليني وسلامته هو أيضاً من الوقوع بين أيدي المخابرات الألمانية أو الجبهة الوطنية الإيطالية العاملة أو حتى الحلفاء.

وهكذا أخذ يبحث موسوليني في مخيلته عن هذا النموذج أنه نموذج مثل «فرانز سبويجلر» ذلك الضابط الألماني الشاب الذي صار مع الأيام يرنو إلى حب «كلاريتا بيتاتشي» عشيقة الزعيم بعد أن كان يكرهها والذي نشبت زوجة الزعيم «راكيلي» أضافرها في عنقه حينما انتزع من يدها رزمة تلك الرسائل الغرامية التي كان يبعث بها زوجها إلى عشيقته.

ونتيجة للتجارب التي مر بها موسوليني في حياته منذ أن كان ينام في الطرقات وتحت الجسور إلى أن أصبح على رأس السلطة كامبراطور للفاشية قد لا يعجز أحياناً عن المقارنة بين نوعيات الرجال ومن هنا فقد وقع اختياره على رجل صورة طبق الأصل للمستر تشرشل في الخبث والدهاء وهو الضابط الألماني الشاب «فرنز سبويجلر» وهو الذي صار ملما باسرار موسوليني ويتحدث معه بكل صراحة حتى عن حب كلاريتا وكان فرنز يؤمن بسقوط النازية والفاشية ولم يخف إيمانه هذا عن موسوليني رغم أنه ضابط في الجستابو.

وحتى عندما هربت عشيقة الزعيم ذات ليلة خوفاً من المصير الرهيب لاحقها هذا الضابط في نفس الليلة حتى عثر عليها وارغمها على العودة إلى

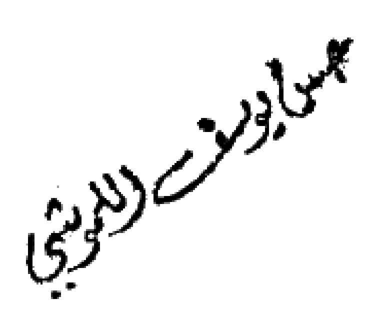
منزلها دون أن يبلغ إدارته الجستابية التي كلفته بمراقبة موسوليني وما يجري من حوله الأمر الذي جعله يزداد منزلة لدى موسوليني باعتباره يكتم السر ويعرف كيف يسدل الستارة على ما يريد إخفاءه.

إذن هذا هو رجل موسوليني المطلوب الذي أصبح موضع ثقة الزعيم وفي مقدوره توصيل هذه الرسالة إلى تشرشل بالوسائل التي يجيد معرفتها هذا الضابط الجستابي الخطير، كان يقيم هذا الضابط الألماني في منزل يجهله الجميع وهو عبارة عن بيت صغير منزوياً بين سفوح الجبال على مقربة من بلدة «فالتالينا» التي كان موسوليني يفكر في الهروب من خلالها إلى سويسرا وفرنز كان يعرف هذا السر.

ولقد فكر هذا الضابط هو الآخر في الهروب مع كلاريتا ويختفي بها نهائياً عن الأنظار تاركاً خدمته ونازيته للمصير المحتوم.

هكذا كان يفكر هذا الضابط الشاب فيما كان يفكر موسوليني في اتخاذه رسولاً إلى بريطانيا لعقد صلح منفرد مع تشرشل.

إنهما نقيضين فوق جسر واحد متصدع على وشك الانهيار.



«فيللا اورسولينا فبراير / 1945م»

حينما رفع موسوليني سماعة الهاتف كان المتحدث من الطرف الآخر هو وزير الداخلية «بوفاريني» فحاول موسوليني أن يتظاهر باللطف حيال محدثة فقال نعم قل يا بوفاريني.

بوفاريني ـ لقد وجدت نفسي مضطرا للحديث معكم حول استغنائكم عن خدماتي وبطبيعة الحال فهذا قراركم الشخصي وليس لزوجتكم أو السيدة التي على بالكم دخلٌ في هذا الموضوع ولكن ليس حقيقة ما يدور حولي من شبهات.

موسوليني: على كل حال يا بوفاريني أعدك بأني سوف لن أنسى لك ما قدمته من خدمات جيدة للحزب الفاشي والجمهورية الإشتراكية الجديدة.

بوفاريني: ارجو أن تعتبرني في إجازة تحياتي:

كان موسوليني قد بعث برسالة إلى وزير داخليته بوفاريني يخطره فيها بأنه قد قرر الاستغناء عن خدماته منذ شهر اكتوبر الماضي ولكنه أرجىء التنفيذ إلى حين.

وضع موسوليني سماعة الهاتف وتنهد من العمق لأنه قد أضاف عدواً آخر إلى قائمة أعداءه الكثيرين ولكن ماذا يستطيع أن يفعل أمام الحاح

زوجته راكيلي التي لم تعد تطق هذا الوزير الذي أهينت أمامه ولم يفعل شيئاً.

هذا بالإضافة إلى أن بوفاريني صار مشتبها فيه بأنه عميلاً للألمان.

إذن فقد أصبح بوفاريني خطراً على النظام والزعيم: ومن ناحية أخرى فإن بوفاريني هذا قد اعتبرته الجبهة الوطنية الإيطالية «مجرم حرب».

إن كل هذه المشاكل صارت في طريق موسوليني وأحلامه في الانتظار مثل الهروب والنجاة ـ تحالفه مع الألمان ـ الجبهة الوطنية المناهضة لحزبه وله شخصياً ـ زوجته ـ عشيقته وزراءه.

وفي اليوم التالي تحدث موسوليني مع وزير خارجيته «ميلليني دي ليون» حول استقالة بوفاريني فقال وزير الخارجية لزعيمه:

كل الناس تكره بوفاريني بمن فيهم الفاشيست والمناهضين لهم وحتى أنا شخصياً أكرهه جداً ولقد كانت إقالة بوفاريني بمثابة مدخل لموسوليني لقطع العلاقات مع الألمان والتوجه إلى الحلفاء بمسلك آخر غير الفاشية.

وبعد أسابيع استقبل موسوليني أحد أساتذة الفلسفة ويدعى «ايدموند وشوني» وينتمي هذا الفيلسوف إلى رابطة «الصليب المبارك» الذي لا يعد مواليا للفاشيست حيث قال لموسوليني: انني استطيع أن أساعدك.

موسوليني في أي شيء؟.

قال الفيلسوف لو تسمح لي بإصدار صحيفة مستقلة ناطقة باسم الإشتراكيين لاستطعنا فصلهم عن الشيوعيين وبالتالي توحد جنوب البلاد مع شمالها.

موسوليني: افعل ما بدا لك يا أستاذ:

وأضاف موسوليني قائلاً: هذا أفضل وحتى لو علم الألمان بهذا المشروع فسوف يجدون أنفسهم كالبهائم.

ترى ماذا فعلو الألمان حينما قام موسوليني بتنحية عميلهم بوفاريني؟.

فجأة دق جرس الهاتف وأول شيء تبادر إلى ذاكرة موسوليني قبل أن يتناول السماعة هو أن بوفاريني لا بد وأنه قد أخبر أسياده الألمان بعزله من الوزارة. وفعلا فقد كان المتحدث هو «وولف» مدير المخابرات الألمانية «س. س.» من فيللته بمنطقة «فاسانو».

قال وولف: أريد تفسيراً أيها الزعيم فمنذ لحظات كنت قد دعوت بوفاريني إلى وجبة عشاء ولكنه قال لي إذا كانت هذه الدعوة على أساس إني صديق فإنني أقبل وأما إذا كانت على أساس اني وزير فلا أقبل لأنني لست وزيراً منذ لحظات.

موسوليني: طيب يا وولف وجه له دعوة أخرى مهما يكن من أمر. وولف بنبرة المرارة هل عزلتم بوفاريني أيها الزعيم؟.

موسوليني بالضبط.

وولف: أجد نفسي مضطراً لأقول لك أرجو أن تسمح لي بالتوسط في هذا الموضوع وذلك بإعادة بوفاريني إلى منصبه لأنه موثوق فيه من وجهة نظرنا نحن الألمان وأخشى أن تكون محاطاً يا زعيمي بزمرة أولئك الخونة الذين يكرهون الألمان بعد غياب بوفاريني.

موسوليني: ليس لدي الرغبة في مناقشة إزاحة بوفاريني.
وولف: لا أمل في إعادته؟.
موسوليني: كلا كلا ـ تحياتي:

ولأول مرة يستطيع موسوليني أن يتحدث مع أي مسئول ألماني بهذه اللهجة ولكنها الشرارة الأولى أيضاً على ما يبدو إذ بعد ساعات من هذه المحادثة علم موسوليني بأن المخابرات الألمانية القت القبض على إثنين من كبار ضباط الشرطة التابعة لجمهورية موسوليني الإشتراكية بل أن أحد هؤلاء الضباط هو الملحق بسكرتيرة الزعيم نفسه ومقرب إليه ويدعى «توللیو تامبورين».

وضرب موسوليني المنضدة بقبضة يده حتى احدثت صوتاً مزعجاً ثم

اتصل هاتفياً على الفور بمن قد يحيطه علما بالتفصيل وهو وزير خارجيته ميلليني الذي اتصل بدوره بالسفير الألماني «راهن» حيث رد هذا الأخير بشيء فيه الريبة قائلاً للوزير لقد اتضح لنا أن هؤلاء الضباط المقبوض عليهم بأنهم يهود وهذا ما كنا نخشاه إذ أن الزعيم محاط بزمرة من الخونة وهذا ليس ذنبنا. وأضاف السفير الألماني قائلاً هناك اشتباه في أن تامبوريني هذا قد اتصل سراً بقيادة الحلفاء ثم وضع السفير السماعة بعد زفرة مسموعة.

وما أن أنهى السفير الألماني آخر عباراته حتى اتصل الوزير بزعيمه الذي رد قائلاً إننا لا نستطيع التفاهم على هذا النحو ثم أخذ يبحث في ذاكرته عما إذا كان السفير الألماني يشتبه في موسوليني نفسه بشأن محاولة اتصاله بتشرشل أم لا؟.

ولكنه أي موسوليني طرد هذه الأفكار من مخيلته وهو يقول كلا كلا إنني لم أبح لأحد بهذا السر فكيف يعرف السفير:

أما تامبوريني المقبوض عليه فقد كان رجل وليس ككل الرجال بالنسبة للزعيم الطاغية فقد كان تامبوريني من أخلص الأشخاص للزعيم وأشد عنصراً فاشيستياً إلى درجة الجنون طيلة اثنين وعشرين عاماً وكان هو المنفذ لأحكام الإعدام التي يصدرها الزعيم حيث نفذ الحكم في صهر الزعيم يوم 25/يوليو فقد كان هو ضمير الزعيم نفسه بل كان يخفي حتى عرائض الاسترحام الموجه إلى موسوليني ليتم التنفيذ بدون رحمة.

ولهذا فقد كان تامبوريني محبوبا لدى موسوليني بشكل ليس له مثيل وما القبض عليه إلا تهديداً للزعيم وتحرشاً به معنوياً وليس أمامه إلا أن يدافع عن قاتل صهره ولن يقبل موسوليني أي عذر من الألمان إلا بعد الإفراج عن رجاله حتى ولو أدى الأمر إلى تفاقم الموقف ولا بد أن تتنفذ استقالة بوفاريني التي كانت السبب في هذه الضجة.

هكذا عزم موسوليني على تصعيد الموقف وفعلاً بعد ساعات أذاع

راديو الجمهورية الفاشيستية الإشتراكية نبأ استقالة وزير الداخلية بوفاريني في بيان جاف بدون تعليق وفي اليوم التالي اتصل مدير اذاعة ميلانو بالزعيم قائلاً له لقد تلقيت أمراً من الألمان بوجوب تكذيب خبر استقالة بوفاريني فماذا أفعل؟.

موسوليني بعد لحظات من الصمت انفجر كالرعد قائلاً اسمعني جيداً يا هذا أنا الزعيم اتحدث لا بد أن يذاع مرة أخرى نبأ استقالة بوفاريني وإذا تدخلت الرقابة الألمانية في هذا الموضوع فسوف احضر أنا شخصياً إلى المحطة لتأكيد الخبر بنفسي وسوف اطردك من الإذاعة إذا لم تنفذ ما أمرتك به.

ثم ألقى سماعة الهاتف بعصبية شديدة وما هي إلا لحظات حتى أعيد إذاعة نبأ استقالة بوفاريني بناء على رغبة الزعيم.. كان هذا يوم 21/فبراير.

وفي يوم 22/فبراير حضر بوفاريني إلى جرنيانو حيث يقيم موسوليني ودخل على زعيمه الذي استقبله على الفور.

موسوليني : ماذا تريد؟.

بوفاريني : أيها الزعيم لقد غضبت كثيراً حينما علمت بأن الألمان رفضوا قراركم باستقالتي.

موسوليني : الألمان هم الألمان وأنا هو أنا.

بوفاريني : على فكرة يا زعيمي لقد مررت على حرمكم السيدة راكيلي قبل حضوري إليكم الآن.

موسوليني : وماذا قالت لك؟.

بوفاريني : قالت إن قراركم ليس محل جدل أو حتى نقاش.

الزعيم : طبعاً.

بوفاريني : إذن عليكم أن تتحملوا مسئولية رد الفعل الألماني.

موسوليني : يبتلع لعابه: وكادت رئتيه أن تتوقف عن التنفس.

ثم قال: اسمع يا بورفاريني إنك الآن في حكم المستقيل ولكنني استطيع أن أسند إليك مسئولية أخرى لم ينلها أحد من قبل والجميع يعرفون ذلك وهي أن تكون مسئول العلاقات بين الحزب والوزراء ثم أردف موسوليني يقول:

وعلى العموم يمكنك الاتصال بسكرتير الحزب بافوليني ليمنحك إجازتك وبعد ذلك سنرى في الأمر.

وبعد أربعة أيام استلم موسوليني تقريراً من سكرتير الحزب بافوليني يقول فيه:

بالأمس مساءاً حضر إلى بورفاريني يطلب الإجازة وبهذه المناسبة قلت له أن حقوقه في الحزب ستظل محفوظة كما لو كان ما زال وزيراً وذلك تفادياً لرد الفعل الألماني بشأن إقالته وتجريده من جميع سلطاته لأن الألمان ما زالوا راغبين في علاقتهم معه من أجل مصالحهم في إيطاليا. ومضى السكرتير قائلاً في تقريره:

وقد لا تكون هذه المقابلة ذات جدوى من حيث إيقاف الحملة الألمانية ضدنا وتصعيد موقفهم بيد أنها من ضمن التدابير للتخفيف من وقع التحديات بالرغم من أن ما فعلناه يعتبر إجراءات وشئون داخلية تخص إيطاليا وحدها دون تدخل الألمان.

لم يناقش بوفاريني موضوع إقالته مع سكرتير الحزب حينما جاء إليه يطلب إجازته ولم يأبه حتى للعبارات التي قالها له هذا الأخير حول حفظ حقوقه ومركزه كفاشيستي معتبر.

ولقد ورد في تقرير بافوليني بعض الجمل دسها السكرتير بين السطور مشيراً من خلالها إلى التجمعات التي تقوم بها الكتائب الحزبية الفاشية للقيام بمسيرة كبرى ضد محاولة إقصاء موسوليني نفسه عن الحكم يدبرها الألمان بسبب إقالة بوفاريني وضد التدخلات الألمانية في شئون الحزب والجمهورية الجديدة:

ومن هنا فقد تراكمت جميع المآسي على رأس الدكتاتور موسوليني فتزاحمت في مخيلته عناصر التناقضات النفسية والفكرية فتحطمت إرادته بفعل هذه المتناقضات المتراكمة فاجتاحه الخوف والفزع حتى أنه لم يعد يصدق ما يسمعه أو ما يقوله هو نفسه.

إنها حالة الارتباك النفسي الذي لم يعد موسوليني في مقدوره التخلص منه فقد صار يتألم كالمريض ولكنه لا يشكو من شيء معين في جسمه فتارة تنشرح نفسه ويطلب الطعام وفجأة يرفضه وتارة يبتسم من شدة الحزن وتارة يكفهر وجهه يحاول أن يبكي فلا يستطيع ويحاول النوم فلا يستطيع.

وفي الأسبوع الأخير من شهر فبراير 1945 ـ زار الدكتور «زاكاريسي» موسوليني في بيته وأجرى له تشخيصاً سرياً لتحديد أسباب المرض بأعراضه المتباينة فوجد أن موسوليني مصاب بانهيار معنوي وجسماني قد يفقده هذا الانهيار الطاقة البدنية والعقلية، وهي حالة في أعظم درجات الخطورة التي كان موسوليني لم يفكر في حدوثها إبان قمة طغيانه وتسلطه على الآخرين.

كان السنيو «فيروتش باري» رئيس المقاومة الشعبية لتحرير إيطاليا والتي تتألف من عدة أحزاب أطلق عليها اسم «الجبهة الوطنية» كان قد اعتقله الألمان حيث وضعوه في جب تحت الأرض لمدة شهرين ثم فجأة اقتيد من سجنه بمنطقة «فيرونا» إلى سويسرا يصبحه نفر من المخابرات الألمانية س.س. في زي مدني حتى ادخلوه إلى «زيوريخ» ثم تركوه في إحدى المصحات الطبية الفاخرة بمفرده بدون حراسة.

وبطبيعة الحال فقد التفت فيروتشي يميناً وشمالاً يبحث عن حراسه شأنه شأن أي سجين يرغب في أي طلب عن طريق حراسة بيد أن ليس لحراسه أي أثر مما دفعه إلى التجول داخل المصحة ليتأكد من كونه قد أصبح بدون حراسة أم أن الحراسة تحولت إلى مراقبة من بعيد؟.

وفجأة دخل عليه رجل قصير القامة في زي مدني يخفي نظراته الحادة

وراء نظارته السوداء ومع ابتسامة كشفت عن أسنانه الناصعة البياض قدم نفسه لـ «فيروتشي» قائلاً:

أقدم لك نفسي «الين دولليس» رئيس المخابرات الأمريكية الخاصة العاملة في سويسرا.

فبسط فيروتشي له يده وصافحه بحرارة وبادله الأمريكي نفس الشعور ثم وضع الأخير راحة يده على كتف فيروتشي الذي لاحظ حبيبات الدموع تنساب من تحت نظارات زائره الغريب العجيب.

حقا لقد كان زائراً عجيباً وأعجب ما في الأمر أن تتساقط دموع أكبر جاسوس عرفته الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت.

لقد عاش دولليس حياته كلها مخضرماً في التجسس وبث التفرقة بين البشر وإثارة الحروب السرية الباردة ترى ماذا يبكيه الآن؟ أو لعل هذه الدموع جزء من خطط الجواسيس لقضاء مأربهم تحت التأثير بها على من يبكون أمامه كالطفل الصغير:

قال رئيس المقاومة الإيطالية في مذكراته ولقد أدهشني هذا الزائر بهندامه الأنيق ودموعه المنسابة تحت نظاراته السوداء فسألته وأنا في أشد الدهشة.

ما الخطب يا سيد دولليس؟.

فخلع الزائر نظاراته وجفف دموعه بمنديل أو تظاهر كذلك ثم وضع راحة يده مرة أخرى على كتف «فيروتشي» قائلاً بكل مظاهر العطف والإخلاص أنني سعيد جداً يا سيد فيروتشي أن أراك حراً طليقاً هكذا فأنت اليوم حراً بمعنى الكلمة.

ثم أخذ هذا الجاسوس الكبير يتذرع الغرفة ذهاباً واياباً قائلاً باللغة الإيطالية مع ابتسامته الجذابة ولكن يا سيد فيروتشي إن لحريتكم من السجن شرطاً سرياً وقبل أن أقوله لك يجب أولاً أن لا تغادر هذا المكان.

ومضى يقول بتهكم وغموض:

وإني لعلى يقين من أن الشرط سيسعدك لأننا اقتربنا من النهاية رويداً.

رفع فيروتشي نظارته إلى أعلى جبينه كما وضع ذراعيه في شكل تقاطعي وهو يحملق في وجه محدثه يتابع بانتباه شديد لهذه التعبيرات المريبة وهو يقول:

نعم.. واصل يا سيد دولليس فإنني صاغ لحديثك..

فقال الجاسوس الأمريكي دولليس:

استطيع أن اكشف لك رسمياً بأن العقيد «وولف» مدير المخابرات الألمانية «س.س.» العاملة في إيطاليا كان قد وافق على الاتصال بنا لعقد صلح منفرد تعزل بموجبه الجبهة الوطنية الإيطالية العاملة ضد النازية والفاشية التي أنت رئيسها.

وعلى كل حال فإن مبادرة «وولف» لا زالت تحت غطاء الكتمان الشديد بالنسبة لهتلر وهملر أما موسوليني فإنه بدون شك خارج هذه الحلقة منذ البداية بدليل إنك لم ترأى فاشيستي طيلة الأيام التي قضيتها في سجنك.

فيروتشي يهزأ بمحدثه:

نعم... فعلاً لم أرأى فاشيستي - واصل وبعد:

ومضي الأمريكي قائلاً:

إنه لم يعرف أي فاشيستي أن رئيس المقاومة الشعبية الإيطالية كان قد اعتقل وهو تحت قبضة المخابرات الألمانية لمدة شهرين.. وإلا.. فقاطعه فيروتشي قائلاً:

طيب منذ متى كان «وولف» والسفير «راهن» وبعض الألمان الذين يمكن القول بأنهم معتدلين اتفقوا على التفاوض معنا؟.

فقال دولليس لقد طلبنا «نحن» من الألمان أن يقدموا الدليل على حسن نوايا هم وهو الافراج عنك وها أنت الآن طليق حر مما يدل على أن

الأمور أخذت تسير سيراً مرضياً.

أما إذا فشلت الخطة «وهـذا أمر استثنـائي» ولكن إذا حدث فسـوف تقـطع رؤساً كثـيرة وفي المقدمـة رأس «وولف» رئيس المخـابـرات الألمـانيـة س.س. وهذا عين الخطر على موضع السلام.

حقيقة.. لقد أصبـح «باري» حـراً طليقاً من السجن ولكنـه أصبح أيضاً معزولا عن قيادة الجبهة الوطنية وهذا وضع غير سليم بالنسبة له.

وفي نفس اليوم الذي أذاع فيه راديو ميـلانو نبـأ استقالـة «بوفـاريني» وزيـر الداخليـة كان وولف قـد اتفق مع «ألـين دولليس» عـلى أن تـدخـل القـوات الألمانيـة العاملة في إيـطاليا في صلح منفـرد مع الحلفـاء عن طريق «وولف» الذي افرج عن رئيس المقاومة الإيطالية بناء على طلب الحلفاء كما سبق ذكره.

أما الصحيفة التي كان موسوليني قد سمح للفيلسوف «ادمون شوني» بـاصدارهـا فلم تدم طـويلاً حيث قـامت المخابـرات الألمـانيـة «س.س.» بـاغـلاقهـا بعـد صـدور عـددين فقط وزج بـالفيلسـوف في السجن لعـدة أسابيع.

وكان موسوليني قد وافق على اصدار تلك الصحيفة التي اطلق عليها اسم «إيطاليا الشعب» لسببين:

الأول: لدعم رد فعله حيال الجبهة الوطنية الإيطاليـة العاملة ضـده وزرع الشقـاق بـين الإشـتراكيـين والشيـوعيـين لاحـداث شرخ في جـدار الجبهة.

والثـاني: لصفـع الألمـان بفضـح سلوكهم حيـال الفـاشيست إلا أن المخابرات الألمانية كانت أقوى منه فاغلقت الصحيفة وبات هو «كالبهيمـة» أمام الأمر الألماني الواقع الذي لم يستطع موسوليني ولا أعوانه معالجته.

وفي يوم 8/مارس/1945م تسلل «كـارل وولف» رئيس المخابـرات

الألمانية في إيطاليا تسلل إلى سويسرا زيوريخ ودخل المبنى الذي يقيم فيه «الين دولليس» الطابق الأرضي في ثياب مدنية لا تلفت النظر.

يقول دولليس في مذكراته.

حينما طلب وولف مقابلتي وسمحت له بالدخول كان الرجل في عجلة من أمره إذ سرعان ما بدأ الحديث قائلاً باسلوب يريد أن يظهر من خلاله صدق نواياه وبأنه ليس خائناً حيث قال إن جميع القوات الألمانية العاملة في إيطاليا بمن فيها المخابرات على أتم الاستعداد لتقديم وثيقة الاستسلام إلى الحلفاء وذلك بعد أن اتضح لنا الآن بأن «هتلر» أصبح يرتكب إثماً تلو الإثم باحداث المذابح ضد الشعب الألماني ومسيرة امجاده السابقة. ومضى وولف يقول.

وفضلاً عن تقديم وثيقة الإستسلام فإنني اضع نفسي وكل القوات الألمانية تحت تصرف الحلفاء حتى نضع حداً للعداوة القائمة بيننا دون فائدة للجميع.

وأضاف وولف قائلاً:

إنني أوعدكم بأننا سوف لن ندمر شجرة ولا مصنعاً في إيطاليا وسيكون انسحابنا إلى الخلف طبيعياً.

ولكن وولف هذا الذي أخذ يقطع العهد على نفسه فإنه لن يستطيع أن يحرك كل قواته وينفذ وعده بدون الرجوع إلى القائد الألماني العام الموجود في إيطاليا ويدعى «كاسرالينج» وإقناعه بما وعد به الحلفاء.

وكذلك «دولليس» فإنه أيضاً لا بد له من الرجوع إلى الجنرال «الكسندر» قائد قوات الحلفاء على الجبهة الإيطالية.

كل هذه الاحداث واللقاءات السرية رواها «دولليس» للسيد «فيروتشي باري» رئيس الجبهة الوطنية الإيطالية الذي كان معتقلاً لدى الألمان وتم الافراج عنه كدليل على حسن نوايا الألمان في التوجه إلى الاستسلام للحلفاء.

وأخيراً قال دولليس للسيد «فيروتشي» افهمت يا سيدي؟.
لماذا اخرجوك الألمان من السجن؟.

ولهذا السبب فقد طلبت منك عدم الخروج من هذا المكان لأنك أنت قلب اتفاق استسلام الألمان في إيطاليا بدون قيد أو شرط.

وكذلك إذا عرف موسوليني بأنك طليقا من السجن فإنه لن يشك أبداً في أن هناك اتفاقاً سرياً يجري من وراء ظهره وربما سيعرقله بإعلام هتلر بما يجري في إيطاليا.

فقال «فيروتشي» إن موسوليني هذا سوف نتولى نحن الإيطاليين أمره بايدينا لا تشغل بالك به ولكن أريد منك كلمة شرف كم يجب أن أبقى في هذا المكان؟.

دولليس ـ بعض الأيام فقط.

ولقد امتدت بضعة الأيام إلى شهرين كاملين ثم تمكن فيروتشي من مغادرة المصحة السويسرية طار منها إلى مقابلة الجنرال «كادورنا» ثم عرج على الجنرال الكسندر في ثكنته ثم واصل رحلته إلى فيرينزي المحتلة لمقابلة الجنرال «اكلارك».

ولم يكن «فيروتشي» رسولاً دبلوماسياً ذو حنكة وحسب وإنما كان أيضاً ذو خبرة نادرة في الشئون السياسية الأمر الذي جعله بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة يصبح نائباً برلمانياً مدى الحياة التي دامت عشرين عاماً وهو يتذكر تلك الرحلات والمجازفات من أجل تحرير وطنه من الفاشية والنازية.

ولقد ساهم «فيروتشي» بخبرته ومدوناته مساهمة كبيرة في نمو البلاد وتقدمه على الصعيدين المدني والعسكري.

وكانت هناك مشكلة قائمة بين المقاومة الشعبية الإيطالية «أي الجبهة الوطنية» بسبب منشور الكسندر الذي شرحناه في صفحات سابقة ولكن فيروتشي استطاع بحنكته أن يوفق بين القوات الإيطالية النظامية وقوات

الحلفاء ليعمل معاً لاسقاط الفاشية والنازية في إيطاليا بموافقة جميع رؤساء الأحزاب الإيطالية العاملة في الجبهة.

إنه لا يوجد شيء بدون أهمية خاصة في زمن الحرب فكل شيء له انعكاساته الإيجابية والسلبية.

ومن هنا فقد اشترط الحلفاء على «فيروتشو» أن تلقى الجبهة الوطنية السلاح بعد استسلام الحكومة الإيطالية والألمانية حتى لا يكون في إيطاليا شبه جيش مدني مسلح يفرض حقوقه على الحلفاء كما فعل الجنرال «ديغول» حينما ساهم مع الحلفاء في تحرير بلاده من الألمان.

ولكن فيروتشو عرف كيف يواجه الموقف ويتخلص من هذا الشرط ويفرض على الحلفاء ادماج الجبهة الوطنية المسلحة مع قوات الحلفاء إسوة بالجيش النظامي الإيطالي على أن يسلم السلطة في إيطاليا إلى رؤساء الأحزاب المشتركة في القتال ضد الفاشية والنازية وأن يترك الحلفاء مصير موسوليني وحاشيته لرؤساء الأحزاب الإيطالية بدون توجيه أو مراقبة.

لم يؤكد «باري» في مذكراته حتى بعد العشرين سنة التي عاشها بعد الحرب كيفية الاتفاق الذي تم بينه وبين الجنرال «كادورنا» في أواخر مارس 1945 حول مصير موسوليني وزمرته الفاشية.

إلا أن الحلفاء الذين اعترفوا بالجبهة الوطنية الحزبية كحكومة شرعية في البلاد نفخوا الغبار عن المادة ـ 29 ـ من اتفاق الاستسلام الموقع في «مالطا» والمبرم بين الجنرال «ايشين هوفر» عن الحلفاء والجنرال «بادوليو» عن الحكومة الإيطالية وذلك يوم 29/سبتمبر/عام 1943م وقد اعتبره الحلفاء اتفاقاً حاسماً.

تقول المادة ـ 29 ـ من هذا الاتفاق بكل صراحة:

إن موسوليني وأعوانه البارزين وغيرهم ممن يشتبه فيهم بأن لهم ضلع في ارتكاب الجرائم الحربية أو جرائم أخرى ضد الأشخاص وتوجد اسماءهم في قائمة مجرمي الحرب لدى الأمم المتحدة أو يتم القبض عليهم

فيما بعد فوق أراضي الحلفاء أو أصدقاءهم أو على الأرض الإيطالية يتوجب القبض عليهم وتسليمهم فوراً إلى قوات المنظمة الدولية.

ولقد كان هذا الاتفاق أيضاً من ضمن المشاكل التي واجهت «باري» والجنرال «كادورنا» قائد القوات الإيطالية التي تضامنت مع الجبهة الوطنية الإيطالية العاملة ضد الفاشية والنازية.

ولكن بما أن هذا الاتفاق كان قد تم في غياب الطرف الثالث وهو الجبهة الوطنية الإيطالية المقاتلة بشعبها المسلح منذ بداية الحرب فقد اعتبره «باري» بحنكته السياسية بانه لا يشكل أية أهمية بعد الاتصالات الجديدة التي تداخل فيها حتى الجنرال «كادورنا». وهذا واقع منطقي إذ أن الحلفاء اعترفوا الآن بالجبهة الوطنية الإيطالية كحكومة شرعية للبلاد وكل اتفاق ليست هي طرف فيه يعد لاغياً لا سيما بعد أن قال «باري» للمبعوث الأمريكي «دولليس» في زيوريخ اتركوا لنا نحن الإيطاليون مصير موسوليني نتولى أمره بأيدينا.

(على ضفاف بحيرة «غاردا»
12/مارس/1945م)

كانت تلك السيارات الثلاث تسير ببطىء ملحوظ وبين كل واحدة والأخرى مسافة معينة وكانت الأولى وهي من نوع «الفاروميوء» يجلس على مقعدها الخلفي «بنيتو موسوليني» ملتفاً بمعطفه كعادته دائماً بينما كان يشغل الثانية وهي من نوع «مرسيدس» «كارل وولف» رئيس المخابرات الألمانية س.س. مع اثنين من مساعديه ذوي رتب عسكرية عالية وخادمه الخاص.

أما السيارة الثالثة فقد كانت عسكرية وعلى متنها أفراد الحراسة المسحلة من الألمان.

كان الفصل ربيعاً والبرد قارصاً في ذلك المساء الساكن حيث على هذه السيارات الثلاث أن تعبر طريقاً وعراً لمسافة ألفي متراً صعوداً جبلياً وسط غابات كثيفة من أشجار الغردق.

لقد مضت أربعة أيام بالتحديد على تلك المقابلة التي أجراها كارل وولف مع المبعوث الأمريكي صاحب المكر الشديد «الين دولليس» كما مضت ثمان ليالٍ على تلك الليلة التي اجتمع فيها وولف ومساعدوه في بيته بجبل فاسانو وقرروا الافراج عن رئيس المقاومة الإيطالية «فيروتشو باري» بدون علم هتلر وموسوليني بناء على طلب الحلفاء كدليل على حسن نوايا وولف في الاستسلام.

نعم. . لقد كانت كل هذه الاتصالات بين وولف دولليس وفيروتشي وغيرهم ممن لا يرغبون في استمرار الحرب المدمرة تجري سراً دون علم هتلر وموسوليني أو هكذا كان يظن الجميع.

كان «النادل» أي الخادم الذي قام بتقديم وجبة العشاء لرئيس المخابرات وولف وضيوفه كان يرتدي جاكيتة بيضاء وقفازاً أبيض في تلك الليلة وهو يقوم بخدمة سيده وضيوفه دون أن يشتبه فيه أي مخلوق بأنه يجيد اللغة الألمانية بطلاقة وهو إيطالي الجنسية يخيل إلى من يراه بأنه لا يجيد حتى لغته الأصلية.

ولم يدر في خلد وولف أبداً أن هذا الخادم كان جاسوساً مندساً بين قادة المخابرات الألمانية أنفسهم يقدم تقاريره أولاً بأول إلى محافظ «نوفاراً» الفاشيستي المتشدد الذي يعتبر نسخة من موسوليني وعلى أساس هذا التغفل فقد أقسم وولف أمام «الين دولليس» على أن موسوليني لا يعلم باعتقال فيروتشي ولا بالافراج عنه ولا بأي اتصال بيننا وبينكم.

في حين كان موسوليني على علم بكل ما يجري سراً عن طريق هذا الخادم ومكتب المحافظ ولكن بطريقة شيطانية قرر موسوليني أن يكون داخل اللعبة على أن يتابعها من العمق وإنما من بعيد في تحد واصرار.

ولقد وصلت علاقات موسوليني مع حلفاءه الألمان إلى نقطة جداً حرجة يسودها التوتر الشديد إلى درجة إنه أي مجرد نقاش بينهم قد يدمرهم جميعاً.

في حين كان الألمان وخاصة مخابراتهم العاملة في إيطاليا هم أيضاً باتوا يضيقون بموسوليني ذرعاً ولا يطيقون معارضته لسلوكياتهم.

ولهذا فقد ظل موسوليني يحاول الانفكاك منهم بيد أنه ما زال يتحاشى غضبهم.

صار موسوليني يكره تصرفات وولف بشكل مرير ولكنه أي موسوليني استطاع أن يكبح جماح نفسه ويسيطر على شعوره حيال هذا الجستابي

الخطير حتى تسهل مراقبته عن كثب ودون أن يفلت منه لحظة من الزمن.

أما بالنسبة لوزير الخارجية الإيطالي «ميلليني بونشي» فقد خدع وكان آخر من يعلم بالافراج عن رئيس المقاومة الإيطالية «أي الجبهة الوطنية الإيطالية» فلقد كتب في مذكراته قائلاً حول هذا الموضوع:

إن هذا الرجل المدعو باري الذي كان قد اعتقله الألمان وظل سجيناً لديهم ها هم يفرجون عنه دون علمنا.

وبالرغم من أهمية هذا الإنسان في الصراع القائم بيننا وبين الجبهة الوطنية الحزبية فإنني لست مستريحاً للإفراج عنه بالرغم من أنه قد يكون الإفراج بقصد التوصل إلى اتفاق مع الحلفاء للحد من المذابح التي يرتكبها الألمان ضد المواطنين والفاشيست ويهدىء من قسوة هذا القتال الضاري بيننا وبين المقاومة الشعبية حتى نجد مخرجاً من هذه الأزمة المريرة التي طال أمدها.

نعود الآن إلى موكب موسوليني في مشواره الغامض الذي لم يفصح عنه حتى لزوجته ولا لوزراءه المقربين.

ظلت تلك الرحلة مستمرة إلى أن وصلت السيارات الثلاث إلى مشارف «منتوفا» حيث ترجل موسوليني ومرافقوه لمشاهدة استعراض عسكري فاشيستي هناك دون أن يوضح موسوليني لمن معه معنى هذه الزيارة المفاجئة لذلك المعسكر التابع لجمهوريته.

وكان موسوليني يتوقع أثناء فترة الاستراحة القصيرة التي أمضاها في تلك الثكنة منفرداً مع «وولف» أن يقول له هذا الأخير أي شيء مهم يتعلق بأنشطته السرية التي يعرف عنها موسوليني كل شيء ولكن وولف كان صامتاً لم ينبس ببنت شفته حول أي موضوع من هذا القبيل.

لقد انتهت تلك الزيارة تحت ظروف غامضة وقفل الموكب راجعاً إلى حيث منطلقه ولكنه عرج فجأة حول أطراف الغابة بعد أن تعرض لغارة جوية عنيفة إذ هاجمت احدى الطائرات المغيرة موكب موسوليني فأمطرته

بوابل من الرصاص حتى تطايرت شضـايا الاسفلت في الهـواء إلى درجة أن موسوليني كان قد استسلم للموت متوقعاً أية رصاصة تخـترق جسمه فـترديه قتيلاً.

صرخ أحدهم في موسـوليني قائـلاً انزل من السيـارة إلى الغابـة وإلا سيتمزق جسدك أرباً هيا اسرع فالطائرات إنجليزية خطيرة.

ونزل «وولف» من سيارته مسرعاً متجهاً حيث موسوليني يهرول تحت الأشجـار كالثـور البدين أمـا السيارة الثـالثة فقـد شبت فيها النـيران وقتـل واحـداً من ضباط الألمـان الكبار حيث احـرقته النـار من رأسه إلى أرجله. وعادت الطائرة المغيرة الكرة فأمطرت المعية بوابل من الرصاص حيث قتـل العديد من أفراد الحراسة كما قتل ضابط آخـر بالقـرب من موسـوليني الذي صار يصرخ مثل المجنون يا أله.. ما هذا لقد ضعنا ولم يكف هذا العجـوز الدكتاتور الطاغية عن الصراخ إلا بعد أن شـاهد تلك الـطائرات تغيب في السحـاب المتراكم فـوق البحيرة عنـدما خـرج إلى الفضاء وهـو يرتعش من الفزع.

وولف.. هل اصابك شيء أيها الزعيم؟.

موسوليني ـ لا شيء شكراً.

وركب مـوسوليني سيـارته التي لم تصب بعـطب وركب معه «وولف» ثم انطلقت بهما إلى منزل موسـوليني حيث ترجـل متثاقـلاً متوتـر الاعصاب والفكر حتى إنه رفض تناول العشاء.

وقد أشيع بين الناس خاصة مجمـوعات الحـزب الفاشيستي والقـوات الألمانية بأن موسـوليني قد نجـا باعجـوبة تشبـه المعجزة من المـوت على أثـر الغارة الجوية العنيفة.

أما زوجته راكيلي فقد ظلت إلى جانبه تلك الليلة تـطمئنه وتشـد من عزمه وهـو يقص عليها تلك الـرحلة في حين كـانوا وزراءه يستفسرون عن صحتـه هاتفيـاً بين الحـين والحين إلى درجـة أن مل مـوسوليني الـرد عليهم

واغلق الهاتف ولقد طلبت منه زوجته أن لا يغادر البيت مرة أخرى في رحلة بعيدة كهذه التي كادت أن تودي بحياته ولكن موسوليني أجابها قائلاً لا أحد مهماً في هذه الدنيا ـ ولم يعد يهمني كان من الممكن أن يكون موسوليني قد مات منذ ساعات تحت اشابيب ذلك الرصاص المنهمر من الطائرات المغيرة اثناء تلك الرحلة مجهولة الهدف.

ولكن.. لا.. لن يموت قبل أن يشاهد انهيار كافة الجبهات المحورية في جميع المواقع ولن يموت موسوليني قبل أن يشاهد تصاعد أنشطة المقاومة الوطنية الشعبية ضد نظامه المنهار... لن يموت قبل أن يشاهد حلفاءه الألمان وهم يخدعونه ويخونونه في وطنه وبالتالي لن يموت قبل أن يشاهد أفول نجمه بعينيه.

وهكذا فقد منحه الموت فرصة ليرى بعينيه وقلبه ما يميته قبل الموت لأنه لو مات في تلك الغارة لتحدث التاريخ عنه بشيء قليل من الشفقة أمام القضاء والقدر وإنما حتما لا يريد التاريخ أن يحفظ لموسوليني شيء من هذا كذكرى بين الموجب والسالب لأن موسوليني لا يستحق حتى هذه الدرجة.

استخرج موسوليني من صندوق كان في احدى زوايا مكتبه حافظة جلدية كان بداخلها مخطوط كتب باليد وسلمه إلى ابنه «فيتوريو» قائلاً له خذ هذا المخطوط واذهب به إلى «الفاتيكان» واقراءه أمام «البابا» وانتظر الرد فانطلق فيتوريو منفذاً أمر والده في الحال ولكن ما أن تم قراءة ما بيده أمام البابا حتى قال له البابا الذي كان ينصت باهتمام: ارجع يا بني من حيث أتيت وقل لوالدك إذا اراد خدمة مني فليخاطبني بنفسه وليحضر إلى هنا شخصياً.

لم يكن موسوليني على وفاق وعلاقة طيبة مع الفاتيكان ولم يكن يحترم حتى دار الاستفتاء والأماكن المقدسة لذلك بات ساهراً تلك الليلة يعصر فؤاده القلق والأرق والحيرة بعد أن رفض الفاتيكان حتى الرد على كتاباته.

وعند الصباح هداه خياله المتشتت إلى كتابة هذا المرسوم المؤرخ يوم 13/مارس/1945 وذيله بتوقيعة. . «موسوليني رئيس الدولة» وجاء فيه ما يلي:

إنه في حالة تفاقم الأحداث العسكرية والسياسية وظهورها ضد القوات الألمانية العاملة في إيطاليا بقيادة الجنرال «كاسيلرنج» وأجبر الحلفاء هذه القوات على التقهقر داخل الحدود الألمانية فإنه يجب على قوات الجمهورية الإشتراكية الإيطالية أن توحد كافة قطاعاتها في مواقع يخطط لها مسبقاً داخل الحدود الإيطالية وان تقاتل العدو والمقاومة الشعبية الإيطالية والقوات الملكية الإيطالية معاً قتلا ضاريا إلى آخر رجل فاشيستي وآخر اطلاقة نارية لأن هؤلاء جميعهم لم تترك كراهيتهم للحزب الفاشيستي أي خيار غير القتال المستميت حتى ننتصر أو نموت واقفين في الميدان.

وتقسم كل القوات الفاشستية على النحو التالي:

1 ـ قوات الجمهورية الإشتراكية الإيطالية الفاشيستية المجحفلة يقودها المارشال «غرسياني» أما بقية قوات الجمهورية بمختلف الويتها تتوزع على جميع المدن والقرى الإيطالية لحفظ النظام بكل وسيلة ممكنة إلى أن تتوصل جمهوريتنا إلى اتفاق مباشر مع كل الدول المتحالفة ضدنا.

2 ـ إن أية حركة للعناصر المتطرفة سواء في المدن أو القرى أو النوادي أو الميادين العامة ومن أية جهة تحركها الأحزاب المناهضة للفاشيست أو يحركها الأعداء أو الشيوعيون أو أي إضراب وتمرد يجب أن تواجهه قواتنا المسلحة بالسحق المدمر فوراً حتى ولو كان الفاعلون من رجال الدين الذين يزعمون الآن بالقيام بعملية لصالح السلام الشامل وهي ليست سوى دعاية لا تخدم إلا كيانهم.

3 ـ إن قيادة الحلفاء ملتزمة بعرقلة كل الجهود الرامية إلى اتفاق شامل للسلام والقصد من هذه العرقلة هو منح الوقت المتسع للمقاومة الوطنية الإيطالية كي تثبت للشعب الإيطالي إنها ليست إرهابية تسلب الناس أموالهم كما هو واقع فعلاً ولكن عدونا يريد أن يطهر عملاءه من

الاثم والشر ولا يريدهم أن يلقوا اسلحتهم قبل أن تلقيها قوات جمهوريتنا الإشتراكية وإن عدونا ما زال يتجنب الطرق السليمة لكل ما هو واجب حيث طلب من كافة قوات الشرطة الإيطالية أن تخرج بسلاحها فوق التلال خارج المدن وتستسلم وتبقى على الحياد إلى أن تستقر الأمور على أن تنتظر أوامر الحلفاء.

4 ـ إن الوضع الصحيح الذي يتطلبه الموقف الآن هو أن تتظافر جهود الفاشيست وجميع قطاعات جنود الجمهورية الإشتراكية الإيطالية والمدنيين الملتزمين بالدفاع عن الجمهورية الجديدة في صف واحد يقاتلون العدوان بشرف وطني دون عائلاتهم وأرضهم وايمانهم بالحضارة كما يجب حتى على الوزراء أن يقاتلوا وان لا يعتقلوا أحد في الجمهورية وعلى جميع الدوائر تنفيذ هذا المرسوم إلى حين اشعار آخر.

لقد وصل موسوليني إلى نقطة هامة في سياق رسالته أو مرسومه الذي يعتبر «وصية مريض» أشرف على الموت والنقطة هي دعوة المدنيين للقتال من أجل جمهوريته على أن لا يعتقل أحد فيها. ثم كم وزير لديه وكم مكث هؤلاء الوزراء في حكومة الجمهورية لا شيء يذكر.

ثم هل يقبل موسوليني باشتراك الأحزاب غير الحزب الفاشيستي في الحكومة؟ لم يتطرق موسوليني إلى هذا الموضوع في الأربع نقاط السابقة بل كان ولا يزال اشتراك الأحزاب الأخرى محرماً في قاموسه الفاشي.

هناك بعض الجمل التي قد تقع سهواً من كاتبها ولكنها قد تفسد كل ما أراده الكاتب ولكن موسوليني بحكم تجاربه استدرك هذا الخطأ وعرف كيف يتلافاه حيث أضاف إلى مرسومه بند خامس «ملحق» بعد توزيعه قال فيه:

5 ـ الحزب الفاشيست هو الذي يختار من بين الموطنين الحزبيين من يشارك في حكومة الجمهورية لسد فراغ نقص الوزراء الفاشيست وان كل المواطنون الإيطاليون متساوون في الحقوق والواجبات وبهذا فقط تصبح

حكومة الجمهورية حكومة ائتلافية تحت رعاية كل الأحزاب عدا الشيوعيين وان يصدر دستوراً في هذا الشأن في أقرب وقت ممكن.

وبهذا البند الخامس الملحق الذي خطر على باله بعد أكثر من عشرين سنة والذي يخيل إلى من يقراءه بأن موسوليني إنما يريد التنازل عن دكتاتوريته ويقلل من فاعلية حزبه الفاشيستي فإنه لم يكن يقصد موسوليني سوى الدجل والخداع للمرة الثانية خلال ربع قرن وذلك ليتمكن من إعادة سلطاته الغابرة بهذه الخدعة التي كان يضنها الوسيلة الوحيدة التي قد ترغم الحلفاء على وضعه في الصورة الأولى ويطلبون منه المفاوضات والدخول في الصلح وليس الاستسلام بدون قيد أو شرط.

وقد نسي موسوليني أو تناسى انه لم يعد في مقدوره احياء تلك الهيمنة التي يستطيع بواسطتها تحريك الجماهير وتوجيههم إلى حيث يريد عندما كان في أوج الدكتاتورية وقمة الطغيان. ولقد نسي موسوليني أن قوته الذاتية والبشرية والفكرية قد ماتت الآن مع ما تبقى له من الأيام المعدودة إذ أن الحلفاء قد أسقطوا من حسابهم شخص كان رئيساً للدولة اسمه موسوليني ولكنهم عمدوا إلى الاتيان باسمه كمجرم حرب يجب اعتقاله ومحاكمته.

وكذلك الجبهة الوطنية طلبت من الحلفاء ترك مصير موسوليني للإيطاليين وحدهم لمعاقبته على كل الجرائم التي ارتكبها وحزبه في حق البشر والزراعة والصناعة والجيش وكل مقومات البلاد.

قد لا يستطيع موسوليني أن يتصور مدى العداوة والبغضاء اللتان تكمنها البشرية قاطبة له ولحزبه الأسود ليس بالحس المبهم ولكن بالظواهر الملموسة التي صارت الآن تحاصره وتقلق راحته حتى تصبح إيطاليا حرة من ارهابه وتسلطه إلى الأبد بعد أن يحاكم على ما اقترف من ظلم وفساد.

و قبل مضي اسبوعين على رسالة موسوليني التي كان قد بعث بها للفاتيكان مع نجله «فيتوريو» الذي قراءها أمام البابا بعث البابا برسول من لدنه إلى القيادة العسكرية الإنجليزية في جبهة القتال يخبرهم شفويا باسم

البابا عن محتويات تلك الرسالة وكيف أن البابا رفض الاستجابة لما جاء فيها من مقترحات.

هذه الخطوة التي قام بها الفاتيكان وجدت مدونة في مذكرات كل من (ليوني) والجنرال (كادونا) قائد القوات الإيطالية المسلحة وممثل جبهة التحرير الإيطالية أي «الجبهة الوطنية للأحزاب العاملة» «ليون فالياني».

ولقد قالت القيادة الانجليزية لرسول البابا ـ إن أية مذكرة من موسوليني مرفوضة شكلا وموضوعاً بل يجب على موسوليني أن يستسلم بدون قيد أو شرط وحتى الجبهة الوطنية الإيطالية قابلت الرد الإنجليزي بالرضا لأنه يتفق مع رغبتها.

ظل موسوليني بالرغم من طرد البابا لابنه فبتوريو يترقب أية إجابة على رسالته من الفاتيكان وحينها لم يتلق أي شيء من هذا القبيل فكر موسوليني بزيارة أحد القساوسة يدعى «دون جوستو بانشينو» كان عائداً لتوه من سويسرا ليستفسر منه عن ابنته «أيدا» «بالتشديد على الدال» التي سبق لها وان هربت إلى سويسرا قاصدة منزل هذا القسيس الذي استقبلها على انها مبعوثة من والدها إليه في حين كانت «إيدا» هاربة احتجاجا على تصرفات والدها موسوليني تجاه زوجها «تشانو» الذي تم إعدامه بتهمة الخيانة العظمى للحزب الفاشيستي وزعيمه.

كان هذا «الأب/بانشينو» أو هكذا كانت تسمية راكيلي زوجة موسوليني كان صديقاً حميماً للآنسة «إيدا» قبل زواجها من «تشانو» وبعد إعدام هذا الزواج ركز موسوليني على الأب / بانشينو بأن يكون هو الزوج الثاني لابنته إيدا.

وقد كان هذا القسيس ممثلاً للفاتيكان في سويسرا وحينما سمع موسوليني بعودته ذهب إليه على الفور وسأله عن ابنته ولكن ذهل القسيس بعد أن علم من موسوليني ان ابنته هاربة وليست موفدة منه إلى أحد.

ربما حمل موسوليني هذا القسيس ببعض المسئوليات التي لم يدونها

احد في مذكراته إلا أن المخابرات الألمانية س.س. اعترضت طريق الأب بانشينو عندما كان عائداً إلى سويسرا عبر بوابة «بيرنا» حيث أوقفته المخابرات الألمانية هناك وأمطرته بسيل من الأسئلة.

وظن الراهب أن المخابرات الألمانية إنما تريد منه شراء «كتاب يوميات» غليادزو تشانو الذي سلمته ابنة موسوليني الأرملة «إيدا» إلى هذا القسيس بعد إعدام زوجها تشانو وهروبها إلى سويسرا.

ولقد سبق للمخابرات الألمانية بأمر من «وولف» إن ساومت هذا القسيس بمبلغ قدره عشرة ملايين ليرة إيطالية مقابل استلامها النسخة الأصلية لهذا الكتاب.

ولكن هذه المرة سمع القسيس بانشينو من المخابرات الألمانية بعض الكلمات الجارحة الشائكة ثم اقتادوه إلى مكتب نائب «وولف» رئيس الجستابو الذي قال له: اسمع أيها الأب أنت رجل موضع ثقة موسوليني وفي مقدورك أن تمارس التأثير عليه بشتى الطرق وكلنا نعرف منذ وقت طويل أن موسوليني قد فقد عقله وتفكيره ولكننا لا نعرف ماذا في نفسيته من نوايا ضدنا وإنما أنت الوحيد الذي تستطيع مراقبته وعرقلة أية خطوة يستهدفنا بها موسوليني للاضرار بنا أو بغيرنا ـ هذه ليست نصيحة إليك وإنما «أمراً» عليك تنفيذه.

لقد تذكر هذا القسيس بعد عودته من سويسرا بعض التلميحات التي لمح بها أقرانه القساوسة عن رغبة موسوليني في الاتصال بالحلفاء عن طريق الفاتيكان ليستسلم لهم منفرداً ولكنه قال في نفسه هذا مستحيل مستحيل أن موسوليني يريد التفاوض وتوقيع وثيقة صلح لا استسلام.

ولكنه سرعان ما استدرك هذا القسيس انه فعلاً ماذا يعني اتصال موسوليني بالحلفاء بدون علم هتلر ولا مخابراته سوى محاولة الاستسلام المنفرد.

إذن فالمخابرات الألمانية كانت على حق في هذه المخاوف.

وقع هذا القسيس الشاب الذي يبلغ من العمر 36 سنة وقع في مأزق خطير فأما أن يؤدي بحياته أو يصرفه عن رسالته الروحية على أقل الاحتمالات فلقد وقع هذا الأب الشاب فريسة لطموحات أو بتعبير أدق لجدليات موسوليني التي ليس لها نهاية إلا بنهايته.

وإنه ليس أمام هذا القسيس إلا الجلد والتحلي بالصبر مع التفكير العميق للخروج من هذه الورطة.

أما موسوليني فقد ظل بعد توديعه للقسيس والضغط على يده بشدة ظل واجماً شارد الفكر لا تركز نظراته على شيء معين يحك رأسه بين الحين والآخر يستعرض أحياناً كلمات الوداع التي تفوه بها للقسيس كأنه يريد من خلالها أن يوصيه خيراً بابنته الهاربة «إيدا» حيث قال له وهو يشد على يده إنني مؤمن أيها الأب تحياتي أودعك هنا فقد أموت ولم ترن بعد اليوم.

لقد سقطت قبعة الزعيم حينما كان يشد على يد القسيس مودعاً إياه فانحنى القسيس على قبعة زعيمه فالتقطها واعادها إليه قائلاً له إنني أفديك بحياتي أيها الزعيم، وأضاف القسيس قائلاً إذا احسستم بدنو الموت منكم أيها الزعيم فاطلبوا الغفران في كل برهة.

فقال موسوليني: استطيع الآن أيها الأب أن اعترف لك بذنوبي وأطلب الغفران في بيتك المقدس هذا وفي منبر صلواتك الآن.

وتصببت حبيبات العرق من جبين القسيس خجلاً من زعيمه الذي صار يعترف بجرمه إلا أنه تمالك القسيس أوتار أعصابه وقال لزعيمه حتى صهركم تشانو اعترف هنا بذنوبه قبل إعدامه بلحظات.

وانسحب موسوليني من حضرة القسيس ولم يلتفت نحوه بعد أن قال له تحياتي.

وبعد أيام علم موسوليني عن طريق الفاتيكان بأن الحلفاء ما زالوا مصرين على استسلامه بدون قيد أو شرط.

«فيللا أورسولينا

«17 / ابريل / 1945»

لقد مضت أربعة أيام فقط على موت الرئيس الأمريكي روزفيلت وكان يوم 14 / ابريل/ 1945 يوماً كئيباً ولكنه كان أيضاً يوم شماتة في نفسية موسوليني الذي صار متحمسا لموت الرئيس روزفيلت مثلما تحمس يوم 20 / يوليو/ 1944 حينما وقعت في ذلك اليم محاولة لاغتيال «ادولف هتلر» قام بها بعض الضباط النازيين الكبار.

يومها تنفس موسوليني الصعداء وهو يقول آه. . . لست أنا وحدي المعرض للاغتيال. . الفوهرر هتلر هو أيضاً معرض لنفس المصير إذن.

ربما كان يعتقد موسوليني أن موت أحد الرجال الاقوياء يمد في عمره هو الذي صار مرتاحاً منشرح الخاطر لموت الرئيس روزفيلت في تلك الفترة الحرجة التي يمر بها هذا الطاغية موسوليني.

إن الشيء الوحيد الذي لم يفعله موسوليني في ذلك اليوم هو إنه لم يشرب كأس النخب احتفالاً بموت الرئيس الأمريكي وإنما بمجرد تلقيه لهذا النبأ رقصى طرباً وتبادرت إلى ذهنه العقيم عدة عوامل تلوح له بالأمل الوهمي الخداع الأمر الذي جعله يبشر كل من يقابله في ذلك اليوم بموت روزفيلت باسلوب كله حقد وشماتة.

يقول موسوليني لزائرية:

ها قد مات ذلك الشخص المجرم الشرير روزفيلت بصدمة على أثر حادث وقع له إنه أشطن أعداءنا وهو المسئول الأول عما يجري الآن من دمار فوق الأرض لقد مات هذا الشيطان.

دون موسوليني هذا الحدث في مذكراته المعثور عليها قائلاً: إن يوم 14/ابريل عام/1945 يعتبر بالنسبة لي يوم انفراج قد استطيع بعده أن أدخل في مفاوضات ومناقشات تسفر عن رؤية جديدة حول مصير هذه الحرب.

استدعى موسوليني السفير الألماني في إيطاليا «راهن» لمناقشته حول الوضع العام بعد موت «روزفيلت» ولقد استهل موسوليني حديثه مع السفير قائلاً:

لا شك أن الرئيس الميت كان لا يمثل اليسار والمصالح الروسيةفي أمريكا وحسب وإنما كان يمثل قمة الفكر الروسي حيث أبرم مع الروس اتفاقية «يالتا» التي تقول احدى بنودها يجب تدمير ألمانيا تدميراً قاضياً.

ولقد اتفقا الرجلين في وجهات النظر حول إشاعات الرأي العام القائلة ربما سيخلف روزفيلت من يمثل سياسية استالين نفسه في البيت الأبيض الأمريكي وهذا أمر غير مستبعد أن تجد روسيا من يحقق لها أحلامها وطموحاتها في الإستلاء على أوروبا الشرقية باكملها وكذلك آسيا.

وأضاف موسوليني قائلاً للسفير الألماني «راهن» أنه مما لا شك فيه أن بريطانيا تعد العدة اليوم لسياسة الغد وذلك بتعزيز موقفها في الصراع الدموي الذي سوف ينشأ بين الغرب والشرق للحيلولة دون هيمنة الشيوعية وتغلغلها في أوروبا.

وقد لا نستغرب أن يلمع نجم الشيوعية حتى بعد موت روزفيلت إن عاجلاً أم آجلاً وهذه وقائع مستقبلية قد تنجح فيها روسيا.
وتابع موسوليني حديثه فقال.

ولكن من يدري فقد يعطينا موت روزفيلت الفرصة السانحة للتفاهم المثمر سواء مع «الانجلو أمريكي» أم مع استالين إلا أن السفير الألماني ظل صامتاً كما لو كان موسوليني يتحدث مع نفسه بطريقة أشبه بالهذيان غير أن سيطرة السرور بموت عدوه روزفيلت كانت واضحة في انفعالاته وكانه قد استنبط الحلول المناسبة لجميع المعضلات التي كان يعاني منها طوال أيامه الراهنة والماضية.

وبعد أن افرغ موسوليني ما في جعبته من هذيان مع السفير الألماني «راهن» الذي لم يعر هذا الهذيان أي اهتمام إلا أن موسوليني ظل مسترسلا في خرافة قائلاً للسفير انه لا بد لنا من اجتماع عام بين السياسيين الألمان المتواجدين في إيطاليا واقطاب الحزب الفاشيستي وأن نشيع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بأننا متفقون معا ومع الجميع.

وأضاف موسوليني يقول: هي شبه اكذوبة سياسية لا بد لنا أن نعلقها في اذهان الناس.

ونهض السفير مودعا موسوليني دون أن يرد ولو بكلمة على جميع ما تقيىء به موسوليني.

اتصل موسوليني بعد هذا اللقاء مع السفير الألماني بمدير حزبه «بافوليني» يسأله عما تم في التحصينات التي كلفه بها موسوليني في «فالتالينا» المتاخمة للحدود السويسرية والألمانية.

كان «بافوليني» على درجة عالية من الثقافة السياسية والعسكرية وكان شاعراً فذاً ولكنه ساقطاً أخلاقياً متفان في خدمة موسوليني إلى درجة العبادة في حين كان الألمان يكرهونه إلى درجة المقت.

سأله زعيمه عما تم من انجاز للتحصينات المراد اقامتها في «فالتالينا» فقال بافوليني أنا على أتم الاستعداد لاحاطتك بثلاثمائة «300» رجل مقاتل يحرسونك ليل نهار ويموتون واحداً تلو الآخر قبل أن يمسك أحد بسوء أيها الزعيم إن هؤلاء الرجال سوف يكونوا رمزاً للحمية الإيطالية واسطورة

تتحـدث عنها الأجيـال ولكن بشرط أن تنقل مقـر رئاستـك يـا زعيمي إلى فالتالينا تحت جنح الظلام وسوف اهتم أنا بنقلك إلى مقرك الجديد المحـاط بقوة ضاربة.

فكر موسوليني مليا فيما قاله له مدير حزبه ولكن هـذا المشروع لم يتم قبل شهر ديسمبر المقبل وحتى هتلر لم يرد على رسالة موسوليني التي بعث بها إليه يستشيره فيها حول التحصينات المزمع اقامتها في فالتالينا.

وتذكر موسوليني كلمة السفير الألمـاني راهن حول هـذا المشروع حينما قال لموسوليني نحن لا نوافق على هذا المشروع خشية من هروب جنودك إلى سويسرا عبر بوابة فالتالينا فقال موسوليني يحدث نفسه:

فعلاً لو هرب الجنود لسـوف أبقا وحـدي مثل الكلب الـذي لا أهل له، إنهم جميعاً يستهزئون بي الآن.

وبعد تفكير طويل جاشت بخاطـر موسـوليني حتى فكرة الهـروب إلى ألمـانيا بـدلاً من سويسرا ولكنـه تذكـر أيضاً كلمـة وولف رئيس المخابـرات الألمانية الذي قال له ذات يوم:

«انك تفكر في تحصينـات فالتـالينا ليس من أجـل المقاومـة ولكن من أجل أن تسهل هروبك إلى ألمانيا».

استدعى موسوليني المارشال «رودولفو غرسياني» القائد العـام للقوات الفاشية ليتحدث معه حول مشروع فالتالينا. وحيث أن غرسياني لا يعـرف المجاملة قال صراحة لزعيمه: طبعاً نحن بهـذا الشكل يبـدو أننا لم نستـطع فعل أي شيء إلا بعد موافقة اصدقاءنا الألمان: قال هذه العبارات بأسلوب الاحتجاج على خنوع موسوليني الكامل للألمان.

فقال موسوليني: هذا بطبيعة الحال في الوقت الحاضر على الأقل. ولم يسفر اجتماع الرجلين عن شيء.

ثم تقابل موسوليني مع وولف بعد اجتماعه بقائد قواته غرسياني وكان

وولف هو أيضاً متشتت الأفكار بعد الجمود والركود الذي ساد محادثاته مع «الين دولليس» حول الاتفاق السري للإستسلام وبالرغم من أن وولف هو رئيس المخابرات الألمانية س.س. العاملة في إيطاليا إلا أنه كما يبدو لا يعرف الاتفاق السري بين روزفيلت واستالين بشأن تدمير ألمانيا بدون شرط ولكن موسوليني كان يعرف ذلك ولهذا كان مغتبطاً لموت روزفيلت معتقداً بأن هذا الاتفاق سوف يمزق وسوف يتمكن هو من الهرب إلى حيث يريد في حين كان وولف يعتقد بأن التحصيناتِ التي يزمع اقامتها في فالتالينا قد تمد في عمر الحرب ولم تمكنه هو من تحقيق الاتفاق السري الذي أبرمه مع «الين دولليس» وبالتالي قد يسبقه موسوليني في هذا المضمار حيث تقويه «فالتالينا» قد تعزز مركز موسوليني الأمر الذي يرغم الحلفاء أو الجبهة الوطنية الإيطالية على التفاوض معه منفراً دون أخذ الاعتبار لمشروعه مع دولليس.

هكذا كان كلاهما يفكر لانجاح مشروعه الخاص بسلامته دون النظر إلى حالة الشعب الإيطالي وما يعانيه من الطرفين الفاشي والنازي.

وكذلك كان الهدف من عرقلة مشروع تحصينات فالتالينا بالنسبة للمخابرات الألمانية هو وضع موسوليني تحت المراقبة حتى لا يتمكن من الافلات أو التصرف بدون علمهم.

ولهذا الغرض وغيره من الأهداف كان وولف قد سافر إلى ألمانيا قبل تقابله الأخير هذا مع موسوليني وسبب سفره هو طرح فكرته على المسئولين الألمان هناك لاحباط أي عمل قد يقوم به موسوليني بمفرده.

لذلك قال وولف أثناء مقابلته مع موسوليني: اسمع أيها الزعيم الصديق إن حربنا مع الحلفاء قد باتت خاسرة وإن ألمانيا بالذات ليس لها من الحياة إلا أيام قليلة معدودة والمهم أمامنا الآن هو انقاذ ما يمكن انقاذه حتى لا نفقد ماء وجوهنا تماماً وهذا قد لا يتم إلا إذا عرفت ما في نفسك وتعرف أنت ما في نفسي لنعمل معاً على انقاذ حياتنا جميعاً وأنا أعرف إنك

صرت ميالاً نحو الإشتراكية التي لا نوافق عليها ولكن لندع جانباً الآن كل التناقضات ونهتم فقط بالمفيد لي ولك.

لم يكن موسوليني على وفاق يذكر مع الشخصيات الإيطالية التي تعتنق الإشتراكية قبل إعلانه عن جمهوريته الإشتراكية الجديدة وهم «كارلو سيلفيستري» «ونيكولا بومباتشي» شيوعي الاتجاه ولكن موسوليني صار يتقرب إلى هؤلاء لذلك.

أضاف وولف يقول أثناء المقابلة عليك أيها الزعيم أن تستغل تقربك من بعض العناصر الإشتراكية التي لم ترفع السلاح في وجوهنا لتساعدنا جميعاً في مشاريعنا وهذه آخر نصيحة أقدمها لك. فقال موسوليني هو ذاك يا وولف.

ولكن القوات الغربية المتحالفة صاحبة الأنظمة الرأسمالية أصبحت تسيطر على ثلاثة أرباع الأرض الإيطالية الشمالية ضف على ذلك أن النظام الشيوعي والنظام الرأسمالي كلاهما لا يطيق النازية ولا الفاشية.

فقال وولف: اعلم أيها الزعيم أن خيانة بادوليو ما زالت نصب اعيوننا وإذا ما حاولت أنت أيضاً أن تتفق مع الحلفاء دون علمنا فمعنى هذا انك تريد أن تدمر العلاقة التي تربط ما بيننا وانه من المستحسن أن تترك مشروع الاتصال بالحلفاء لي أنا وحدي وانني اعدك بانني سوف اخبرك بشيء يسرك في خلال اسبوعين فقط.

فقال موسوليني: وكيف يتم ذلك؟.

وولف يرمي موسوليني بنظرة حادة ثم ابتسم وقال ربما عن طريق الفاتيكان أو عن طريق أحد القساوسة مثلاً وعلى العموم لدي فكرة سوف اشرحها لك فيما بعد..

موسوليني يفتح فمه الذي جف لعابه محاولا أن يقول شيئاً ولكن وولف قاطعه قائلاً ألمهم أن تعدني أنت بأنك لن تغادر مقر اقامتك هذا بل من الأفضل أن تشيع بين الناس بانك سوف تنتقل إلى ميلانو واترك بقية

المهمة لي أنا هل اتفقنا أيها الزعيم؟.

موسوليني نعم وسوف اكون عند وعدي.

وفعلاً فقد عقد موسوليني اجتماعاً مع وزراءه يوم 16/ابريل/1945م وقدم مذكرته التي تتضمن انتقال الحكومة الإشتراكية إلى مدينة ميلانو حسب وعده الذي قطعه على نفسه امام وولف وقال موسوليني لاعضاء حكومته إن هذا قراري الأخير الذي لا بديل له في هذا الظرف الضيق على أن يتم النقل خلال 48 ساعة.

وضاف موسوليني قائلاً أن انتقالنا إلى ميلانو سوف يمكننا من حرية العمل وسوف نقيم احتفالنا بمناسبة اعلان قيام الدولة الإشتراكية في ميلانو البلد الذي اسست فيه هذه الدولة.

لقد لعب وولف لعبته مع موسوليني حيث ورطه في الانتقال إلى ميلانو ليكون تحت المراقبة الدقيقة من المخابرات الألمانية ثم سافر وولف مرة أخرى إلى ألمانيا بعد أن اصدر أمراً مشدداً يقضي بمنع موسوليني من مغادرة ميلانو أو الهروب إلى سويسرا عبر فالتالينا الإيطالية حتى ولو أدى الأمر إلى استخدام السلاح ضد الفاشيست بهذا أوصى وولف مساعداه كيسنات وفريز.

وبهذا السلوك فقد خان وولف وعده وتلك هي طبيعة النازية والفاشية فلا كلمة ولا وعد ولا شرف بل كل توجهاتهم مصالح أنانية يجوز تحقيقها في قاموسهم حتى يسفك الدماء «فالغاية تبرر الوسيلة».

أما بنيتو موسوليني الدكتاتور الطاغية فقد اضحى ساذجاً أبله تنطلي عليه كل حيلة حيث امتثل لنصيحة المخادع وولف وانتقل إلى ميلانو فعلا فاصبح أسيراً تحت قبضة الألمان وهو على التراب الإيطالي.

وهناك في ميلانو جرى لموسوليني استقبالاً تقليدياً أقامه محافظ المدينة «ماريوباسي» بطريقة تفوح منها رائحة عدم الرضا عن هذا الانتقال الذي اعتبره المحافظ بأنه الوقوع في المصيدة كما لو كان وولف يريد القول

لمخابراته «ها قد ارسلت إليكم الطرد المطلوب» أما السفير الألماني «راهن» فقد حضر إلى موسوليني بعد أن استقر به المقام في ميلانو مهنئاً بسلامة الوصول والمقر الجديد باسلوب متواضع لم يعهده فيه موسوليني من قبل وما أن أنهى عبارات الترحيب والمجاملة حتى كشف عما في نفسه فعرض على موسوليني نصائحه التي تتضمن عدة حلول وتسهيلات للهرب إلى ألمانيا.

إلا أن موسوليني بادرة قائلاً:

انظر إلي يا راهن أنا إيطالي الجنسية والروح وإذا كان لابد لي أن أموت فانني احبذ أن أموت في بيتي فانصرف راهن دون أن يتفوه بكلمة واحدة.. ولكن موسوليني كان قد أعد خطة محدودة باليوم والساعة ولم يطلع عليها أحد إلا فرنز اسبويجلر الذي يثق فيه موسوليني ثقة بلا حدود.

ولقد كانت كلاريتا عشيقة الدكتاتور العجوز موسوليني قد أعدت هي الأخرى خطة لهروبها مع العشيق الجديد «اسبويجلر» ذلك الضابط الألماني الشاب الذي كان مكلف بحماية موسوليني والذي كان يكره كلاريتا التي عرفت كيف تجتذبه بأساليبها المغرية حتى أوقعته في حبها فانقلبت الكراهية إلى غرام.

ومع ذلك فقد بعث موسوليني بنسخة من خطة هروبه إلى كلاريتا مع العشيق الجديد.

«اسبويجلر» تتضمن الخطة السفر في سيارة عادية عبر غابات «بريشا» ثم «بولزانو» ومن هناك يكون السير على الاقدام لمسافة طويلة على أن تكون كل الوثائق مزورة.

إلا أن «فرانز اسبويجلر» لم يوافق على خطة موسوليني فهو بكل تأكيد يريد أن يعمل بجد على تهريب موسوليني ثم يهرب هو مع كلاريتا إلى مكان لا يعرفه الزعيم.

ولهذا فقد ناقش اسبويجلر تفاصيل خطة موسوليني وعلق عليها قائلاً:

إن الاماكن التي حددتها يا زعيم لا تصلح للهرب لأنها مكشوفة للأعيان وفي اعتقادي ان المكان الذي يمكننا أن نطمئن إليه أكثر هو ذلك الممر الجبلي الذي تكسوه الغابات الكثيفة والقريب من فالتالينا.

ولا بد أن اسبويجلر هذا قد أتلف الرسالة التي سلمها له موسوليني ليتسلل بها ويسلمها إلى أحد قادة الانجليز في جبهة القتال ليرسلها القائد بدورة إلى المستر وينستون تشرشل وإنما لم يسأله موسوليني عن مصير رسالته التي ربما قد انسته الظروف الراهنة موضوعها.

وافق موسوليني على خطة اسبويجلر فقال طيب بافرانز إذن قل للسيدة كلاريتا عليها أن تجمع حليها وتستعد غداً مساءاً للسفر ثم أضاف موسوليني قائلاً:

هل حقا جهزتم كل الأوراق المزورة؟.

اسبويجلر: نعم يا سيدي.

كانت الساعة الثامنة عشرة مساءاً حينها لبست كلاريتا بيتاتشي عشيقة «الدوتشي» أي الزعيم ملابسها الشتوية وأخذت تجوب غرفتها ذهاباً وايابا في منزلها المعروف باسم «ميرابيلا» والواقع على بعد بعض الكيلومترات عن بيت الزعيم.

وكانت اكلاريتا تدخن السجارة تلو السجارة وهي تذرع الغرفة بين حقائبها المعدة للسفر يمزق قلبها الملل والخوف من المصير المجهول فتنظر إلى النهر الممتد أمامها تارة وإلى ساعة يدها تارة أخرى.

وعند الساعة الثامنة مساءاً بالضبط وصل إليها موسوليني وفرنز اسبويجلر ليأخذاها إلى الهرب عبر الممر الجبلي شبه النفق تحت الغابات الكثيفة.

وفي تمام الساعة التاسعة شحنت كل الحقائب وانطلق الموكب المؤلف من خمس سيارات من أمام الفيلا التي تسكنها كلاريتا والتي اطلق عليها الإيطاليين اسم بيت الأموات.

كان موسوليني يجلس في السيارة الثانية وبرفقته كلاريتا واسبويجلر حيث اتجه الموكب عائداً إلى ميلانو ومن هناك لا بد من انتظار الفرصة المواتية لتنفيذ خطة الهروب تحت جنح الظلام.

وصل الموكب إلى ميلانو التي كانت شوارعها مظلمة كالصحراء والسكون الرهيب يخيم فوقها مثل غراب البين لا أحد يلاحظ وصول الموكب إلا افراد الجستابو الذي كانوا يحيطون به منذ أن انطلق من فيلا اكلاريتا وإلى أن وصل.

ثم انزلت الحقائب تحت اشراف الضابطين الألمانيين «كيسنات» و«بيرزر» اللذين كانا قد تلقيا أمراً من وولف بمنع موسوليني من الهرب إلى سويسرا أو ألمانيا حتى ولو أدى الأمر إلى استخدام السلاح ضد الفاشيست الذين قد يساعدوه على الهرب.

لم يستقبل موكب موسوليني أحد من الأعوان الفاشيست سوى المتصرف «باسي» الذي امسك بذراع زعيمه يساعده على النزول من السيارة.

وقال موسوليني لهذا المتصرف فور نزوله من السيارة اسمع يا باسي يوم 31/ابريل هو عيد روما وأريد أن أقيم احتفالاً هنا بهذه المناسبة يليق بعظمة الانتصار.

وجلس موسوليني في الطابق الأول مع مرافقوه بعد أن انزلت الحقائب على أساس أن كلاريتا قد انتقلت إلى ميلانو بطريقة عادية جداً إذ لا أحد يعلم بأن هذا الانتقال إنما كان تمهيداً للهرب حتى رجال وولف الحاضرين تلك الليلة لم يدر بخلد أي منهم هذا الشعور ولكنهم كانوا يراقبون كل حركة وسكنة.

كانت الستائر السوداء مسدلة على كل النوافذ منعا لتسرب الانوار عند الغارات الجوية للطائرات المعادية وكان موسوليني صامتاً واجماً ينظر إلى ترتيب الحقائب وتفريغ بعضها من محتوياتها مثل الكتب والمجلات ولعل

موسوليني كان واجما مع شريط الماضي البعيد إذ منذ عشرين سنة اتصل من هنا من هذا الطابق نفسه بالملك «فيتوريو ايمنويلي» الثالث يفرض عليه شروط الفاشيست وتسليم مقاليد الدولة لهم بالكامل ولم يجد الملك آنذاك بدا من الرضوخ لشروط الفاشيين وزعيمهم بنيتو موسوليني.

لقد كانت جلسة موسوليني في ذلك الوقت وهو يملي شروطه على الملك تختلف عن جلسته الآن وهو يستعد للهرب وليس مع زوجته وإنما مع عشيقة خانته قبل أن تهرب معه.

وكان موسوليني في جلسته الماضية تحيط به السناكي الفاشية لتحميه .تفرض أوامره على إيطاليا كلها أما جلسته الآن صارت تحيط به السناكي الألمانية ومدافع الحلفاء لتمنعه من الهروب حيث يريد.

لقد ورط موسوليني نفسه فدخل الحرب وتحالف مع النازية وانغمس في تيار الرذيلة بعد مكبره فدمر البلاد والناس والزرع والمصنع وقتل الآلاف من البشر ظلماً وعدوانا وتسبب في حرب أهلية ذهب ضحيتها الكثيرين وأخيراً أقدم على اعلان حكومة جمهورية اشتراكية فاشلة منذ قيامها لم ولن يؤمن بها أحد.

كذلك فشل موسوليني في اقامة الحصون المنيعة في فالتالينا حيث منعه حلفاءه النازيون من تحقيق هذا الأمل الذي ربما قد يستطيع أن يحتمي به لانقاذ حياته وصار اعوانه يكذبون عليه ويستهزئون به إذ منذ أيام فقط كان «بافوليني» مدير حزبه يقول له أنه في استطاعته جمع «300» ألف مقاتل فاشيستي لحمايته والذود عنه إذا شعر بخطر يهدد حياته غير أن موسوليني نفسه اكتشف بأن هذا العدد غير موجود على الاطلاق لا في ميلانو ولا في فالتالينا وانه مجرد تضليل وتزوير.

بينما كان موسوليني يمضي ليلة طويلة في ذلك المبنى العتيق ساهراً يفكر باقي ما تبقى لديه من ذهن متناثر كشظايا القنابل محاولا أن يرسم مستقبله أو مستقبل حكومته الجمهورية الإشتراكية التي صارت رميمة لا

حياة فيها كالجسد الدفين تحت الثرى. بينما كان هو كذلك فإذا بالمخابرات الألمانية الجستابو باشراف «كيسنات وبرزر» شخصياً تضع أفراد الحراسة المشددة أمام بيت الزعيم ومكتبه بمتصرفية ميلانو. . ممنوع الدخول على موسوليني ولكن إذا أراد موسوليني أن يذهب إلى مكتبه فيلكن ذلك تحت الحراسة المسلحة. . هذه هي الأوامر التي صدرت لافراد الحراسة بكل حزم وتشديد.

وكان هناك أيضاً في احدى ضواحي ميلانو مجموعة من أناس آخرين امضوا ليلتهم بين السهد والضجر أولئك هم خصوم موسوليني زعماء الجبهة الوطنية للمقاومة الشعبية الذين ليس لهم مقر رسمي يجتمعون فيه في البلاد ولكنهم جاءوا إلى ميلانو بعد أن وصل إلى علمهم أن موسوليني قد انتقل إليها بحكومته وسكناه.

ظل هؤلاء الرجال ساهرين يفكرون في كل أمر وانعكاسه كيف يتم القبض على موسوليني وزمرته الفاشية.

إننا لم نعثر على أية مدونة تذكر لنا كم كان عدد أولئك الرجال ولكن كان من بينهم رجل ديني معتدل اسمه «اكيللي مارادزا» كان قد عرف اسمه حتى موسوليني مؤخراً.

يقول هذا الرجل في مذكراته التي سلمها اخيراً للفاتيكان ولم يرد فيها هي الأخرى عدد أولئك الرجال.

يقول: انه بالرغم من الحراسة المشددة والبوليس السري والرسمي الذين تعج بهم شوارع ميلانو ليل نهار يمسكون بتلابيب كل من يشتبهون فيه بانتماءه أو ولائه للجبهة الوطنية الإيطالية المؤلفة من الأحزاب المناضلة لتخليص الوطن من الفاشية والنازية فإننا استطعنا بالرغم من هذا كله أن نبقا في ميلانو نجتمع سراً. يومياً نكتب المناشير السرية ونوزعها في الاماكن العامة ونحث المواطن الإيطالي على الانضمام إلى جبهة القتال الوطنية الإيطالية ليساهم بدوره في تحرير وطنه من الكوابيس السوداء.

كما كنا ندعو المواطنون الإيطاليون إلى التعاون والتوحد نحو الهدف الأسمى ونعلن في منشوراتنا اسماء مجرمو الحرب وعلى رأسهم الطاغية موسوليني ونحرض كل الناس على التمرد وعدم دفع الضرائب للحكومة الفاشية التي كانت السبب في تدمير الوطن والمواطن المضطهد من قبل هؤلاء الخونة الفاشيون.

ومضينا نعيد إلى اذهان الناس عبر مناشيرنا عمليات الإعدام الجماعي الذي يرتكبه النازيون والفاشيون كل يوم ضد الإيطاليين وكنا أيضاً نوصي الجماهير بعدم ارتكاب الجرائم الاجتماعية كالسطو والاختطاف وتدمير المصانع والمزارع التي تعد من المقومات الوطنية التي يجب الحفاظ عليها .لكن الذي يجب تدميره هي الفاشية والنازية كي تحتفظ البلاد بماء الوجه ويكون استسلامها على طاولة الكرامة الوطنية لأن الحلفاء قد اعترفوا بتشكيل الحكومة من الجبهة الوطنية الإيطالية التي اعتبرها الاتفاق جبهة من جبهات الحلفاء طالما أن الهدف واحد وهو القضاء على الحزب الفاشي وزعيمه موسوليني وإرغام القوات الألمانية العاملة في إيطاليا على الاستسلام بدون قيد أو شرط.

ولقد قلنا للناس أيضاً أنه يجب علينا جميعاً أن ننبذ الخلافات الجانبية فيما بيننا ونطرح الاحقاد والضغائن جانباً إلا الحقد على الفاشية والنازية فإنه يجب أن يكون قائماً مستمراً من أجل الذين قتلوا بغير حق ومن أجل الظلم والفساد اللذان سلكتهما هذه العناصر الطاغية حتى تتفرغ لجنة الجبهة الوطنية لتحرير إيطاليا إلى تشكيل الحكومة الجديدة المعترف بها من قبل الحلفاء والحكومة الملكية الإيطالية وكذلك لتتمكن من تطهير البلاد من الرواسب الفاسدة وهذا كان تفكيرنا منذ أن علمنا بأن موسوليني قد انتقل إلى ميلانو يوم 18/ابريل/1945م.

هناك رواية تقول أن موسوليني قد تمكن من إقامة الاحتفال الذي أشار إليه عندما استقبله المتصرف «باسي» في ميلانو وان هناك حشد كبير قد حضر الاحتفال ولكن الحقيقة تقول عكس ذلك إذ أن المخابرات الألمانية

وجماعة وولف بـالذات لن تسمـح باقـامة الاحتفـال بل وضعت مـوسوليني تحت الرقابة شبه منعزل حتى عن أعوانه وحتى أهالي ميلانوا نفسهم يقولون فيما بينهم جهراً في الشوارع أن موسـوليني بالـرغم من وجوده هنـا فإنـه بلا وزن ولا شرف ويجب علينا أن نعتبره في اعداد الأموات ونـنـظر إلى مستقبل إيطاليا ما بعد نهاية هذه الحرب التي تسبب فيها هذا الشقى.

«مبنى المتصرفية»

«19 / ابريل / 1945م»

وقف فرانز اسبويجلر خلف باب مكتب موسوليني داخل متصرفية ميلانو يقظا متنبها لكل حركة خارجية أو داخلية فيما دخلت اكلاريتا مسرعة إلى المبنى ثم دلفت إلى مكتب الزعيم.

لم يمنعها اسويجلر من الدخول إلى مكتب موسوليني لأنه أخذ ينفر منها بعد أن قضي منها «وطر» بل اصبحت تخميناته الفكرية هي التخلي عنها تماماً إذ لم تعد الظروف سانحة للهروب معها كما كان مرتباً ومخططاً.

ثم جلست اكلاريتا على منضدة الزعيم وهي في حالة ارتباك وفزع شعرها متناثر وصدرها عاري وكلماتها متلعثمة وقالت ها أنا قد انتهيت ثم أجهشت في البكاء.

ونهض موسوليني من مكانه ومسح براحة يده على رأسها ونظر إلى وجهها المكفهر ثم قال لها:

ماذا تفعلين هنا؟.

جففت اكلاريتا دموعها براحتي يديها وبالكاد قالت كنت أودع أهلي وأنت تعرف بأنهم سيسافرون إلى إسبانيا.

موسوليني نعم أعرف ذلك وأعرف أن السفير الألماني «راهن» قد

وضع طائرة خاصة لترحيلهم إلى هناك فهل تريدين الذهاب معهم؟.

فقالت لا.. أنا هنا سأمكث قريبة منك ولكنني سوف أسكن في بيت أهلي بعد مغادرتهم له.

فشكرها موسوليني على ذلك..

وقبل أن تغادر اكلاريتا مكتب الزعيم دخل اسبويجلر الذي قال له موسوليني: أنا لدي أعمال كثيرة فهل ترافقني إلى البيت يا فرانز؟ وهم موسوليني بالخروج لكنها اكلاريتا أمسكت بمنديلها وانهمرت دموعها مرة ثانية ولكن هذه المرة استطاعت أن تقول بصوت مسموع موجهة كلامها إلى اسبويجلر:

أرجوك يا فرانز قل له أن يتركنا نبادر بالهرب نحن الثلاث إذا كنت تحب الزعيم حقاً ساعدنا على النجاة يا فرانز وإلا سوف نخسر كلنا وتضيع حياتنا اقنعه يا فرانز.

لم يرد فرانز على توسلات اكلاريتا ولكنه أمسك بيدها بلطف وقال لها: اصبري يا سيدتي اصبري. فقالت له اخطفه يا فرانز وأرغمه على الهرب أرجوك.

وبعد برهة من الصمت طلبت اكلاريتا من اسبويجلر أن يرافقها لتعود إلى منزلها ميرابيللا في «جرنيانو» لتأخذ بقايا ملابسها التي كانت قد نستها هناك فقال موسوليني خذها إلى هناك يا فرانز بعد أن توصلني إلى البيت وعد معها بسرعة ولم يجد فرانز اسبويجلر فرصة أجمل من هذه حيث ذهب مع اكلاريتا وتركها في منزلها تجمع ملابسها ثم لاذ بالفرار تاركاً ميلانو وموسوليني وعشيقته.

وفي يوم 21/ابريل/45 بينما كان موسوليني في ميلانو وبينما كانت أرضية جمهوريته تعيش في رعب شديد وبينما لم يتسطع موسوليني إتمام بقية فصل الهروب وتخلي عنه الاقارب والاصدقاء فإذا ببرقية تصله من المارشال غرسياني يقول فيها:

أيها الزعيم لقد احتل الحلفاء مدينة بولـوينا ويتـاهبون الآن للزحف إلى ما بعدها.

أيها الزعيم إنها الآن ليست حرباً ولكنها هزيمة عسكرية.

التوقيع/غرسياني.

ولما لم يعر موسوليني برقية غرسياني أي اهتمام لأنه صار لا يبالي بالمصير الذي ينتظره حضر غرسياني شخصياً إلى ميلانو ودخل على الزعيم في مكتبه وجلس بعد التحية أدار موسوليني قرص الهاتف وطلب من «بافوليني» مدير الحزب الفاشيستي الحضور فوراً إلى مكتبه وما هي إلا دقائق حتى جاء بافوليني فبادره موسوليني قائلاً أين هي القوة التي عبرت عن وجودها؟.

فقال بافوليني إن الكتائب الفاشية تزحف الآن نحو الجبال في طريقها إلى فالتالينا.

إلا أن غرسياني رد عليه قائلاً موجها حديثه للزعيم لا تصدقه يا زعيمي فإنه كاذب وخائن وقفز بافوليني من مكانه ثم خرج واطبق باب المكتب من خلفه بشدة وغضب.

وخرج بعده غرسياني دون أن يعلق موسوليني بشيء أو يضيف جديداً.

وفي اليوم التالي اصدرت الجبهة الوطنية الإيطالية عن طريق لجنتها منشوراً قالت فيه أيها الشعب الإيطالي المناضل على جميع الألمان الذين دمروا أرضنا وعلى جميع من يساعد الفاشية والنازية إلى هذا الوقت عليهم جميعاً أن يلقوا السلاح ويسلموا أنفسهم إلى الجبهة الوطنية في الجبال وكل من يخالف هذا المنشور سوف يعدم رمياً بالرصاص.

وركز موسوليني بنظره التي كادت أن تغطيه الغشاوة على ذلك المنشور الذي جاء به اعوانه إليه وقال في قرارة نفسه ومذكراته من ينجوا من القنبلة بعد أن تنفجر تحت ارجله ليس هناك أدنى أمل في النجاة بعد. هذا المنشور

ثم تبادرت إلى ذهنه كلمات بافوليني حين قال إن جميع الكتائب الفاشية في طريقها الآن إلى فالتالينا فلماذا إذا نخاف من هذه الشرذمة التي تطلق على نفسها (لجنة تحرير إيطاليا)؟ أو عملاءها في ميلانو.

وكان موسوليني يعني بكلمة «عملاءها في ميلانو» أولئك الرجال الأربعة الذين تم تكليفهم من قبل لجنة تحرير إيطاليا بتحريك الإنتفاضة الشعبية في ميلانو ضد الفاشية والنازية وان يتولوا إدارة الأمن من بعد الاطاحة بما يسمى بالجمهورية الإشتراكية الفاشيستية وزعيمها موسوليني وهم:

«لويدجي لونغو» شيوعي العقيدة.
«ليو فالياني» حزب العمل.
«ايميليو سيريني» شيوعي العقيدة.
«ساندورو بيرتيني» الحزب الإشتراكي.
وهذا الأخير ما زال غير معروف لدى موسوليني.

وفي يوم 22/ابريل/45 حوالي الساعة السادسة زوالا حضر إلى المتصرفية المدعو «كارولو سيلفيستري» وهو صحفي قديم يدعى بأنه ما زال على علاقة مع اصدقاءه القدامى الإشتراكيين اخترق هذا الدجال صفوف الحراسة التي تطوق مبنى المتصرفية من الجنود الفاشيست والألمان حيث سمح له بالدخول بعد استشارة الزعيم ودلف الرجل إلى مكتب موسوليني.

كان سيلفيستري هذا أول مناهض لموسوليني عندما كان هذا الأخير في أوج الدكتاتورية ولقد زج به حتى في السجن لمدة أشهر وكان صحفياً بارعاً وسياسي محنك واشتراكي مرموق قبل أن يعلن موسوليني جمهوريته الإشتراكية التي باركها سيلفيستري منذ اللحظة الأولى حيث تم الافراج عنه ومن ثم فقد وضع يده في يد موسوليني الآثمة فاصبح من أعز اصدقاءه انتهز سيلفيستري هذا الوضع الذي وصل إليه موسوليني.

فقرر أن يمد إليه يد المساعدة لعله يستطيع انتشاله مما هو فيه.

لـذلك دلف سيلفيسـتري إلى مكتب الزعيم يحمـل في طيات مخيلتـه عدة أفكار كلها واهية وكلها نفاق وأوهـام لأنه كـان منبوذاً من الجميـع بعد أن تقرب من السفاح موسوليني.

وما أن صافح سيلفيستري موسوليني وجلس حتى بادره الأخير بقـوله سيلفيسـتري.. إنك تعلم إلى أي مـدى أنا متجـه نحو الإشـتراكية وإنـك تعلم أيضاً أن الإشتراكيين وخاصـة في شمال إيـطاليا جميعهم ضـالعون فيـما يسمى بحـرب التحريـر ضد الفـاشيست تحركهم الجبهـة الوطنيـة ولجنتهـا الرئيسية واضاف موسوليني يقول: بالنسبة لي لقد انتهت الحرب وأنا الخاسر فيها ولكنني مع ذلك فلم أرد للإشتراكية أن تخسر وجودها وبقاءها دوليـاً لا حزبياً فقط.

ومن هذا المنطلق فانني أحبذ أن التقي بزعماء الأحـزاب الإشتراكيـين للتفاهم معهم بالاسلوب الذي يكون مفيداً لهم وللبلاد.

ولقد أخذ سيلفيستري خرافات موسوليني هذه التي طـالما رددهـا على مدى عشرين سنة ولم يطبقها يوماً أخذها سيلفيستري مأخذ الجد حيث قال لموسوليني سـوف ابذل كـل ما في وسعي لأحقق لـك هـذا اللقـاء مـع من تريد.

وتناول موسوليني ورقة وقلم وأخذ بالتعاون مع سيلفيسـتري يسطران رسالة موجهة إلى مسئول الحزب الإشـتراكي في ميلانـو والذي سبق لـه أن عرض على الكتائب الفاشيستية الاستسلام وتسليم أسلحتهم بـالكامـل إلى الحزب الإشتراكي الذي يساهم فعليـا في حرب تحـرير إيـطاليا من الفـاشية والنازية بالرغم من إعلان موسوليني عن قيام دولة جمهورية إشتراكية.

وقد فسر موسـوليني أن تسليم الجيش الفاشي الإشـتراكي إلى الحزب الإشتراكي سيكون فيه منفذاً للنجاة قد يشمله هو أيضاً.

وطبعت الرسالة من عدة نسـخ ليتم توزيعهـا على المـواقع الإيـطالية المشتركة في حرب التحرير وخاصـة الإشتراكيـون إذ لعلها تخفف من تفـاقم

الغضب الحزبي والنقمة الشعبية العامة ضد الفاشية وزعيمها الدكتاتور الذي أفسد الأرض ومن عليها ردحا من الزمن الطويل.

لم يوقع موسوليني تلك الرسالة ولكنها تعتبر دعوة لاجتماع أقطاب الإشتراكية مع من يعتبر نفسه رئيساً للجمهورية الإشتراكية (موسوليني).

واستلم سيلفيستري تلك الرسالة وسلم نسخة منها إلى «ليليوباسو» المكلف بكتابة الدستور الإيطالي الجديد بعد انتهاء الحرب وسقوط الفاشيست والملكية معاً.

ونسخة إلى «ساندرو بيرتيني» الذي رفض حتى مجرد الاطلاع على ما جاء فيها.

وعلى العموم فلم يستجب أحد لنداء موسوليني.

وفي اليوم التالي استمر سيلفيستري في توزيع الرسالة وقد التقى صدفة مع «ريكاردو لومباردي» في أحد الحوانيت وكان هذا الأخير قد كلفته لجنة التحرير بالإستلاء على مقر موسوليني نفسه ويحل محله بعد القبض عليه ويكون بعد ذلك متصرفا لمدينة ميلانو.

وبمجرد أن القى لومباردي نظرة على الرسالة مزقها ورمى بها في برميل القمامة وطرد سيلفيستري.

اعتقد موسوليني بأنه قد أصاب الهدف برسالته تلك ولم يدر بخلده أن آلاف المقابر التي امتلئت من ضحاياه سوف تكون حاجزاً دون بلوغه الهدف أو الوسيلة التي قد تنقذ حياته مهما حاول بأساليبه اليائسة أن يعيد سلطانه ويحكم قبضته في رقاب من يبعث لهم برسائله عديمة الأهمية والتي ليس لها مكان إلا براميل القمامة.

ولما لم تفلح رسالته مع سيلفيستري ذهب موسوليني بنفسه إلى العديد من الشخصيات البرلمانية في ميلانو ليذرف أمامهم دموع التماسيح قائلاً لكل منهم لماذا تكرهونني؟ إنني لم أعد موسوليني الجبار وإن ما فعلته في الماضي كان لابد أن يفعله أي واحد غيري.

ولكن لا أحد من هؤلاء استطاع أن يعطيه وعداً بمساعدته في محنته التي جاء بها بنفسه إلى الشعب الإيطالي كله.

وفيما كان موسوليني يطوف على بيوت النواب يستجدي المساعدة والعطف الذي لم يعرفه هو مع غيره منذ عشرات السنين ظل سيلفيستري يلهث هائماً على وجهه هو الآخر يبحث عن اصدقاءه القدامى إذ لعله قد يجد من بينهم من يقف معه لمساعدة سيده موسوليني ليجنبه على الأقل حكم الإعدام الذي ينتظره ولكن لا جدوى ولا مفر من وقوف الدكتاتور أمام فرقة الإعدام على ما يبدو.

وبعد اليأس الذي أخذ يغزو ويدمر هذه الروح الشريرة في كيان الطاغية موسوليني يوماً استدعى وزير داخليته «باولو زمباريني» كما استدعى في نفس الوقت الجنرال «روينزو مونتانيا» قائد فرق الكتائب السوداء وعند حضورهما قال لهما موسوليني عليكما أن تبحثا بأي وسيلة عن اعضاء لجنة التحرير الموجودة في ميلانو وتتفقان معهم بشأن مصير هذه الجمهورية الإشتراكية حتى لا يتعرض أحدنا للضرر وذلك بالكيفية التي تراها لجنة التحرير.

ولقد اعتبر الرجلان أوامر موسوليني هذه تكريما سطحيا جاء لهما بعد فوات الوقت المناسب لهذا التقارب وقالا يا ليت موسوليني فعل هذا منذ زمن أو حتى قبل دخوله الحرب وليس الآن بعد أن أصبحنا جميعا معزولون عن الشعب الإيطالي وقياداته المدنية ثم قالا لبعضهما أخيراً لنترك للظروف وحدها تحديد مصير كل منا على حده.

وفي يوم 23/ابريل/45م استقبل موسوليني بمكتبه سيلفيستري الذي قال لا فائدة أيها الزعيم إن جميع الاشخاص الذي اتصلت بهم رفعوا اكتافهم مستنكرين ما عرضته عليهم بكل ازدراء فألقى موسوليني رأسه على صدره كأنه قد فصل عن عنقه وأغمض عيناه وتنهد طويلاً ثم قال بنبرة اليأس صبراً.. لا بأس..

وبعد ساعات معدودة عن تلك الصدمة خطرت ببال الدكتاتور فكرة جديدة وهي محاولة التقرب من الشخصيات المعتدلة في الجبهة الوطنية الإيطالية وأن يعلن لهم بأنه قد تنازل عن اعتناق الإشتراكية وأن يكون ذلك عن طريق رؤساء الأحزاب الديمقراطية والتحررية وكذلك عن طريق الجنرال «رفائلي كادونا» الذي انضم بقواته الإيطالية إلى المقاتلين ضد الفاشية والنازية والذي يكره ذكر اسم الشيوعية أو الإشتراكية الأمر الذي جعل البعض من المؤرخين يقولون في مذكراتهم متفائلين: الآن والآن فقط قارب موسوليني أن يصل إلى الحل الحقيقي لازمة البلاد القاتلة بعد هذه التوجهات الأخيرة.

وهكذا في يوم 23/مارس/1945م اتصل موسوليني بوسائله الخاصة بزعماء الأحزاب المعتدلة كل على حده عارضاً عليهم فكرته الجديدة كان ذلك قبل موته بخمسة أيام فقط وهي نفس اللعبة التي لعبها وخدع بها الكثيرون.

في عام 1922 ولكن نحن الآن في عام 1945 حيث انفضح سلوك موسوليني وحزبه الأسود ما بين التاريخين الأمر الذي لم تعد تنطلي فيه مناورات هذا الشقي الذي صار الآن كالحيوان المتوحش تحيط به قضبان الحديد من كل ناحية معزولاً عن دنيا النور يسير كالأعمى بدون هدى.

وفي مساء ذلك اليوم 23/ابريل/45م اتصل موسوليني هاتفياً بالكردينال «شوستر» بالفتيكان قائلاً له أتوسل إليك أن تتدخل لحقن الدماء بين الإيطاليين وأن تقنع زعماء وقادة الجبهة الوطنية الإيطالية بالكف عن سفك الدماء ولنتفاهم بالعقل وروح السيد المسيح وإذا شئت تعالى إلي أيها الأب الطاهر حتى نتناقش أكثر في هذا الشأن. . تعالى حتى في بيتي فإنني أرحب بك مقدماً.

ولكن «شوستر» رد قائلاً: إنك تعرف أيها الزعيم تقاليد الفاتيكان إننا لا نذهب إلى من فعل ما يغضب الرب ولكن إذ شئت أنت أن تأتي فهذا أفضل.

وضع موسوليني سماعة الهاتف وهو في حالة ذهول نتيجة لإجابة الكاردينال شوستر على هذا النحو وإلى هذه الدرجة هو مغضوب عليه؟.

وبعد ساعة واحدة من هذه الصفعة الأخرى ولأول مرة بعد مرور خمسة أيام مليئة بالقنوط والشطط اتصل موسوليني هاتفياً بمنزله الأول في «جرنيانو» بشارع «فيلترانيللي» وتحدث مع زوجته راكيلي ومع أفراد أسرته بعد غياب ليس في الحسبان ثم قال لزوجته انتظريني هذا المساء فربما أعود إلى البيت.

ماذا حدث في الوقت الذي كان قد حدده موسوليني لمغادرة ميلانو إلى جرنيانو للاجتماع باسرته حدث ان مجموعة من المثقفين والكتاب وروات القصص كانوا قد تجمعوا أمام المتصرفية في شبه تظاهرة صغيرة يحملون لافتات كتب عليها: تسقط كل الافتراءات والملابسات والتحفظات التي تؤدي بحياة الزعيم موسوليني.. نحن نعارض هذه السلبيات.. وبعد أن تفرق المتظاهرون اتصل موسوليني هاتفياً وهو مرتاحاً نفسياً مؤقتاً على الأقل اتصل بأحد رجال الصناعة المعروفين ويدعى «جان ريكاردو شيللا» وكان لهذا الرجل علاقات وطيدة مع موسوليني إذ منذ أيام قليلة ماضية قد باعه موسوليني عمارته ومطبعته في ميلانو استعداداً للهرب.

وما أن وصل ذلك الرجل الصناعي حتى قال له صديقه موسوليني:
اسمع ياشيللا هل تعرف أي زعيم ديمقراطي مثلا يمكنني التحدث إليه في أمور تخص وضعنا الحالي؟.

«شيللا» اعتقد نعم.
موسوليني.. كيف تعتقد أريد الصحيح.
شيللا ـ يمكنني الاتصال برجل اسمه «مالفيدينتي» موسوليني ـ حاول أن تجده فانني بحاجة إلى الحديث معه.

شيللا ـ متى تريد ذلك؟.
موسوليني ـ في اقرب وقت ممكن.

ومن ثم فقد طلب موسوليني زوجته راكيلي هاتفياً للمرة الثانية خلال ساعة واحدة قائلا لها:

راكيلي أرجو المعذرة عن عدم المجيء إليك هذه الليلة لأنني غيرت رأي. واختلق موسوليني اكذوبة حيث قال لزوجته لأن الحلفاء قد قطعوا الطريق بين «مانتوفا وبريشا» وقال لها إليك ولأولادي أحر قبلاتي وقبل أن يضع السماعة طرق سمعه صوت راكيلي وهي تبكي عالياً.

وبعد قليل اتصلت راكيلي بزوجها موسوليني هاتفياً وقالت له: ليس هذا معقولاً يا بنيتو أن يظلوا اعوانك يخدعونك على هذا النحو فأنا قد اتصلت بالقيادة العسكرية بعد مكالمتك الأخيرة وقالوا لي أن الطريق ليس مقطوعة كما قيل لك وأنه مجرد خداع لك هذا الذي قيل لك.

ولقد رد عليها زوجها قائلاً إذا سأرسل لك سيارتي غداً لتنقلك إلى قصر الملك سابقاً وسوف نلتقي هناك.

لقد أصبح الدكتاتور السفاح موسوليني أسيراً لخوفه وشكوكه في كل شيء حتى في زوجته واقاربه الأمر الذي جعله يقرر في داخل نفسه أن لا يذهب إلى «جرنيانو» حيث بيت زوجته راكيلي وأولاده كما جعله هذا الخوف يرفض الذهاب إلى الفاتيكان إذ ربما ستكون نجاته من الموت هناك.

وضاقت الدنيا على وسعها في وجه الطاغية وصارت الأحداث في ميلانو وغيرها من المدن الإيطالية تفاجئه كل يوم بفاجعة جديدة تزيد من ارهاقه وفزعه ويأسه إذ ها هم الإشتراكيين يرفضون دعوته للاجتماع والتفاوض وها هم الديمقراطيون أيضاً لا يعيرون دعوته أي اهتمام وها هم الملايين من عمال السكة الحديدية في ميلانو ولومباردية يضربون عن العمل مطالبين بتنحيته عن الحكم بعد أن ظلوا سنداً له طوال عشرين سنة وهكذا فقد بدأ المصير الأسود يزحف نحوه رويداً تارة ومسرعاً تارة أخرى وموسوليني يبحث بلهفة عن مخرج ولكنه لم يجده على وجه الأرض التي ملأها رعبا وسفك على سطحها دماء الابرياء.

ويقول موسوليني في مذكراته المعثور عليها إن ابشع يوم صادفني حتى الآن هو يوم 23/ابريل الذي سمعت فيه اضراب عمال السكة الحديد الذين كانوا أول من تظاهر للتأييد والموازرة يوم الزحف على روما وإعلان الحكم الفاشيستي ها هم الآن نفس العمال ينهون العهد الفاشيستي باضرابهم هذا الذي اعتبره الضربة القاضية التي قضت علي وعلى الحزب، فأصبح يوم 23/ابيريل/45 هو يوم الحزن ودفن الفاشية إلى الأبد وليس لي أي تعليق آخر أقوله سوى إنني انتهيت.

«ميلانو في 24 / ابريل / 1945»

كان «لويدجي لونغو» في شقته التي ظل مختبئاً فيها بميلانسو وكانت الأمطار تهطل بغزارة هائلة في ذلك الصباح عندما كان لونغو يريد أن يتخذ قراراً هاماً جداً في حياته النضالية ولكنه فتح المذياع ليستمع إلى نشرة الأخبار قبل اتخاذ القرار.

ولقد كانت أخبار ذلك الصباح هزيلة ليس فيها جديداً كما لو كانت هناك هدنة في الليلة البارحة وحتى البيانات العسكرية الألمانية لم تذكر جديداً بل أعاد المذيع نفس البيانات التي كانت قد اذيعت بالأمس مما يدل على أن الألمان ليس عندهم ما يقولونه مجدداً، وهو أمر يشير بدون شك إلى الهزيمة الساحقة للقوات الألمانية العاملة في إيطاليا، وربما هم الآن على وشك الانكسار والاستسلام.

ثم انتزع ـ لويدجي لونغو ـ ورقة من مفكرته الصغيرة وأخذ يسطر عليها بعض العبارات إلى صديقه «بييترو سيكيا» المسئول عن تطويع المقاتلين وتوزيع الأوامر التي تصدر إليهم يومياً من قادة الجبهة ثم ركب لونغو سيارته وصار يوزع في منشوره الذي طبع منه عدة نسخ في الليلة البارحة على الاماكن العامة شخصياً.

يقول المنشور:

أيها الشعب الإيطالي المناضل في جميع القطاعات الصناعية والزراعية

والحرفية والجنود ان قواتكم الحزبية المناضلة ضد الفاشية والنازية باتت على وشك الظفر والانتصار الأمر الذي سوف يجبر الطغاة الفاشيون والنازيون في إيطاليا على الإستسلام ووضع نهاية لهذه الحرب التي دمرت وطننا بسبب حماقة موسوليني وشرذمته الباغية.

وبعد أن أفرغ لونغو ما عنده من توزيعات في تحد وعزيمة انطلق بسيارته في ذلك الجو الممطر المكفهر إلى خارج ميلانو حيث كانت هناك امرأة واقفة تحت رخات المطر تمسك بيدها دراجة عادية تحت مظلة واقية من التبلل فاقترب منها لونغو وناولها طرداً ضخماً يحمل بداخله أمراً معيناً إلى المقاتلين في الجبال فانطلقت المرأة تحمل الرسالة في جو كهذا على متن دراجتها.

أما بالنسبة لرجل الصناعة «ريكاردو تشيللا» الذي كلفه موسوليني بالبحث عن أي زعيم ديمقراطي يمكنه التحدث إليه فإنه ذهب إلى كنيست «باب جبل الرحمة» بميلانو وتحدث مع «اكيللي ما رادزا» وهو قسيس سياسي كان من أشد المناهضين للحزب الفاشيستي والنازية والشيوعية على حد سواء.

وصار (ريكاردو شيللا) يقنع القسيس باسلوبه التجاري طالباً منه الوقوف بجانبه لانقاذ حياة الدكتاتور التي أوشك الخطر على مداهمتها وأضاف «شيللا» قائلاً للقسيس «مارادزا» أيها الأب إن قتل موسوليني على النحو الذي يريده الاعداء «الحلفاء» قد يشجعهم حتى على مقاتلة الجبهة الوطنية الإيطالية التي أنت واحد من محرضيها على مواصلة القتال حتى تتحرر البلاد من الفاشية والنازية وإبعاد الشيوعية عن الحكم بعد انتهاء الحرب ـ أليس معي في هذا الرأي؟.

وبالرغم من أن القسيس «مارادزا» لا زال يكره موسوليني ويعتبره في تلك الفترة في اعداد الأموات إلا أنه قال لمحدثه ولكن مع من يريد التفاوض موسوليني؟ فقال رجل الصناعة أنا قلت أنه يريد الاستسلام ولكن بالتفاوض لا باسلوب مشين أنه يريد أن يتحدث ويتصل.

وأضاف شيللا قائلاً: ما رأي سيادتكم لو تكرمتم وقابلتم موسوليني حتى في بيتي أنا؟ المهم أن تقبلوا دعوته للتفاوض ـ على أساس أن يترك ـ وشانه ليذهب إلى فالتالينا مع اعوانه وهناك هو وحظه. .

فقال القسيس هذا لا يمكن لأن لجنة التحرير قررت أمس إن على موسوليني أن يسلم نفسه حتى عن طريق هذه الكنيست فإذا جاء صاحبك إلى هنا فإنني سوف أبلغ اللجنة وسنحضر لاستلامه وهكذا انفض اللقاء بين الرجلين بدون أية نتيجة لصالح موسوليني هكذا دون القسيس في مذكراته.

في ذلك الصباح الممطر المكفهر الذي سلم فيه لونغو رسالته أو منشوره إلى تلك المرأة لتنقلها على متن دراجتها إلى المسئولين في الجبهة الوطنية كان موسوليني في ذلك الصباح مرتدياً بزته العسكرية الكاملة كأنه ما زال في قمة طغيانه وشبابه ثم التقط سماعة الهاتف وطلب فيللا الملك سابقاً حيث كانت زوجته راكيلي في انتظاره منذ طلوع الفجر متحملة مشقة السفر تحت غزارة المطر وقصف الرعد المخيف.

لقد كانت المسافة بين الفيللا ومتصرفيه ميلانو حوالي عشرة كيلومتراً فقط ومع ذلك فلم يستطع موسوليني الذهاب إلى زوجته راكيلي بالرغم من توسلاتها بشأن الحضور إليها لتراه مرة واحدة وهي هذه المرة على الأقل ولكنه أي موسوليني قال لها هاتفياً لا لا يا راكيلي لا استطيع الخروج من مكتبي الآن ولا غداً وكل ما ارجوه منك هو ان تهتمي بالاولاد.

ولكن راكيلي التي تحملت مشقة السفر تحت الظلام والأمطار الغزيرة لترى زوجها فلم تستسلم بسهولة للأمر الواقع ولهذا فقد أصرت على أن تذهب هي إلى حيث زوجها.

وأجاب موسوليني على إصرار زوجته بنبرة الحزين اليائس بكلمات وجيزة فقال لها أه. . يا راكيلي. . لقد انتهى كل شيء حتى علاقتنا الزوجية انتهت يا راكيلي وما أن تفوه الدكتاتور بهذه العبارات حتى سمع بوضح

صراخ زوجته الممزوج بالعويل لأنها كانت رفيقته في السراء والضراء طيلة إثنا وعشرين عاماً وهي تتمتع بلقب «سيدة إيطاليا الأولى» فيكف يهون عليها الساعة فراق زوجها بهذه السهولة ولهذا فقد ألحت على زوجها من جديد أن يجيء إليها أو هي تذهب إليه.

وحيث أن موسوليني ظل اسيراً لخوفه وفزعه من المصير الرهيب الذي ينتظره فقال لزوجته ـ اسمعي يا راكيلي.. لقد اتخذت قراراً حاسماً وهو لا بد أن تذهبي إلى مدينة «كومو» فقد أصدرت أمري إلى السيد «غاتي» ليأتي غداً لنقلكم إلى هناك وإنه الفراق بيننا يا راكيلي.

وكان «لويدجي غاتي» هذا هو آخر سكرتير ما زال يحتفظ به موسوليني وحينما كلفه زعيمه بهذه المهمة كان ساهراً طول الاربعة والعشرين ساعة الماضية في انتظار «سيلفيستري» إذ لعل هذا الأخير قد يتحصل على إجابة حسنة من الزعماء الإشتراكيين الذين اتصل بهم بتكليف من موسوليني بشأن الاجتماع بهم ولكنهم رفضوا هذه الدعوة بالاجماع.

وفي يوم 24/ابريل/1945 مساء استلم موسوليني برقية من «ادولف هتلر» شخصياً يقول له فيها ـ صديقي بنيتو موسوليني لقد أصبحت برلين تحت طائلة القصف المدفعي الروسي. وصار موسوليني يمعن النظر في أركان البرقية عله يعثر على أية جملة أخرى تعطي تفسيراً أوضح ولكنه لم يجد شيئاً في تلك البرقية التي تعتبر وصية إنسان يحتضر.

هكذا كانت حتمية الصراعات بين القوى العالمية التي تتسابق على الفوز بكل شيء على الكرة الارضية حتى ولو أدى صراعها إلى تدمير إحدى القارات بكاملها وهذا ما قد حدث لهتلر وموسوليني حتى دفعهما غرورهما بالقوى المادية التي يمتلكونها في القرن العشرين إلى الدخول في حرب مدمرة حكم بموجبها على الملايين من البشر بالموت والفناء من أجل النزعة الفاشية والنازية الطاغيتين اللائي صار سقوطهما على وشك الحدوث.

وبعد أن فحص موسوليني كل اطراف البرقية ولم يجد فيها إلا ما ذكر

ضغط على زر الجرس أمامه وقال لمن دخل عليه الأولى انظر إلى هذه البرقية هل يوجد الوقت لنشرها في صحف الغد؟ افعلوا هذا إذا كان لديكم الوقت.

وفي يوم 25/ابريل/1945 مساء اجتمع خمسة رجال في إحدى ضواحي ميلانو ثم دخل عليهم رجل سادس هو «لويدجي لونغو» بينما الخمسة الآخرين هم: «جوستينوا بريساني» «اكيللي مارادزا»«ساندرو بيرتين» «ايميليو سيريني» «ليؤو فالياني» وقد اتخذ هؤلاء الرجال قراراً يقضي بتصعيد المقاومة وتشديد الحصار على القوات الفاشية والنازية في ميلانو وارغامها على الاستسلام إلى لجنة تحرير إيطاليا وهي الممثل الشرعي للجبهة الوطنية الإيطالية وذلك قبل وصول قوات الحلفاء المنتصرة إلى ميلانو وقبل أن تحتلها قوات الجنرال «كاد ورنا» الإيطالية التي انضمت أخيراً إلى قوات الحلفاء مباشرة.

أخذت اضرابات العمال في المصانع والمزارع والورش تتصاعد وتزداد يوماً بعد يوم بعد اضراب عمال السكة الحديدية وكل ذلك كان بفضل تحريضات وتوجيهات لجنة تحرير إيطاليا الممثل الشرعي للجبهة الوطنية الإيطالية المقاتلة في الجبال والشمال ولقد أصدر الستة رجال المشار إليهم سلفاً منشوراً في إطار تصعيد الثورة الشعبية الشاملة ضد الفاشيست والقوات الألمانية العاملة في إيطاليا.

يقول المنشور:

باسم الشعب الإيطالي المناضل.

مادة (1) يعتبر جميع اعضاء الحكومة الفاشيستية واعوان موسوليني مذنبون ومدانون بسبب تحطيم الدستور والحرية وتدمير الشعب والوطن وانشاء حزب اطلق عليه اسم «الفاشيستي» الذي خان ودمر البلاد ومن عليها وتسبب في كارثة الحرب العالمية الثانية وما ترتب عليها من خراب واحزان ومآسي ضد الإنسانية كلها.

ولهذا كله فقد.

أصدر الشعب حكمه بمعاقبتهم بالإعدام رميا بالرصاص والحكم الادنى هو السجن المؤبد مدى الحياة لكل من شارك وساعد الإدارة الفاشستية وتعاون معها منذ قيامها وكذلك لكل من تعاون مع الألمان داخل وخارج التراب الإيطالي من الإيطاليين الذكور والإناث.

أما موسوليني نفسه فقد صدرت معاقبته بالإعدام بدون رحمة ولا شفقة في أي زمان ومكان.

وجيء أعوان موسوليني مثل «شيللا» بنسخة من ذلك المنشور الذي أربك الطاغية بعد اطلاعه عليه وحاول ان يتخلص ويهرب من حياته باطلاقة من مسدسه على صدغه ولكن ابنه «فيتوريو» الذي كان حاضراً امسك بيد أبيه قائلاً له - لا يا أبي لا تفعل ولكن دعنا نفكر في الهروب في غواصة إلى أمريكا الجنوبية وهذا افضل حل بعد أن تعذرت علينا الحلول الأخرى.

وقد شددت لجنة تحرير إيطاليا مراقبتها على بيت ومكتب موسوليني بطريقة سرية جداً تتربص به للانقضاض والقبض عليه في أية فرصة تسمح لهم بذلك وفقاً للاتفاق المبرم بين ممثلي الجبهة الوطنية الإيطالية والحلفاء بشأن ترك مصير موسوليني للإيطاليين وحدهم ولكن على ما يبدو فإن أمريكا وبريطانيا لا تلتزمان بالكلمة ولا بأي اتفاق.

ولذلك أذاع راديو الحلفاء في نشرته المسائية هذا البيان الذي استغربته كل القطاعات السياسية الإيطالية المناهضة للفاشية والنازية والذي جاء فيه:

إن رغبة الحلفاء وبالاخص أميريكا وبريطانيا هي القبض على بنيتو موسوليني حيا وتسليمه إلى جبهة الحلفاء الغربيون وإذا تعذر ذلك فعلى الجهة التي تقبض عليه حمايته والاتيان به سالماً حتى وصول قواتنا إلى ميلانو ليتم تسليمه إلى القيادة رأساً.

وعلى الفور بعد إذاعة هذا الخبر مباشرة تحرك «ساندروبيرتيني» وجمع

زملاءه في لجنة التحرير لعقد اجتماع على وجه السرعة وقال «بيرتيني» إننا لا نعترف بما أذاعه راديو الحلفاء لأنه بيننا اتفاق حيال موسوليني وسنتمسك بتنفيذه وما علينا إلا أن نقتل موسوليني وفقا لحريتنا لأننا لسنا عبيداً للحلفاء وبالتالي فهم ما زالوا أعداء للشعب الإيطالي المتضرر من تصرفات موسوليني وحاشيته.

وبالرغم من هذا كله فما زال موسوليني يحدوه الأمل في مقابلة بعض زعماء المعارضة الديمقراطيين للتفاوض معهم بشأن كيفية الإستسلام دون المساس بحياته وحياة أفراد أسرته وحاشيته ولكن دون جدوى حتى بتدخل بعض رجال الدين لدى لجنة تحرير إيطاليا وتوسطاتهم بشأن أن يجتمع حتى واحد منهم مع موسوليني لسماع أقواله على الأقل ولكن لا أحد يستجيب.

وبالرغم من الرفض الجماعي لمقابلة موسوليني فقد لعب العميل «تشيللا» رجل الصناعة دوراً هاماً في يوم 25/ابريل/1945 حينما ذهب إلى كنيست الكردينال «شوستر» مستجدياً إياه أن يتدخل لدى لجنة تحرير إيطاليا لقبول اللقاء مع موسوليني وسماع وجهة نظره حول الاستسلام ومصير البلاد وحقن دماء المواطنين الإيطاليين.

ولقد استجاب هذا الكردينال واشترط على صاحبه «تشيللا» أن يأتي موسوليني بنفسه إلى الكنيست وهو في أمان وقفل تشيللا مسرعاً إلى صديقه موسوليني مبشراً إياه باستجابة الكردينال «شوستر» أخيراً وما عليه إلا أن يستعد غداً الساعة الثالثة زوالاً.

وفي الزمان المحدد استعد موسوليني وارتدى بزته العسكرية ودس مسدسه الصغير في جيب بنطلونه وخرج من المتصرفية بحراسة وما أن ركب سيارته الخاصة حتى صرخ أحد ضباط المخابرات الألمانية بصوت عال «موسوليني يريد أن يهرب انتبهوا».

فقفز أحد الضباط الألمان إلى سيارة موسوليني وركب إلى جانبه ولحقت بالموكب مصفحة ألمانية وظلت تراقب الموكب دون أن تعترض طريقه.

يبـدو أن الكردينـال «شوسـتر» قد اتصـل بأحـد اعضاء لجنـة تحريـر إيطاليا ويدعى «اكيللي مارادزا» واقنعـه بوجـوب حضوره نـائباً عن أعضـاء اللجنة لمقابلة موسوليني وسماع أقواله التي يصر على التصريح بها لأي زعيم من زعماء المعارضة.

وفي تمام الساعـة الثالثـة زولا دخل الكـردينال إلى صـالة الاستقبـال بالكنيست حيث «مارادزا» قد حضر وكان الكـردينال قـد أحضر ورقة دون فيها بعض النقاط ثم قال لصديقه «مارادزا» كنت متصلاً الساعة هاتفيـاً مع مـوسوليني وإنـه سوف يـأتي إلى هنا لمقـابلتك وربمـا سيحضر حتى الجنـرال كادورنا للاشتراك في هذا الاجتماع الذي يعتبر اجتـماعاً مشـتركاً بـين الجناح العسكري والسياسي تحت مضلة الجبهة الوطنية الإيطالية.

وقبل أن ينطلق الموكب الصغير إلى الكنيست أبلغ «تشيللا» كـل من المتصرف «باسي» وزمبريني وزير الداخلية ليكونا على علم بمغادرة موسـوليني مكتبـه إلى الكنيست حيث كان مـوسوليني يـريـد هـذه المقـابلة سـراً ولكن تشيللا نشر الخبر لأخذ الاحتياطات الأمنية خوفاً على صديقه موسوليني.

ومن نـافذة صغـيرة بالـطابق الثاني في مبنى المتصرفيـة أطل المـارشال غرسياني برأسه قائلاً لزعيمه بصوت مسموع:

إنها مساعدة ضخمـة منك أيهـا الزعيم هـذا الهروب دون أن تخـبرني أهـرب أهرب مـاذا تنتظر؟ ولكن مـوسوليني لم يكن يـريـد الهـرب في تلك الساعة

وسرعان ما صعـد العميل «تشيللا» إلى حيث غـرسياني ثم قـال له أن موسوليني لا يريد الهرب ولكنه يريد مقابلة خاصة ويريدك أن ترافقه إلى كنيست «شوستر».

ونزل غرسياني واستقل سيارته ورافق الموكب حسب أوامر زعيمـه ثم تقدم غرسياني بسيارته أمام الموكب ليوقف الترام وكل حـركات المـرور حتى يمر الموكب الذي اخترق الشوارع تحت الحراسة الفاشيـة والنازيـة المدججـة

باحدث الأسلحة إلى أن دخل الموكب فناء الكنيست.

وهناك ترجل موسوليني ومرافقوه واتجه الجميع نحو السلالم إلى الطابق الأول وعلى طول السلالم المرمرية كانت هناك الرشاشات الخفيفة في أيدي الجنود الفاشيست والألمان لحراسة الزعيم الذي لم يكن يريد مثل هذه الاحتياطات التي قد تفضح سرية الاجتماع وهذا ما لا يريده موسوليني ولكنه رفع كتفيه استسلاماً للأمر الواقع ثم قال لحاشيته عليكم بالانتظار هنا وتقدم بمفرده نحو صالة الاجتماع.

وهناك استقبله الكردينال «شوستر» مرحبا به بحرارة ثم جلس موسوليني مع الكردينال وحدهما وصارا يتحدثان عن بعض الشخصيات التاريخية التي انتصرت ردحا من الزمن ثم سقطت ومن ضمن هذه الشخصيات «نابليون بونابرت» فقال موسوليني للكردينال ـ أنا شخصياً لم تعد تهمني حياتي سواء في السجن أم في المنفى أو حتى الموت بقدر ما يهمني انقاذ ما تبقى من إيطاليا.

ولقد استمر هذا الحديث عن الشخصيات التي واجهت مصائرها زهاء الساعتين ونصف الساعة ثم قال الكاردينال بود يا سيادة الزعيم أنا أكرم مجيئك إلى هنا بهدية وهي عبارة عن كتاب مقدس.

وما ان ناول الكردينال الكتاب المجلد إلى موسوليني حتى صار هذا الأخير يبكي في خشوع يطلب الرحمة ثم قال الكردينال كأنما يحدث نفسه من كان يصدق أن هذا الجبار سوف يبكي يوماً لم يكن في حسابه قبل سنوات.

وربما كان الكردينا قد تعمد أن يعزي موسوليني في حياته قبل مماته بهذا الكتاب ليعرف الأخير بأنه لا فائدة من مفاوضاته مع مندوب لجنة التحرير الذي خرج قبل مجيئي موسوليني بنصف ساعة بناء على استدعاء خاص من لجنة التحرير للتشاور ولكنه سوف يعود هو أو غيره لمقابلة موسوليني إكراماً واحتراماً للكردينال الذي ها هو يبشر موسوليني بحتمية

مصيره الأسود باسلوب ديني حيث اهداه كتاباً صغيراً مقدساً به ترانيم تتلى على المسيحي قبل موته ولذلك بكى موسوليني.

ولقد وجه الكردينال سؤالاً مفاجئاً إلى موسوليني فقال له:

هل لديكم أي مشروع للأيام المقبلة أيها الزعيم؟ موسوليني ـ كنت أريد أن ـ اختار مجموعة من الشبيبة الفاشيستية والجيش الجمهوري حوالي 300 مقاتل وانسحب بهم إلى «فاتالينا» لنتحصن هناك.

الكردينال ـ وهل تنوون القتال ضد الحلفاء والمناهضين؟ موسوليني ـ نعم ـ وليس أمامنا إلا القتال على الأقل لعدة أسابيع ثم نستسلم طبيعياً لا غبار في ذلك.

الكردينال ـ وهل تظنون أيها الزعيم أن ثلاثمائة رجل قد يستطيعون الصمود أمام هذه الجبهات المتراكمة من كل ناحية.

موسوليني ـ إن بافوليني يؤكد على ذلك.

الكردينال ـ أه ـ أيها الزعيم أنا لا أخدع بسهولة بمثل كلام بافوليني ولكنني لا أعتقد في انك قد تجد الآن (300) مقاتل يدافعون عنك.

موسوليني ـ يحاول الإبتسام بصعوبة ثم وضع راحتي كفيه على وجهه وقال معك حق أيها الأب ولكن ما يهمني الأن هو أن يذكر التاريخ بأنني جيئتك إلى هذه الكنيست من أجل انقاذ إيطاليا من الدمار الكلي ألست معي يا صاحب السمو المبجل؟.

وطال انتظار موسوليني وهو يتململ على الاريكة بصالة الانتظار ثم قام الكردينال واحضر له قطع من البسكويت وكوباً من العصير احتساه موسوليني بصعوبة إذ لولا جفاف لعابه لما استطاع أن يمر السائل من حلقه المتصلب.

وكيف لا يجف لعابه وهو الذي ما زال يعتبر نفسه رئيساً للجمهورية الإشتراكية وقائداً وزعيماً للحزب الفاشيستي المنهار ها هو قابع في صالة الكنيست ينتظر بعض الرجال الذين سيقررون مصيره ولم يكن يعرفهم من قبل.

وبعد طول الانتظار الممل بالنسبة للزعيم وحتى بالنسبة لمجموعتي الحراسة من الفاشيين والنازيين المنتشرين في ارجاء الكنيست تكاد اصابعهم أن تتجمد على الأزندة والخوف يملأ أفئدتهم بعد هذا كله كان أول من وصل إلى مقر الاجتماع هو «ريكاردو لومباردي» ثم «مارادزا» ثم «الجنرال كادورنا» وأخيراً «اربيساني» ممثلاً عن حزب الأحرار.

إنه لموقف رهيب حقا يدعو إلى التصور بوقوع مذبحة أدمية بشعة إذ أن كل الزعماء المناهضين للفاشية والنازية ومساعدوهم الذين حضروا الآن للاجتماع مع موسوليني كانت رؤوسهم مطلوبة لدى الحزب الفاشيستي والمخابرات الألمانية المتواجدة في هذه الحراسة ماذا يحدث لو اطلقت عشرات الرشاشات اعيرتها النارية على ظهور أكثر من ثمانية عشر رجلاً يمثلون ذلك الوفد داخل الكنيست؟.

فهل يحتج الكرادلة والفاتيكان باجمعه؟.

وماذا يفيد الاحتجاج؟ إنها الحرب التي لا يستخدم فيها إلا منطق الرصاص.

وما إن دخل الوفد إلى صالة الاجتماع حتى نهض موسوليني والكردينال لمصافحة أفراده واحداً واحداً ومن ناحية أخرى ما إن دخل الوفد حتى امسك المارشال غرسياني برشاشته شخصياً واتخذ موقعاً استراتيجياً خلف احدى التماثيل البرونزية في فناء الكنيست حيث ينتشر افراد الحراسة هناك.

يقول «مارادزا» عضو لجنة التحرير وعضو وفد المفاوضات مع موسوليني في مذكراته:

ما كانت لي الرغبة ولا لزملائي في مصافحة يد الدكتاتور الطاغية موسوليني لولا احترامنا للكردينال المبجل والمكان المقدس لانها يد آثمة تقطر منها دماء المواطنين الأبرياء.

وبعد انتهاء مراسم الترحيب على قاعدة التقاليد الإيطالية دخل

العميل «تشيللا» صاحب الوساطة في هذا اللقاء الذي سرعان ما انتشر وصار حديث أهالي ميلانو كلها ـ وقد كان «تشيللا» أول المتحدثين فقال موجها حديثه إلى الجنرال «كادورنا».

أنا ليس لي دخل في النقاش يا جنرال كادورنا بطبيعة الحال ولكنني لم أعرف أبداً أن موسوليني صار يرغب في الحل السلمي معكم مثل هذه المرة ـ إنه على أتم الاستعداد لتنفيذ ما ترونه صائباً للصالح العام.

كادورنا ـ إذهب أنت إلى الشيطان.

وقال المتحدث الثاني: لماذا لم نتفق جميعاً ونطرد الألمان من بلادنا أولاً ثم نتفاهم فيما بعد؟.

فرد عليه ثالث قائلاً: الوقت متأخراً جداً عن تنفيذ هذا العمل ولا اعتقد أننا نستطيع فعله الآن.

كان وجه موسوليني شاحباً مصفراً ينظر إلى المتحدثين ولم ينبس ببنت شفته إذ لعله يريد أن يستقرىء الآراء حول مصيره قبل أن يشرح وجهة نظره.

وفي هذه الأثناء دخل إلى الاجتماع «جوستيني اربيساني» الذي قام له الكاردينال وصافحه وقدمه إلى موسوليني باسمه ومهمته.

الكاردينال ـ إذن أنا انسحب لقد أديت دوري. موسوليني ـ لا ـ لا تنسحب يا صاحب السمو. أرجوك أن تبقى ليس هناك ما نخفيه عنك.

الجنرال كادورنا ـ أرجوك أن تبقى أيها المبجل.

موسوليني ـ أرجو من الحاضرين الموافقة على استدعاء المارشال غرسياني لحضور المفاوضات فإن وجوده له أهمية تتعلق بهذا الاجتماع.

الاغلبية ـ لا مانع....

(كومو ـ فيللا مانتيرو)

«25 / ابريل / 1945م»

تحدثت راكيلي زوجة موسوليني في مذكراتها عن الفيللا التي أمرها زوجها بالانتقال إليها في بلدة كومو.

تحدثت بانطباع نفسي يدل على البؤس والتردي المعيشي الذي وصلت إليه «سيدة إيطاليا الأولى» فقالت لقد كانت الفيللا كبيرة ولكنها مهجورة وحتى غرفها كبيرة ولكنها خالية من الزخرفة طلاءها أبيض فاقع لا يجلب الراحة النفسية لمن يسكنها.

وحتى الأولاد ليسوا سعداء في هذه الدار الجديدة إذ بدأ القنوط يغزو نفوسهم وبات فقدانهم لوالدهم أمراً محتوماً مما جعل الكآبة ترتسم على وجوههم.

وأضافت راكيلي تقول في مذكراتها ولقد قال لي الزعيم عندما تحدثت معه آخر مرة في ميلانو إذهبي إلى متصرفية «كومو» وهناك ستجدين السيارة المعدة لنقلك وأولادك إلى سويسرا وسوف ترافقكم حراسة خاصة لتساعدكم على عبور الحدود الإيطالية ولكن حينما ذهبت إلى متصرفية كومو فلم أجد شيئاً مما قاله موسوليني.

وفي تمام الساعة الثامنة مساءاً اتصلت راكيلي هاتفياً بمتصرفية ميلانو تريد مكالمة زوجها عن خططه الفاشلة في هروبه وهروب أسرته ومن ميلانو

أجابها شخص قالت لا أعرفه أجابها بأن زوجها موسوليني قد ذهب إلى الكنست ولما سألته عن السبب قال لها الرجل المجهول لا أعرف السبب، ولم يستمر الحديث لأن الخط الهاتفي الذي يربط بين ميلانو وكومو قد انقطع في تلك الاثناء حيث قامت فرقة هندسية تابعة للجبهة الوطنية الإيطالية بقطعه بأمر من لجنة التحرير.

لنعد إلى الاجتماع المنعقد بين موسوليني وبعض أعضاء لجنة التحرير في قاعة الاجتماعات تحت رعاية الكردينال «شوستر» في ميلانو/موسوليني ـ طيب يا جنرال كادورنا ساتحدث معكم.

كادورنا ـ يلتفت إلى عضو لجنة التحرير المحامي «مارادزا» ثم قال أنا رجل مقاتل ولست سياسي.

وفي تلك اللحظة دخل الجنرال «رودولفو غرسياني» يتبعه «زمباريتي» «وباراكو» ثم جلس غرسياني على كرسي على طاولة الاجتماع المستديرة بينما جلس رفاقه خلف ظهره خارج الحلقة.

موسوليني ـ للمحامي «مارادزا» نعم يا مارادزا ماذا لديك ما تقوله لي؟.

مارادزا ـ يجيب ـ أنا لا استطيع أن أقول شيئاً أكثر من النقاط التي حددتها لي لجنة التحرير وهي:

المطلوب منك أن تستسلم بدون قيد أو شرط.

موسوليني ـ أنا لم أت لهذا الغرض ـ ربما كان هناك التبأس في الأمر ـ أو ربما لقد خدعت ـ أنا جئت لاتحدث معكم عن أشياء أخرى وهذا ما قيل لي.

لومباردي ـ ما هي هذه الاشياء التي قيلت لك؟.

موسوليني ـ لقد قيل لي بأننا سوف نتناقش عن المصير ـ عن حياة اعواني وعائلاتهم مثلاً وعن الكتائب الفاشيستية التي سيتم حشدها في

«فالتالينا» التي لم تجتاحها قوات العدو بعد عموما ـ إن المتصرف «ماريو باسي» يعرف هذه الاشياء وهو الآن في قاعة الانتظار يمكننا استدعاءه.

«مارادزا» ـ هذه خصوصيات وقد يمكننا مراعاتها.

موسوليني ـ أريد حصانة للفاشيست وعائلاتهم وفي إمكانكم فرض الإقامة الجبرية على الشخصيات البارزة في الحزب الفاشيستي ولكن تعطوهم الحماية القانونية مع أفراد اسرهم على قاعدة القانون الدولي في كافة انحاء العالم.

لومباردي ـ هذه إجراءات شكلية.

موسوليني ـ إذا وافقتم فقد نستطيع أن نستمر في المفاوضات وقد استطيع أن اعطيكم البديل كمقايضة بمعنى أن تتركوني انسحب إلى فالتالينا بمن معي وان تعاملوا أقطاب الحزب الفاشيستي معاملة أسرى حرب والحماية لعائلاتهم مقابل الافراج عن رجالكم المعتقلين لدينا.

لومباردي ـ لحظة ـ لحظة ـ يجب التمييز بين المجرم والعدو ـ المجرم هو المسئول عن الجرائم التي ارتكبت في حق الوطن فهذا «مدان» لأنه يعتبر مصدراً للجرائم.

وأما العدو فقد يكون منفذاً للأوامر وهذا له معاملة عادية معترفاً بها دولياً.

«الجنرال كادورنا» إن مجرمو الحرب ليس لهم العفو الذي قد يناله أسير الحرب.

موسوليني ـ المشكل الآن هو موضوع انسحابنا إلى فالتالينا فهل أمنح هذا الطلب؟.

مارادزا ـ الانسحاب ممكن ولكن بشرط أن لا يطلق أي جندي فاشي النار على مقاتلينا المنتشرين في الجبال على طول الطريق المؤدي إلى فالتالينا.

موسوليني ـ هذا فقط؟ وشرف الوطن.

وبما إني وزيراً للحرب وقائداً عاماً لقوات الجمهورية الإشتراكية أقول

إنه بهذه المناسبة يجب أن نناقش في هذا الاجتماع حتى موضوع التواجد الألماني في إيطاليا وكيف ننهيه لنحفظ للوطن كرامته.

مارادزا - بتهكم - ربما حكومة الجمهورية يا مارشال لا تعرف بأن حلفاءها الألمان كانوا قد طلبوا التفاوض معنا سراً منذ مدة اسبوع فائت.

موسوليني - بلهجة الاستغراب ماذا قلت يا محام؟ الألمان طلبوا التفاوض معكم سراً منذ أسبوع؟ كان موسوليني يعرف هذا منذ زمن ولكنه تظاهر بتجاهل الأمر لأنه شيطان.

مارادزا - نعم هذه هي الحقيقة ولكن لم نعر طلبهم أدنى اهتمام لأنهم على وشك الانهيار والاستسلام وهم يستعدون الآن لهذا التوجه.

الكردينال - شوستر - نعم لأن وولف مدير مخابراتهم وضع خطط هذه الاتصالات السرية وخطة التسليم بدون علم الفاشيست قبل أن يغادر ميلانو إلى برلين وكل شيء الآن يدخل في حيز التنفيذ.

غرسياني - كنت حاسس منذ زمن أن نصل إلى هذه النقطة أين الشرف أين الكلمة والحقيقة التي سقط من أجلها ألآف الشباب. ؟

موسوليني - يجب إيقاف سيل الدماء ويجب أن نتحرر من علاقتنا مع الألمان منذ الآن.

مارادزا - ماذا تريد أن نفعل الآن؟.

سأذهب الساعة الثامنة مساء هذا اليوم لأنهي حسابي مع الألمان وبعد ساعة سأعود إليكم هنا في هذه القاعة.

لومباردي - سنمنحك ساعتان لتعود بعدهما مباشرة إلى هنا وإلا سوف يعد لقاءنا لاغياً. وفي تمام الساعة الثامنة إلا ربعا خرج موسوليني من قاعة الاجتماع ليهبط مع السلالم المرمرية مطاطئاً برأسه إلى الأرض التي طالما تعالى عليها وأفسد فيها ولم يرها وهي تحت أقدامه الخشنة.

خرج بعد أن حدد له قضاته المدة التي قد لا تمد له في حياته

السياسية التي دامت ثلاثة وعشرين عاماً كان فيها دكتاتوراً طاغياً قلما يقابله أحد أو يحدد له حركاته أحد حتى زوجته المسكينة.

خرج من باب الكنيست كما خرج في نفس اللحظة من باب التاريخ بعد أن طوى صفحات حياته المليئة بالجرائم والفواحش ها هو الآن يجرجر وراءه شبح الخيبة والفشل ليس له من قد يستطيع انقاذه مما هو فيه من مآسي ونكبات.

وعلى الفور دلف إلى سيارة عميلة «تشيللا» بعد أن خرج سالماً مرحلياً من باب الكنيست وخرج مشوهاً تاريخياً من باب التاريخ فاقد المجد والانتصار وها هو قد فقد أخيراً حتى سبل النجاة.

وما إن انطلقت السيارة التي كان يقودها «تشيللا» بنفسه حتى قال موسوليني لصديقه وعميله هذا إنني ادينك يا تشيللا لأنك اتفقت مع هؤلاء الأوغاد مجرمو الجبهة الإجرامية ووضعتني بين أيديهم وصار يشتم ويهذي ويتقيء كل ما في جوفه من احقاد كانت راكدة من جراء الخوف فقط وهكذا إلى أن توقفت به السيارة أمام مدخل المتصرفية حيث ترجل بسرعة وغضب وصرخ في وجه أول ضابط ألماني كان في استقباله قائلاً له:

إن جنرالكم وولف خائن وجبان ثم دلف مسرعاً إلى فناء المتصرفية حيث كانت هناك حشود من عائلات أعوانه وشركاءه في الجرائم الوطنية والحربية ينتظرون عودته ليطلعهم على نتائج المفاوضات مع الخصوم ولكنه أي موسوليني لم يجب على تساؤلاتهم لأنه شعر بأن هناك البعض من أعوانه البارزين وعائلاتهم صاروا يشحنون حقائبهم في سياراتهم الخاصة فالتفت إلى بافوليني وقال له بنبرة تشبه الصراخ اصدر الأوامر.

بافوليني ـ أية أوامر أيها الزعيم؟.
ولكن زعيمه لم يجب بشيء...

كان ساندرو بيرتيني ينتظر في مقر لجنة التحرير نتائج المفاوضات مع موسوليني على أحر من الجمر ولما قاربت الساعة على الثامنة لم يطق على

الانتظار صبراً فركب سيارته كالمجنون وهو يحدث نفسه متصوراً أن موسوليني لا بد وأن يخدع مارادزا ولومباردي لأنه شيطان وهم يميلون إلى تيار الاعتدال لا بد وأنه خدعهم ولف شباكه على أعناقهم.

ولهذا انطلق بسيارته إلى مقر الاجتماع بالكنيست واختراق طوابير الحراسة يتسلق السلالم ولكنه تصادف بيرتيني مع مجموعة من الرجال يهبطون السلالم وكان من بينهم موسوليني وحاشيته الذين كانوا قد خرجوا لتوهم من قاعة الاجتماع.

وحيث أن بيرتيني لا يعرف موسوليني عن كثب وموسوليني لا يعرف بيرتيني فلم ينتبه أحدهما للآخر عند ذلك اللقاء فوق سلالم الكنيست.

ودخل بيرتيني إلى قاعة الاجتماع فوجد جماعته والكردينال فقط فسألهم ما الخبر؟ هل خدعكم موسوليني وفتحتم له باب الهروب؟ كنت حاسساً بهذا الوضع - أين هو موسوليني لم يحضر أليس كذلك؟.

أحدهم قال له - بل حضر ألم يصادفك وهو خارجاً لتوه مع زمرته؟.

بيرتيني - يصفع جبينه متأسفاً قائلاً إذن كان موسوليني في المجموعة التي صادفتني على السلالم أه.. يا ليتني كنت أعرف وجهه عن قرب.

مادارزا - ماذا عساك فاعل به؟.

بيرتين - كنت اقتله بهذا المسدس واريحكم منه فوق هذه السلالم.

ولقد وصل أيضاً إلى الكنيست بعد بيرتيني مباشرة كل من «ليؤوفالياني» و«ايميليو سيريني» عضواً للجنة التحرير وكانت نفسيهما هادئة ولكنهما مستعدان لكل طارىء وجلسا في قاعة الاجتماع بمفردهما يراجعان حسابهما حول الخطأ الكبير الذي وقعت فيه لجنة التحرير عندما أوفدت «مارادزا» ولومباردي» عضواً للجنة التحرير المعتدلين للتفاوض مع موسوليني إذ ما كان ينبغي مثل هذا الخطأ.

وبينما هم في مراجعة الحساب وإذا بصوت بيرتيني يرتفع بالمشادة بينه

وبين مارادزا بسبب السماح لموسوليني وزمرته بالخروج من القاعة قبل أخذ رأي أعضاء اللجنة جميعهم حتى يكون القرار جماعي والمسئولية واحدة.

فقال مارادزا ـ نحن لسنا قتلة مثل موسوليني ونلتزم بالكلمة وها نحن قد اعطيناه مدة محددة فإذا لم يعد تكون هذه آخر فرصة أعطيت له.

بيرتيني ـ نحن كنا نريد أن نحاكمه هنا في هذا البيت المقدس وقد لا نقتله إذا توصلنا معه إلى نقاط استسلامه بصورة تحقن دماء المواطنين.

كان متصرف ميلانو المدعو «تيينغو» موجوداً في قاعة الاجتماع ينتظر مع المنتظرين عودة زعيمه إلى الاجتماع بعد المدة التي طلبها كي يذهب ويعلن قطع علاقاته مع الألمان.

وكان هذا المتصرف ممقوتاً مبغوضاً من جميع أعضاء لجنة التحرير وزعماء الأحزاب الإيطالية لما له من سوابق غاشمة ضد الشعب الإيطالي وعمالته للألمان بشكل سافر

وبعد أن قارب الوقت المحدد الذي منح لموسوليني ولم يعد قام هذا المتصرف واختلا مع مارادزا ثم قال له: أنا جئت إلى هنا بالاصالة عن نفسي ونائباً عن الجنرال «ديامانتي» قائد القوات الإيطالية المرابطة في ميلانو لكي نعلن استسلامنا إليكم وسوف نسلم لكم كل الاسلحة التي بحوزتنا.

بيرتيني ـ يتجهم وجهه بالغضب كانه قد أحس من خلال كلام المتصرف بأن موسوليني لم ينوِ العودة إلى الاجتماع وهذا ما قد دفع بالمتصرف إلى التصريح بما قاله علنا.

بينما اعجبافالياني وسيريني بما قاله المتصرف حيث اعتبرا ما قيل بأنه انتصاراً للجبهة الوطنية وانشطة لجنتها العاملة على الساحة «الموسولينية» مباشرة.

أما مارادزا فقد قال للمتصرف وإذا كنتم تريدون الاستسلام فما دخلنا نحن؟.

وهنا برزت التناقضات حول الرؤية للأمور فمثلاً بيرتيني عبس وجهه لاحساسه بأن موسوليني قد أفلت من بين أيديهم بعد أن سنحت الفرصة للقبض عليه وزمرته كلها في آن واحد.

وفالياني وسيريني أعجبا بالانتصار الذي حققته الجبهة بكفاحها لاسقاط أركان الحكم الفاشي البغيض. أما مارادزا فقد ظهر على حقيقته بأنه معتدلا وقد لا يريد القبض على موسوليني بعد أن أعلن هذا الأخير تقربه للديمقراطيين والتنازل عن الإشتراكية.

وهنا وقف ساندرو بيرتيني موجها حديثه لكل الحاضرين بصوت مرتفع قائلاً:

إذا عاد موسوليني إلى هنا فليس أمامنا إلا عمل واحد فقط وهو القبض عليه مباشرة وتسليمه إلى محكمة شعبية يشكلها الشعب وتعاقبه بالإعدام رمياً بالرصاص وسيتم كل هذا العمل الليلة.

وما أن سمع المتصرف «تيينغو» هذا الأمر الذي أصدره بيرتيني باعتباره رئيساً للجنة التحرير حتى انسحب قبل أن يسمع أي تعليق على أوامر بيرتيني من أي من الحاضرين.

وبعد حوالي عشر دقائق وصل المتصرف بسيارته مسرعاً إلى مبنى المتصرفية وأعلن للمتواجدين هناك بأن لجنة التحرير قد حكمت على موسوليني بالإعدام الليلة.

وسمع موسوليني هذا الخبر الذي نزل على رأسه كشهاب الصاعقة فاهتزت فرائسه وارتعشت شفائفه واغمض عيناه كأنه قد اصابته سكتة قلبية وذهل كل الذين حواليه ثم قال نجله «فيتوريو» بصورت تخنقه «العبرة» ألم أقل لك يا أبي دعنا نهرب في غواصة وقبل أن ينطق أحد بكلمة نزل فيتوريو مهرولا وأغلق باب المتصرفية الحديدي الضخم ودعمه بدعامات خشبية لعرقلة اقتحامه بسرعة وأصدر أمره بنصب الرشاشات في

جميع نوافذ المبنى لمقاومة المقاومة الشعبية ريثما تصل قوات الحلفاء ويتم الاستسلام.

أما المارشال غرسياني فإنه فضلاً عن كونه عنيداً فهو غبياً أيضاً وحاقداً وأناني لا تهمه إلا نفسه أو قراراته التي يهذي بها في أغلب تصرفاته.

في هذه اللحظة الحرجة المظلمة التي يمر بها زعيمه موسوليني نظر غرسياني إلى ساعة يده الذهبية وهمس في أذنِ الدكتاتور لقد فاتت الساعة الثامنة وهي موعدك لقطع العلاقات الإيطالية الألمانية فهل نسيت ذلك؟ وكانها كلمات غرسياني الأحمق التي فات وقتها المناسب قد ايقضت موسوليني من غيبوبته أو الدوامة التي أخذت تلف بدماغه منذ أن سمع نبأ الحكم عليه بالإعدام الذي جاء به المتصرف.

فالتفت نحو غرسياني ثم قال له ـ الآن تذكرني بهذا الموعد؟ ماذا يفيدنا الآن مناقشة موضوع الانسحاب أو الاستسلام ـ لقد انتهى الآن كل شيء يا مارشال ولم نستطيع فعل أي شيء حتى ولو نزلت علينا معجزة.

ثم قام موسوليني وألقى نظرة على ساحة المتصرفية من خلال النافذة المطلة عليها حيث شاهد سيارات اعوانه مشحونة بحقائبهم مستعدة لرحلة إلى المجهول.

ولقد عرف ضباط المخابرات الألمانية «بيرزر» «وكيسنات» وغيرهما ممن كانوا مع موسوليني في تلك اللحظة ما كان يجول بخاطر الزعيم الكئيب فقالا له بيرزر وكيسنات نحن لا نمنعك فإذا أردت الذهاب فاذهب إلى حيث تشاء أما نحن فلن نستطيع مغادرة إيطاليا إلا إذا تلقينا أمراً بذلك.

وهنا تنفس موسوليني الصعداء والتفت إلى غرسياني وبافوليني وكل أعوانه قائلاً: الآن فقط يمكننا الرحيل الساعة إلى «كومو» فأخذ الجميع يستعد.

كان هناك رجل يبدو هادئاً وبيده حقيبة صغيرة ويدعى «نيكولا

بـومباتشي» صـار صديقـاً لموسـوليني بعـد إعـلان الجمهـوريـة الإشـتراكيـة وبـومباتشي هـذا شيـوعي العقيـدة لعب دوراً في التقـارب بـين مـوسـوليني واستالين ولكنه فشل وكان بومباتشي صديقاً حميماً حتى «للينين» وعندما جهز موكب موسوليني للتوجه إلى كومو أمسك مـوسوليني بـذراع بومبـاتشي وقال له: أرجوك أن تكون معي فلا تتركني هذه الليلة بل اركب معي في سيارتي أرجوك.

واستجـاب بومبـاتشي لرجـاء صديقـه الذي صـار يستغيث ويتشبث بقشة الغريق وركب معه في سيارته ثم التفت إلى موسوليني وقال له:

لقد علمني «لينين» بانه لا بد من اغتنام أي ظرف مفيد وإذا ضيعتـه ضاع الأمل.

وما أن تحركت السيارات تخرج من باب المتصرفية الذي كان موصداً بالدعامات الخشبية واحدة تلو الأخرى حتى أخذ موسوليني وصديقه ينصتان إلى المذياع داخل السيارة حيث بدأ لتوه ينشر هذا البيان:

هنا محطة ميلانو الحرة:

أيها المواطنون الإيطاليون إليكم هذا النبأ:

لقد اجتاحت الآن القوات الروسية مدينة «برلين» وتوغلت بعنف إلى عمق المدينة واستولت على الميـدان الحساس في قلب العـاصمة الألمـانية من النـاحية الشرقيـة كما تقـدمت قوات الـدول الغربيـة الحليفة واستـولت على الشـق الغربي من برلين ويجري الآن قتالاً ضارياً لاحراز النصر ضد النازية الغاشمة كما تحركت القوات الفرنسية على الجبهة غرب إيطاليا لـوضع كـافة القوات النازية بين فكي الكماشة واسقاط المحور الفاشي النازي إلى الأبد.

ومضى المذيع قائلاً:

هنـا محطة المـواطنون في الشـمال وفي الجنوب انتم مـدعوون في هـذه اللحـظة لامتشاق السـلاح والانضمام إلى كتـائب الجبهة الـوطنية الإيـطالية لقتال الفاشيست والألمان في جميع المدن والقرى الإيطالية.

هذا وإن كتائب الجبهة استولت الآن على معظم المدن الإيطالية من بولونيا إلى فينتو وقد تعطلت جميع حركات المرور في هذه المدن وتجري الآن مطاردة الغزاة الألمان وحلفاءهم الفاشيست.

أيها المواطنون:

هذه هي اللحظة الحاسمة التي يجب أن يشترك فيها كل رجل وامرأة ممن يجري في عروقهم الدم الإيطالي لتخليص البلاد من طغيان الفاشيست والنازية الباغية بكل حقد وعنف تمرد أيها الشعب الإيطالي وقاتل أعداءك في كل بقعة على التراب الإيطالي ها هي قد دقت ساعتك للانتقام وحان الوقت لتتحرر من الظلم والطغيان:

هنا محطة ميلانو الحرة.

وهناك في الكنيست حيث ما زال البعض من أعضاء لجنة التحرير ينتظرون عودة موسوليني ولكن هذه المرة ليست من أجل التفاوض حول كيفية الاستسلام التي طرحها موسوليني وإنما من أجل القبض عليه وعلى أعوانه دون نقاش أو مساومة.

ولما فات الوقت الذي منح لموسوليني اتصل أحد الكرادلة من الكنيست بمتصرفية ميلانو هاتفياً وبعد دقائقٍ من الانتظار على سماعة الهاتف أجاب المصرف نفسه على دقات الجرس قائلاً:

نعم ـ هنا المتصرف.

الكردينال ـ لجنة التحرير تريد أن تعرف هل يعود موسوليني إلى الكنيست أم لا؟.

المتصرف ـ لقد رحل موسوليني بدون أن يترك أي عنوان.

بيرتيني ـ يجن جنونه ـ ألم أقل لكم إنه خدعكم هذا الشيطان؟.
ولكن أينا المفر سنعرف وجهة رحلته ونلحق به مهما كان الأمر.

وقبل أن يغادر اعضاء لجنة التحرير الكنيست وهم في حالة ندم شديد على اتاحة الفرصة للدكتاتور الهارب دق جرس الهاتف من (كومو)

وكان المتحدث هو «الدوماروزين» رئيس فرقة المخابرات التابعة للجبهة الوطنية الإيطالية بيرتيني يلتقط السماعة ـ نعم من المتحدث أنا بيرتين ـ

الدو ـ موسوليني وصل الساعة إلى كومو تحياتي. الدو. .

بـيرتيني ـ يوضـع السماعـة على الهـاتف. هكذا إذن ـ لقـد وصل إلى «كومو»؟.

هلمو بنا. . . موسوليني في كومو إذن؟.

هكــذا وجهت راكيـلي زوجــة الـزعيم هــذا السؤال إلى الضــابط الفـاشيستي رئيس الفرقـة التي لا تـزيـد عن العشرين جنـدي فـاشي كـان مـوسوليني قـد بعث بهم لحراسـة زوجته في فيللا مـانتيرو وهي بـالقرب من قصر المتصرفية في كومو.

وقـال الضابط رداً عـلى سؤال راكيلي: إن الـزعيم مشغولاً كثيـراً يـا سيدتي وهو الذي أرسلنا إلى هنا لحمايتك.

وكانت راكيلي في ثوب النوم عندما تحدث مع الضابط أما الأه‍لا‌٠ فقد كـانوا مستغـرقين في النـوم وكانت الفيللا مـظلمة والعسـاكـر منتشرون من حولها ولكنهم اضطروا إلى دخول الفيللا بسبب الأمطار الغزيـرة التي بللت لباسهم وأسلحتهم وذلك بعد أن سمحت لهم راكيلي بالدخـول ثم حاولت الاتصال هاتفياً بزوجها ولكن لا حرارة ولا نور.

راكيلي تسأل الضابط للمرة الثـانية: لمـاذا الهاتف معـطل طوال هـذا اليوم؟ ألم تزل كومو تحت أيدينا؟.

الضابط ـ ربما كانت كل الخطوط الهاتفيـة والكهربـائية مقـطوعة منذ ساعات لاصلاح بعض العطوب.

راكيلي ـ هل هناك خطر يتهددنا وكيف حال الزعيم؟.

الضابط ـ إنه بخير يا سيدتي وهو ضيف عـلى المتصرف ولا اعتقد إن هناك خطر.

راكيلي ـ هل انتم جائعون اعد لكم شيء من الطعام؟.

الضابط ـ بامكانك أن تستريحي يا صاحبة الفخامة.

راكيـلي ـ إذن ساعـطيكم اغطيـة إذا كنتم تشعرون بـالـبرد لأنها ليلة ممطرة.

الضابط ـ كلا يا سيدتي نحن هنا للحراسة وليس للنوم.

لقـد دون الضابط كـل هذا الحـوار القصير بينـه وبين زوجـة الزعيم وأضاف يقول في مذكراته التي وجدت في حيازته فيها بعد:

وهنا تتجسد المأساة والعـبرة في وقت واحد متمثلة في تلك الليلة بـل في تلك اللحظة التي بات فيها العجوز الدكتاتور موسوليني الذي كان رئيساً للدولـة عاجـزاً حتى عن زيارة زوجتـه وأولاده وهم على مسـافة تبعـد عنـه حوالي ربع كيلومترا نتيجة للخوف المطبق الذي يعاني منه بشكل فظيع.

أما بالنسبـة لسيدة إيـطاليا الأولى راكيـلي ها قـد أمست هى الأخرى تعطف على البشر وتهتم بهم وتعرض عليهم طعامها واغطيتها بعد أن كانت طـوال الثلاثـة والعشرين عامـاً المـاضيـة لا تنـظر إلى مثـل هؤلاء البشر إلا كخدم لديها أو طفيليات ينبغي القضاء عليها.

وذهبت راكيلي إلى سريرها بعد أن قالت لضابط الخفر ها هو المطبـخ أمـامكم إذا احتجتم لأي شيء خذوه بـدون حركـة قد تـزعج الأولاد وهـم نيام.

ولعل راكيلي لأول مرة في حياتها تشعر بوحشة الظلام الدامس الـذي يكتنفها وأولادها في حين كانت الملايين من الأسر الإيـطالية تعيش في مثـل هذا الظلام منذ أن تولى زوجها السلطة في البلاد..

وبعد منتصف تلك الليلة وبينما لازالت راكيلي على سريـرها دون أن يراودها النعاس فإذا بطارق على بـاب غرفتهـا ينقر خفيفـاً فقفزت مـذعورة تقول ـ من الطارق؟.

الضابط ـ أنا يا سيدتي أرجـو أن تستلمي هذه الـرسالـة التي وصلت لتوها من الزعيم أؤمرنا أن نسلمها لك.

وكم كانت فرحة راكيلي كبيرة بهذا النبأ فايقظت أولادها ـ «اني» و«مارية» «ورومانو» قائلة لهم اصحوا يا أبنائي لنقرأ معاً هذه الرسالة التي وصلت الآن من أبيكم.

ومزقت راكيلي الغلاف بلهفة وشوق إلى قراءة تلك السطور المخطوطة بيد الزعيم وكان الأمل يملأ خاطرها إذ لعل في هذه الرسالة بشائر خير تجعلها مطمئنة فإذا بها ما يلي:

عزيزتي راكيلي.

تحية متميزة وبعد:

ها أنا قد وصلت إلى آخر طور في حياتي وطويت آخر صفحة في كتابي الأمر الذي قد لا نستطيع حتى أن نلقاك لقاء الوداع.

ولهذا اكتب إليك راجياً أن تصفحي عني في جميع الاخطاء التي ارتكبتها في حقك بعضها رغما عني وأنت تعلمين بأنك المرأة الوحيدة التي أحببتها باخلاص وإنني أقسم لك على ذلك بحيات ابننا الصغير «برونو».

أنا وبعض رجالي سوف نذهب إلى «فالتالينا» أما أنت والأولاد فسوف تذهبون إلى سويسرا عبر الحدود المتاخمة لإيطاليا.

وهناك حاولي أن تبدئي حياة جديدة مع أولادك لأن الحكومة السويسرية لا ترفضك وهي تقدر الوضع الذي أنت فيه ولأنك بعيدة عن السياسة فلا بد أن توفر لك الحكومة هناك الظروف الملائمة وتساعدك.

وإذا لم تتمكني من الوصول إلى سويسرا فليس أمامك إلا تسليم نفسك إلى الحلفاء فهم أرحم من الإيطاليين.

أوصيك خيراً بأولادي وخصوصاً «انى» التي ما زالت في حاجة إلى الرعاية قبلاتي لك ولأولادي بالاحضان، بنيتو موسوليني.

ولقد حاولت راكيلي بشدة أن تمنع دموعها الفياضة بيد أن انفلت منها زمام التحكم النفسي فما كان منها إلا أن اطلقت لدموعها العنان أمام

أولادها حتى انفجر عويلهم بأصوات متميزة ومسموعة.

وصارت راكيلي تلطم على وجنتيها بعنف تندب مصير هذه الأسرة ثم اجتاحتها موجة هيستيرية فأخذت تمزق ثيابها وتنتف شعرها وهي تصرخ لماذا لم أره أبداً لماذا؟.

وبعد أن هدءت قليلاً هرولت صوب الهاتف والتقطت السماعة بغضب فوجدت الحرارة قد وصلت بعد انقطاع طويل فاتصلت بالمتصرفية وبعد دقيقة سمعت صوت الزعيم يجيب على الهاتف فاهتزت روحها كأنها في حلم جميل وهي تريد أن تسبق الكلمات:

بنيتو ـ بنيتو هل أنت بخير؟.

لقد استلمت رسالتك.

موسوليني ـ حسن كيف حال الأولاد؟.

راكيلي ـ بل كيف حالك أنت؟.

موسوليني ـ مازلت كما كنت.

راكيلي ـ علمت أن بوفاريني قد اطلع على الرسالة التي أرسلتها لي فهل هذا صحيح؟.

موسوليني ـ كلا لم يطلع عليها ولكني سلمتها له كي يوصلها إليك ولكن المهم هو أن تصلي أنت مع الأولاد إلى سويسرا على وجه السرعة هناك سيارة أمام الفيللا سوف تعبر بك الحدود إلى سويسرا فلم يمسك أحد بسوء.

راكيلي ـ وأنت يا بنيتو؟.

بنيتو ـ اسمعي يا راكيلي أرجوك لا تبكي.

راكيلي ـ سأعطيك الأولاد على الهاتف كي تسمع أصواتهم ولكن أرجوك حتى أنت لا تبكي. وناولته أولاده كلهم وهم يتوسلوا إليه أن لا يتركهم وحدهم.

وحاول موسوليني من خلال صوته أن يكون هادئاً حتى لا يفزع

انجاله ولكن قال له ابنه «رومانو» هل يوجد من يدافع عنك يا أبي؟.

وكان هذا السؤال بمثابة عود الثقاب الذي أشعل خيط الفتيل فانفجر الدكتاتور بالبكاء وهو يقول بصعوبة كلا يا بني أصبحت وحدي.

فأجهش ابنه بالبكاء حتى انتزعت امه السماعة من يده كي لا يزيد والده هماً على همومه.

راكيلي ـ هل ستذهب حقاً إلى فالتالينا؟.

موسوليني ـ نعم نعم ـ اذهبي أنت إلى سويسرا حالاً لا تضيعي الوقت ـ تحياتي.

وضع موسوليني السماعة على الهاتف ودموعه تتسرب من خلال لحيته الرمادية.

وبعد ساعة من هذا اللقاء الهاتفي الأخير انطلقت السيارة المشار إليها تحمل راكيلي الحزينة وأولادها صوب الحدود الإيطالية مع سويسرا.

وبعد عشرون دقيقة والسيارة تنهب الأرض نهبا على الاضواء الخافتة حيث توقفت أمام حاجز بوابة الحدود وكان الفجر قد أخذ يطلق أشعته من خلال فجوات السحب المتراكمة في الفضاء وكان لا بد من الانتظار حتى طلوع الشمس هكذا قال ضابط خفر البوابة.

وفي الموعد الصباحي المحدد اتضح أن المسافرين هم أسرة موسوليني فقال الضابط المسئول لسيدة إيطاليا الأولى راكيلي يجب يا سيدتي أن تعودي من حيث جئتي لأن الأوامر التي لدينا تمنع منعاً باتاً عبور أي فرد من أقارب موسوليني أنا آسف يا سيدتي ولكن يجب أن تعودي.

وعادت راكيلي بأولادها إلى فيللتها في كومو يعصر اليأس فؤادها الممزق حتى شحب وجهها ونضبت دماءه ودموعها تتساقط على وجنتيها طوال مسافة الذهاب والإياب ولا تدري ما يخبىء لها القدر وإلى أين ينتهي بها المطاف أما زوجها بنيتو موسوليني فلم ينم تلك الليلة حالكة السواد

كقميصه الأسود بالنسبة له وأهل بيته عندمـا شعشع الفجـر يلمع في الافق أخذ موسوليني يعول عـلى السفر دون أن يغـير ملابســه أو يحلق دقنه الـذي اعتقه منذ أسبوع.

«ضباب الفجر»

«26 / ابريل / 1945»

لا زال موسوليني في مبنى متصرفية كومو يجوب مكتبه ذهاباً وإياباً وكان الضباب الكثيف يكسوا زجاج النوافذ وهو كالثور الهائج يضرب الحائط بقبضة يده أحياناً ويضرب أيديه ببعضها البعض حينما آخر ويحاول أن يتحدث مع المتصرف الذي ظل ساهراً معه يشاركه أحزانه ثم يتلعثم لسانه ولم يقل شيئاً يريد أن يقرر بحزم هل ينسحب إلى فالتالينا ـ هل يهرب إلى سويسرا المهم أن ينفذ بجلده ولكنه لم يستطع أن يجد حلاً مناسباً حاول الاتصال هاتفياً بسويسرا ولكن لا أحداً يجيبه.

كان ذلك الفجر الطويل أشبه بكابوس ثقيل يجثم على صدر الطاغية يوخزه بحراب الحيرة والهلع وها قد بدأ الضباب ينقشع فيما كان رذاذه ما زال يتساقط كرخات المطر الخفيف وقد بدأ الظلام ينجلي عندها صرخ موسوليني في وجه المتصرف «ريناتو شيليو» قائلاً: حاول أنت هذه المرة الاتصال بسويسرا اطلب القنصل الأمريكي هناك.

وإذا أجابك أحد قل له هل لديهم أية معلومات عن أسماء الإيطاليين الذين عبرو الحدود الإيطالية إلى سويسرا؟ وهل ممكن العبور أم لا هي تحرك يا شيليو بسرعة ولا تخشى لومة أحد، قل لهم إن موسوليني يريد العبور إلى سويسرا فهل يستطيع ذلك؟ ربما كان الزعيم العجوز يريد أن يطمئن أولاً على آل بيته هل استطاعوا العبور أم لا.

ثم يريد أن يسهل لنفسه الطريق للهروب بعلم الأمريكان.

وادار متصرف كومو قرص الهاتف وظل يعيد الكرة مرات وبعد زهاء الساعة كان المتحدث من مكتب القنصلية الأمريكية في سويسرا هو القنصل بنفسه «دون جونيس» الذي ابلغه متصرف كومو برغبة موسوليني في العبور إلى سويسرا إلا أن القنصل الأمريكي رد على المتصرف قائلاً أرجو أن تنتظروا بعض الوقت حتى استشير السيد «الين دالس».

وبعد مضي وقت غير قصير دق جرس الهاتف بمتصرفية كومو وكان المتحدث هو القنصل الأمريكي الذي قال للمتصرف قل لزعيمك موسوليني لقد وافق الين دولليس على عبوره إلى سويسرا على أن لا يزيد عدد مرافقيه عن اثنين من كبار الفاشيست ـ وذلك الساعة الواحدة بعد منتصف هذا اليوم.

وما إن تفشى سر هذه المكالمة من داخل مبنى المتصرفية الخاصة باصحاب المناصب الفاشيستية العالية حتى احتشد جمع غفير منهم أمام مكتب الزعيم يرددون عبارات الاحتجاج مستنكرين ما أقدم عليه زعيمهم الفار بنفسه فقط ينددون ويصرخون كانهم أطفال صغار حلت بهم كارثة على حين غرة فتعالى عويلهم.

كل ذلك حدث وخيوط الصباح الذهبية ما زالت تعالج في قشع ـ الضباب برذاذة المتراكم المبثوث وباب مكتب الزعيم ما زال أيضاً مغلقاً رغم الضوضاء التي وصلت حدتها إلى درجة الهياج والتهجم لتحطيم الباب لولا تدخل بعض العقلاء لتهدئة النفوس الثائرة.

وبعد أن هدأت العاصفة البشرية انفتح باب المكتب وخرج الزعيم وهو في حالة قد يرثا لها فبادره الكبار من حاشيته واعوانه قائلين له:

ونحن أيها الزعيم ماذا نفعل بعد رحيلك؟.

فأجابهم قائلاً: مهلاً مهلاً أيها السادة لا زال الوقت مبكراً ولم اقرر بعد القرار الأخير أعطوني فرصة للتفكير ارجوكم.

لم يكن يدري موسوليني بأنه في ذات الوقت كانت زوجته وابناءه قد عادو لتوهم إلى فيللتهم في كومو بعد أن أغلقت في وجوههم بوابة الحدود ومنعوا من عبورها إلى سويسرا بعد جدل دام وقتاً طويلاً بين زوجته وضابط الخفر المسئول.

قال أحد المعاونين لزعيمه المتردي إلى الحضيض «بحنق جنوني» إذن سنعلن التعبئة القصوى بين جنودنا ونغتنم فرصة هذا الضباب قبل أن ينقشع وننسحب إلى فالتالينا لأن الأمريكان اضحوا على علم بوجودك هنا بعد أن اتصل بهم شيليو ولا نستبعد بانهم سيمطرون كومو بقنابل غاراتهم الجوية ويسحقوننا جميعاً.

موسوليني ـ جائزاً ما تقوله يا. .

ولكن شيليو قاطع زعيمه قائلاً: أنا أؤيد هذا القول واقترح أن ننسحب بسرعة بل الآن إلى منطقة «مينادجو» وهي على بعد أربعة وثلاثين كيلومترا من هنا وقريبة من حدودنا مع سويسرا.

التفت موسوليني فجأة إلى «بومباتشي» الذي نطق قائلاً لنذهب حقاً إلى هناك ومن ثم فقد التقط بومباتشي حقيبته الصغيرة واتجه صوب سيارة موسوليني «للفاروميو» وتبعه موسوليني وبقية الحاشية كل إلى مركبته وما إن إستعدل موسوليني على الكرسي الخلفي حتى قال له بومباتشي الذي كان يجلس بجانب السائق أنظر إلى هناك أيها الزعيم ها هي «اكلاريتا بيتاتشي» عشيقتك جاءت بسيارتها الفارهة.

موسوليني ـ ماذا جاء بها من ميلانو هذه المرأة وماذا تريد اطردوها حالاً وقبل أن يتحرك بومباتشي وينزل ليطردها كانت اكلاريتا داخل السيارة بجانب الزعيم ممسكة بيده وهي تقول سأذهب معك إلى النهاية.

وفي مينادجو ـ حط الموكب رحاله في فيللا عتيقة شبه ثكنة عسكرية ليس بها سوى سرائر نوم حيث نام الزعيم لمدة ساعتين في حين كان الشعب في ميلانو يلصق مناشيراً في كافة شوارع المدينة كتب عليها تحيا

الحرية ويسقط موسوليني.

وفي مساء نفس اليوم أصدرت لجنة التحرير الإيطالية قراراً يقضي بتشكيل لجنة تمثل الجبهة الوطنية في «لومباردية» من الشخصيات البارزة التي اشتركت فعلاً في الصراع ضد الفاشية والنازية. ولومباردية تعتبر من كبريات المدن الإيطالية تضم العديد من القطاعات الصناعية.

وبما أن الجبهة الوطنية أضحت معترفاً بها من قبل الحلفاء لتولي السلطة الشرعية في البلاد الإيطالية كلها فمن حقها أن تصدر القرارات وفق ما تقتضيه ظروف التحرير والسيطرة على زمام الحكم وتدمير الحزب الفاشي الحاكم.

ولهذا فقد اصدرت الجبهة الوطنية قرار يقضي بتشكيل لجنة عليا سبق ذكرها في هذا السياق وهي التي تصدر الآن القرارات باسم الجبهة كانها الحكومة الوحيدة في البلاد وتلك هي طبيعة الاوضاع.

وما إن اصدرت لجنة التحرير العليا قرارها بتشكيل لجنة فرعية في لومباردية حتى أصدرت هذه الأخيرة قراراً يقول:

بعد الاطلاع على قرار اللجنة العليا لتحرير البلاد القاضي بتشكيل لجنة فرعية في مقاطعة لومباردية قررت هذه الأخيرة ما يلي:

مادة (1)

إن جميع العسكريين الفاشيين الذي قدموا استقالاتهم قبل نشوب هذه الحرب في مقاطعة لومباردية تعتبرهم هذه اللجنة «ابرياء» من كافة التهم المنسوبة للحزب الفاشيستي إلا من كان منهم متورط في جريمة معينة.

أما بقية الجيش الفاشيستي الذي ما زال افراده يحملون السلاح ويقاتلون من أجل الحزب الفاشي وزعيمه موسوليني في مقاطعة لومباردية والمدنيون الذين مازالو على ولاءهم للحزب الفاشيستي فهؤلاء جميعاً سوف يواجهون أحكام الإعدام رمياً بالرصاص بعد القبض عليهم مباشرة إلا من يسلم نفسه وسلاحه خلال أربعة وعشرين ساعة من تاريخه ويعتبر هذا

القرار صادراً عن محكمة شعبية غير قابل للجدل.

لجنة تحرير لومباردية:

وبعد إذاعة هذا القرار بساعات قلائل اجتمعت لجنة التحرير العليا في ميلانو وصادقت على قرار لجنة لومباردية الفرعية وشكلت محكمة شعبية تتألف من عدة شخصيات تنتمي إلى جميع الأحزاب العاملة في الجبهة الوطنية الإيطالية وهي المحكمة الخاصة باصدار عقوبة الإعدام على بنيتو موسوليني رئيس الدولة والحزب الفاشيستي سابقاً واعوانه وكل الذين ساهموا معه في الجرائم الحربية والمدنية منذ قيام الحزب الأسود.

لقد حاول «الين دولليس» أن يلعب دوراً هاماً في إنقاذ حياة موسوليني بالتعاون مع القنصل الأمريكي في سويسرا «دون جونيس» فأرسل فريقاً يتألف من اثني عشر رجل من المخابرات المركزية الأمريكية ولكنهم من أصل إيطالي يقودهم رجل يدعى «ايميليو داداريو» دكتور في الحقوق ورتبته نقيب في المخابرات الأمريكية إيطالي الجنسية.

ومن ضمن هذا الفريق كان أيضاً «فيروتشو باري» الذي اطلق سراحه الألمان وهربوه إلى سويسرا للتفاوض مع الحلفاء وضابط بحري آخر يدعى «جوسيبي ديسي» هذا الفريق عدا «فيروتشي» الذي كان يريد العودة إلى إيطاليا فقط ليلتحق بجبهته الوطنية أما البقية فقد كلفهم «الين دولليس» باختطاف موسوليني واحضاره إلى سويسرا سالما.

ولما كانت مهمة هذا الفريق محفوفة بالمخاطر فضلاً عن أن معظمهم قد لا يريد النجاة لموسوليني بل لا يريد تسليمه إلى الأمريكان فقد أخذا هذا البعض يناقش «دولليس» قبل التوجه إلى هذه المهمة الصعبة والتي لوتمت لرفعت من معنوية موسوليني ولسوف يفلت هو وأسرته وأعوانه من العقاب.

ولقد صح ظن هذا البعض حينما قال لهم «دولليس» إن موسوليني لم يكن اسمه مدرجالدينا في قائمة مجرمو الحرب «أعني نحن الأمريكان فقط» ولهذا فإننا نريده حياً.

وأضاف دولليس من خلال إجابته على تساؤلات البعض من الفريق المذكور:

اني لا أخفي عليكم بأن موسوليني قد يقدم إلى المحكمة الأمريكية مع أعوانه الذين يقعوا تحت أيدينا ولكن لا داع لقتله واعتقد أن هذا أفضل لموسوليني من وقوعه في قبضة الإيطاليين فهل فهمتم الآن؟.

كان الوقت مساءاً تقريباً عندما وصل الدكتور «ايميليو» إلى منطقة كومو حيث كان موسوليني وأعوانه وزوجته وهناك انهال على الفريق وابل من الرصاص مما يدل على أن كومو قد أصبحت تحت سيطرة رجال الجبهة الوطنية وإن الذين تخلفوا عن ركب موسوليني مثل بافوليني مدير الحزب الفاشيستي الذي كان يجمع في فلول كتائب الحزب عندما سافر موسوليني إلى «مينادجو» وكذلك المارشال غرسياني الذي قال أنه يريد أن يقاتل حتى يستسلم للحلفاء قبل الإيطاليين فهؤلاء جميعاً قد صاروا في حكم المحاصرين.

لقد كان بافوليني يحلم بأنه يستطيع أن يجمع حوالي خمسين ألفا مقاتل فاشياً للدفاع عن زعيمه موسوليني داخل حصون فالتالينا المزعومة ولكنه بعد جهود شاقة بين ميلانو وكومو فلم يستطع أن يجمع أكثر من الفين مقاتل ولكنه تسمر حينما قيل له إن موسوليني سافر إلى «مينادجو» دون أن ينتظره لماذا يسافر موسوليني وأنا اجمع له الرجال؟.

هكذا وجه بافوليني سؤاله إلى المارشال غرسياني الذي رد عليه قائلاً:
لا أدري أما أنا فسوف اقاتل حتى مجيء الحلفاء فاستسلم كعسكري فقط.

بيد أن غرسياني قد انتابه الذعر بعد أن رحل سيده موسوليني فاصبح شأنه شأن الكلب الذي رحل أهله فأخذ يعوي من الجوع والفراق ضالاً متشرداً لا يلوي على شيء فالتفت إلى بافوليني بعد أن كان يمقته قائلاً له أين يمكننا يا سيد بافوليني أن نتحصل على مطعم نتناول فيه لقمة فقد مزقني الجوع والخوف.

لقد كان غرسياني منذ لحظات يتظاهر بـالشجاعـة العسكريـة ويدعى بـأنه سيقـاتل إلى أن يسلم نفسـه للحلفاء ولكن سرعـان ما انهارت عـزيمته المزيفة بعد أن طرق إلى سمعه صوت الرصاص وعرف أن المقاومـة الشعبية الإيطالية صارت تسيطر على كومو وقد تقبض عليه وتفتك به قبل أن تصـل قوات الحلفاء فصار يتوسل إلى يافوليني كي يرشده إلى مطعم ليسكت وخـز الجوع قبل أن تسكت انفاسه.

وقبل أن يجيبه بافوليني أخذ أفراد تلك الشرذمة الذين جمعهم بافوليني للذود عن الزعيم الهارب وفالتالينا يتفرقـَون ويتسربون كـل إلى سبيل حـاله ضـاربين بصراخ بـافوليني وتهـديده لهم عـرض الحائط ومـا هي إلا دقـائق معدودة حتى اختفى الألفين مقاتل عن الانـظار فصار بـافوليني يشتم هؤلاء الذين قال عنهم خونة وجبناء.

ودخل بافوليني يتبعه غرسياني إلى مبنى متصرفية كومـو يجران خلفهـما أذيـال الهزيمـة وخيبة الأمـل حتى في رجالهـما الذين تفـرطوا كـالعقد الـذي تناثرت حباته يرتعشان من الخوف والجوع وفجأة دخل عليهـما خمسة رجـال من الفريق الأمريكي الذي جاء لإنقاذ موسـوليني فكاد بـافوليني وغـرسياني يقعان على الأرض نتيجة الفزع الذي دمر نفسيهما لـولا أن المدعـو «ديسي» وهو قائد هؤلاء الخمسة رجال شاهـد الخوف عـلى وجه بـافوليني وغـرسياني فقـال لهـما لا داع للخـوف نحن من المخـابـرات الأمـريكيـة جئنـا لإنقـاذ موسوليني أين هو؟.

وهناك سألهم غـرسياني قـائلاً من أنتم؟ هـل لديكم مـا يثبت؟ فقال ديسي نعم لدينا مكتوباً ولكن أين موسوليني؟.

فقال غرسياني ألم تسيطر لجنة التحرير على كومو بعد؟.

قال ديسي ـ نعم موجودة الآن ولكننا لم نقـل لهم على مهمتنـا السرية رغم أننا أصدقاء.

فقـال بـافـوليني ـ إن مـوسـوليني رحـل إلى «مينـادجـو» هـو وبعض الزملاء.

«ديسي» حسنا سنكمل حديثنا غداً ولعلمكم أننا مكلفون بإنقاذ موسوليني ومعه إثنين آخرين فقط أما بقية الفاشيست فعليهم تدبير أمرهم بأنفسهم ثم غادر الخمسة رجال المتصرفية.

وفي حوالي الساعة الثامنة من صباح يوم 27/ابريل/1945 انطلقت من كومو سيارة على متنها خمسة رجال متجهة إلى «مينادجو» حيث يوجد موسوليني هناك وهؤلاء الرجال هم النقيب «ديسي» من المخابرات الأمريكية وملازم من الشرطة الإيطالية وثلاثة رجال من ضباط الفاشيست.

ولقد لحقت بهم سيارة أخرى كان على متنها كل من «فاني تيدوراني» فاشيستي - «بينو روموالدي» فاشيستي «فرانكو كولومبو» الفاشي المتشدد وهو الذي أعطا الأمر للألمان باطلاق النار على الخمسة عشر رجلا في ميدان لورتيو يوم 14/اغسطس/1944.

كان الخمسة رجال الأوائل يريدون تهريب موسوليني إلى سويسرا كما هو متفق عليه مع «الين دولليس» وأما الرجال اللاحقون في السيارة الثانية فانهم يريدون الذهاب إلى فالتالينا إذا لم يتمكنوا من الهرب مع زعيمهم إلى سويسرا.

ولكن تبخرت احلامهم فكانت سراباً إذ اعترضت طريق السيارتين مجموعة من رجال المقاومة الشعبية بالبنادق والرشاشات وما أن توقفت السيارتان حتى ضرب حولهما طوقاً من الرجال المسلحين وترجل الذين كانوا بداخلهما بعد أن صرخ فيهم قائد المجموعة قائلاً بشدة: اخرجوا جميعاً - فكان أول من وصل الأرض المدعو «ديسي» رافعاً ذراعيه على رأسه قائلاً: أنا من المخابرات الأمريكية «صديق».

ولكن «ديسي» لم يستطع إسماع صوته إلى رئيس الفرقة الفدائية التي اعتقلتهم المدعو «جوفاني» الذي صوب فوهة مسدسه إلى فم «فرانكو لولومبو» قائلاً له إذن.. أنت كولومبو المجرم القاتل؟ ثم صرخ جوفاني في رفاقه قائلاً هذا هو الرجل الذي قتل الخمسة عشر شاباً إيطالياً في ميدان لوريتو بميلانو.

وبسرعة البرق تحرك رجال الفرقة الفدائية يدفعون المعتقلين بافواه البنادق ليجعلوهم صفاً واحداً ملتصقين بوجوههم على الجدار رافعين أيديهم إلى الأعلى استعداداً لرشهم بالرصاص وهناك صرخ «ديسي» مرة أخرى بأعلى صوته قائلاً أيها الرئيس أنا من مخابرات الحلفاء وها هي أوراقي افحصوها قبل أن ترتكبوا أية حماقة ـ ثم جثم على ركبتيه أما رئيس الفرقة وأوراقه بيده. وفعل مثله حتى الشرطي الذي قال لرئيس الفرقة أرجوك يا سيدي أنا رجل شرطي أنفذ الأوامر ولكنني لست فاشيستيا ومن ثم فقد أمر رئيس الفرقةالرجلين بالخروج من صف المجرمين.

وما هي إلا ثوان حتى أمطر الرصاص ظهور المعتقلين فغربلتها على الجدار ونال جسد كولومبو السفاح أكبر قسط من الغربلة.

وفي ذات الوقت كان متصرف ميلانو «ريكاردو لومباردي» بمكتبه يهنىء العقيد «مالجيري» مدير عام الجمارك الذي انضم إلى المقاومة الشعبية ثم استطاع بقليل من عساكره أن يصفي بقية الأفراد الفاشيستيين الذين كانوا يحاولون الدفاع من مقر الحزب الفاشيستي في ميلانو.

وفيما كانا الرجلين يصافحان بعضهما على هذا الانتصار وإذا بجندي جمركي يحييهما ويقول موجهاً حديثه لرئيسه: لقد علمنا الآن من مصادر موثوقة بأنه تم القبض على موسوليني الآن.

«نهر موسو»
«في 27 / ابريل / 1945»

جلس موسوليني في مصفحة ألمانية عسكرية ومن حوله أعوانه المقربين يدخنون بكثرة حتى اختنقت انفاس الزعيم الذي لا يدخن وكانت بجانبه اكلاريتا بيتاتشي وعلى رأسها خودة عسكرية تجفف بمنديلها حبيبات العرق التي أخذت تلمع فوق جبينها.

ولقد كانت مقلتي الزعيم الدكتاتور محمومة لا ترتكز نظراتها على شيء معين وكان واجما لا يتحدث إلا مع نفسه في داخله الذي دمرته الأحداث التي صارت تسبق مخططاته فلم يستطع التحكم فيها. وكان مع موسوليني علاوة على أعوانه وعشيقته قائد تلك القافلة الألمانية التي تلقت أمراً من المخابرات الألمانية بالعمل على محاولة تهريب موسوليني ومن في معيته إلى ألمانيا عن طريق فالتالينا بدلاً من سويسرا كما سبق الاتفاق مع «دولليس» رجل المخابرات الأمريكية.

قال رئيس القافلة الألمانية التي تتألف من ثلاث مصفحات هل تعلم أيها الزعيم أن الكتائب الفاشستية التي جمعها بافوليني في كومو تفرقت كلها وذهب كل فرد منها إلى سبيل حاله؟ وازداد الدكتاتور عبوساً وكآبة فكاد أن يبكي لولا أن قال له الضابط الألماني نحن لدينا أمراً بتهريبك ومن معك إلى ألمانيا إذا لم يعترض سبيلنا أحداً.

وتحركت تلك القافلة الصغيرة من مينادجو تحمل موسوليني وزمرته تسلك طريقاً على ضفاف نهر «موسو» قاصدة «فالتالينا» ومن ثم عبور الحدود الإيطالية الألمانية إلى عاصمة الرايخ «برلين».

ولكن ما إن ابتعدت القافلة حوالي سبعة عشر كيلومتراً حتى انهال على اطاراتها المطاطية وابل من الرصاص جعلها تهبط أرضاً متسمرة في اماكنها.

كان الطقس الجوي متقلباً تارة يسكب رخات خفيفة من المطر وتارة أخرى يجود قليلاً بطلوع الشمس من بين مقاطع السحاب المتراكم وما إن انفجرت إطارات المركبات المصفحة الثلاث حتى أحاطها رجال المقاومة الشعبية الإيطالية التابعين للجبهة الوطنية بالرشاشات والقنابل اليدوية.

لم تكن تلك الفرقة الإيطالية المقاتلة التي اوقفت القافلة الألمانية بالرصاص الذي عرف طريقه إلى الاطارات كثيرة العدد، ولكن هناك الآلاف الآخرون الذين أخذوا مواقعهم الاستراتيجية خلف الجبال على امتداد النهر الذي تتكور فوقه السحب. وفتح موسوليني باب نافذة المصفحة الصغيرة وألقى نظرة على الخارج فوقع بصره على الضابط الألماني رئيس القافلة يتحدث على انفراد مع أحد رجال المقاومة الشعبية ذو الشنب والدقن الكثيفين وهو الكونت «فيورنتينو» الذي يقود الكتيبة المقاتلة التي تراقب الحدود الإيطالية مع ألمانيا وسويسرا وترابط فوق الجبال.

وكان القائد الألماني قد ترجل من المصفحة التي تقل موسوليني وزمرته وراح يطلب الاذن بالسماح لتلك القافلة بالخروج من إيطاليا لتعود إلى وطنها ألمانيا كما هو متفق عليه مع الجبهة الوطنية.

وبعد أخذ وعطاء بين قائد المقاومة وقائد القافلة الألماني دام مدة طويلة وموسوليني محاصراً في تلك المصفحة ينتظر ما قد يقرره له قدره التعيس جاء إليه الضابطان الألمانيان المعروفان «بيرزر واكنيست» اللذين اشتركا في تلك المفاوضات الوقتية على ضفة النهر حيث فتحا باب المصفحة

وقال احدهما للزعيم أيها الـزعيم ـ إن جهبة المقـاومة الشعبيـة الإيطاليـة لا تسمح بعبور الحدود إلا للألمان فقط. وما إن سمع موسـوليني هذه العبـارة حتى ارتعدت فرائسه وهو يحاول الهبوط من المصفحة قائلاً انقذوني يا رجال وكانت اكلاريتا تمسك بتلابيبه لا تريد أن تفارقه فقال «اكنيست» إذا ترغب أيها الزعيم في الذهاب معنا بمفردك فعليك أن ترتدي هذه الملابس الألمانية حتى لا يعرفك الإيطاليون.

ولبس موسوليني بالطو ألماني طويل ونظارة سـوداء تحتها نـظارة أخرى طبية وخودة ألمانية عليها علامات ألمانية وأخذه اكنيست من ذراعه واركبه في شاحنة منحتها لهم فرقـة المقاومـة ليواصلو رحلتهم إلى قـرية «دونغـو» ومن هناك يلتحقون بالقافلة الألمانية التي سمح لها رسمياً بالخـروج من الأراضي الإيطالية بسلام بعد المفاوضات مع الجبهة الوطنية.

ومن هنا فقد ابلغت لجنـة التحريـر الضابط الألمـاني المكلف بترحيـل الألمان بوجوب الفحص الدقيق لكل الوثائق والأشخاص لأنهم يشكـون في أن هنـاك بعض الشخصيات الإيـطالية التي تنتحـل الشخصيـات الألمـانيـة منـدسة في الشـاحنات يـرجى اعتقال كـل من يشتبه في أمـره حتى يستلمـه الإيطاليون.

وهناك في ميدان «دونغو» نزل مـوسوليني مـع اكنيست وركبا شـاحنة ألمانية باعتبار أن موسوليني هو الآن أحد الضباط الألمان العائدين إلى وطنهم ألمانيا ولكن قائد فرقة المقـاومة الإيـطالية التي فـرقعت اطارات المصفحـات الألمـانية كـان قد أبلغ لجنـة تحـريـر إيـطاليـا العليـا في ميـلانـو عن طـريق الـلاسلكي بأنـه قد شـاهد أشخـاص في احدى المصفحـات الألمانيـة يشتبه بانهم ليسو ألمان بل ربما من الشخصيات الفاشيستية الكبيرة.

وهكذا صعد الضابط الألماني «بيل» بنفسه لفحص الأشخـاص حيث وقف وجها لوجه مع بنيتـو موسـوليني منتحلاً شخصيــة ألمانيـة فاعتقله عـلى الفور وقيده بالحديد تحت الحراسة المسلحة إلى أن يسلمه للإيطاليين.

أما في ميلانو وبقية البلدان الإيطالية الأخرى فلم يعد أحد يتحدث بصوت منخفض كما كان في السابق أبان سطوة الفاشية والنازية وكان في مكتب المتصرف بميلانو عدة عناصر من قيادات المقاومة ولجانها الفرعية يتابعون أخبار اعتقال موسوليني ومكانه بالتحديد حيث تولى عملية التابعة العقيد «مالجيري» وفجأة وقف أمامه رجل ذو وجه نحيف خط الزمن على جبينه خطوطه التجاعدية هو العقيد «فاليريو أوديسيو» ذو الكلام والافعال الغامضة.

قال فاليوريو إذن أنت العقيد «مالجيري» الذي قلت أن موسوليني قد تم اعتقاله؟.

مالجيري ـ نعم هو أنا.

فاليريو ـ ذلك الرجل الذي يحمل رتبة عقيد في الحزب الشيوعي والذي شاهد مذبحة ميدان لوريتو في 14/اغسطس/1944 ولم يستطع أن يفعل شيئاً آنذاك ها هو الآن يصدر أوامره للعقيد مالجيري بناء على تعليمات من الجبهة الوطنية حيث قال اسمع يا عقيد مالجيري نحن لا نريد أن يقع موسوليني في قبضة الحلفاء بل نريده حياً وإذا لم نستطع ذلك فإنه يجب أن يموت قبل أن يهربه الألمان أو الحلفاء اسمعت هذا أمر وأنت المسئول الآن عن تنفيذه باعتبارك المسئول عن متابعة أخباره.

مالجيري ـ هذه مسئولية صعبة يا صاحبي لا سيما وأنني ما زلت لم أعرف بالتحديد من الجهة التي اعتقلته فاليريو ـ تصرف وابلغني أولاً بأول.

وفي مساء نفس اليوم أقام الحلفاء خاصة «الانجلو أمريكي» الدنيا واقعدوها بعد أن علموا من خلال عملاءهم المنتشرين في إيطاليا إن موسوليني قد تم اعتقاله ولكن الجهة مجهولة لأن الألمان الذين اعتقلوه وضعوه في مكان سري جداً حتى يتم تسليمه للإيطاليين مقابل السماح لهم بالخروج من إيطاليا بسلام. ومن ناحية أخرى فإن الألمان أنفسهم قد لا يرغبون في تسليم موسوليني إلى أعداءهم الحلفاء وبالتالي سيفقدون تأشيرة

الخروج على قيد الحياة لأن رجال المقاومة الشعبية أصبحوا يسيطرون على جميع المنافذ المؤدية إلى ألمانيا وسويسرا وغيرها يفتشون كل الذين يعبرون الحدود المشتركة.

اتصل مركز قيادة الحلفاء باللجنة المركزية لتحرير إيطاليا وبعدة قيادات إيطالية وألمانية أخرى بقصد الاستفسار عن مصير موسوليني عدة مرات متكررة ولقد حاول الحلفاء بالتهديد وبالاغراء كي يكون موسوليني تحت أيديهم خلال ساعات معدودة ضاربين الاتفاقات المبرمة بينهم وبين الجبهة الوطنية عرض الحائط تلك الاتفاقات التي وقعها الجنرال «الكسندر» «والين دولليس» والتي تقول يترك تقرير مصير موسوليني للإيطاليين وحدهم.

ولكن بالرغم من التهديد تارة والاغراء بمنافع سياسية تارة أخرى فلم يجد الحلفاء من يفيدهم أو يستجيب لنداءاتهم الهيستيرية سواء من الإيطاليين أو الألمان الذين احتفظوا بالزعيم موسوليني كرهينة لديهم حتى يتم رحيل آخر جندي من إيطاليا ثم يسلمونه للإيطاليين حسب الاتفاق.

ولقد بلغت سخافة الحلفاء «الأنجلو أمريكي» حد البلاهة حيث أبرقوا نداء إلى لجنة تحرير إيطاليا يقولوا في برقيتهم:

إلى لجنة تحرير إيطاليا المركزية إذا تعذر عليكم ارسال موسوليني والمارشال غرسياني إلى قيادة الحلفاء العامة فإننا على استعداد لنرسل لكم طائراتنا المروحية لتهبط في المكان الذي تشيرون إليه لنقل هؤلاء على الفور فهل من يستجيب؟.

ولكن لا أحد يجيب.

ولقد كرروا هذه البرقية في إذاعاتهم عدة مرات ولكن كل الأبواب كانت مغلقة في وجوههم.

وعند الساعة الحادية عشر مساء أرسل الضابط الألماني الذي اعتقل موسوليني إشارة سرية إلى لجنة التحرير المركزية يقول فيها أرجو أن ترسلوا من يستلم زعيمكم حالاً من «دونغو» وكان حاضراً ساعة وصول هذه

الشفرة كل من «ساندرو بيرتيني» «ايميليو سيريين» «لويدجي لونغو» «فاليريو أوديسيو» وكلهم يمثلون اليسار وهم قادة الجبهة الوطنية ورؤساء الأحزاب العاملة وأعضاء لجنة التحرير المكزية ومؤسسوا حركة الكفاح والعصيان المسلح ضد الفاشية والنازية.

وفي نفس اللحظة قرر المجتمعون تعيين العقيد «فاليريو» قائداً عاماً للشرطة والمخابرات الإيطالية في حكومة إيطاليا الجديدة وفي تلك اللحظة أيضاً برزت مذبحة ميدان لوريتو أمام بصر فاليريو مثل الكابوس الثقيل وبدون نقاش قال بيرتيني والآن من يتولى احضار موسوليني وقتله هنا في ميدان لوريتو؟.

قال قائل منهم ليذهب النقيب المناضل «بيترا» ولكن بيترا اعترض وقال إن قائد الشرطة الجديد هو أحق مني بهذا العمل مشيراً إلى فاليريو وأردف بيترا قائلاً: لا سيما وأن قائد الشرطة الجديد قد شاهد بعينيه مأساة ميدان لوريتو عندها رفع بيرتيني سبابته اليمنى وقال حقاً أنت يا فاليريو تتولى هذه المهمة.

فاليريو ـ بدون تردد نعم سأتولى أنا هذا الأمر..

وقبل منتصف الليل بقليل وقبل أن يذهب فاليريو إلى «ديونغو» ومعه فرقة الإعدام التي اختارها بنفسه من كل الأحزاب العاملة في الجبهة بعث أعضاء لجنة التحرير المركزية ببرقية إلى قيادة الحلفاء قالوا لهم فيها أرجو أن لا تهتموا بأمر موسوليني فهو الآن تحت أيدينا يواجه محكمة شعبية هي التي تقرر مصيره.

لجنة التحرير المكزية:

وفي صباح يوم. 27/ابريل/1945 قام الملازم أول «داداريو» رجل المخابرات الأمريكية الذي أرسله «دولليس» إلى ميلانو على رأس فرقة لاختطاف موسوليني وتهريبه إلى سويسرا قام هذا الملازم ورفاقه باعتقال المارشال «رود ولفو غرسياني» وقاده إلى مكتب متصرف ميلانو حيث كان متواجداً كل من الجنرال «كادورنا» المناهض للفاشية والمتصرف الجديد وماجيري.

وجه «داداريو» سؤاله إلى الجنرال «كادورنا» قائلاً هل من أخبار على موسوليني؟ .

كادورنا ـ لا أعلم شيئاً وفي تلك اللحظة سمع الحاضرون أصوات اطلاق الرصاص فاطلوا برؤسهم مع النوافذ فإذا بهم يشاهدون فرقة من المقاومة الإيطالية تطلق الرصاص على بقايا الجنود الألمان الذين لم يسرعوا في مغادرة ميلانو فاردوهم قتلى جميعهم .

كان فاليريو مناضلاً معروفاً بين الجميع باسمه الحقيقي «فاليريو اوديسيو» بالرغم من أنه كان ينتحل إسماً مزوراً هو «جوفان بتيستا دي شيساري» ولذلك فقد سافر إلى «دونغو» دون أن يعرقله أحد وما إن أبرز وثيقة تعريفه إلى الضابط الألماني الذي قبض على موسوليني حتى أمر هذا الأخير بفتح باب السجن السري الذي وجد فاليريو نفسه فيه وجهاً لوجه مع «الدوتشي» أي الزعيم موسوليني بشحمه ولحمه .

ومن جانب آخر بعد ذهاب موسوليني مع الضابط الألماني متخفياً وبعد القبض عليه في دونغو علم الكونت «بيلليني» الذي فجر بفرقته اطارات المدرعات وأبلغ لجنة التحرير عن اشتباهه في بعض الشخصيات الإيطالية داخل المدرعات الألمانية علم بأن الذين بداخل المدرعات الألمانية المعطبة هم أعوان موسوليني وعشيقته «اكلاريتا بيتاتشي» فقام باعتقالهم وارسلهم إلى «دونغو» حيث موسوليني هناك .

ودخل فاليريو فوجد موسوليني يكتب في آخر فصول حياته فصرخ فيه فاليريو قائلاً انهض أيها اللعين فإنك لا تستحق أن يعاملوك هنا بمثل هذه المعاملة ثم التفت إلى الحراس قائلاً لهم من الذي اعطاه القلم والقرطاس ألا تعرفوا من هذا؟ .

فقال الجميع كلا لا نعرف ولكنه طلب منا قلما وقرطاسا فاعطيناه .

فقال فاليريو ـ هذا هو موسوليني وعشيقته اكلاريتا الفاجرة .

فذهل الجميع لأنهم كانوا حقاً لا يعرفون موسوليني وقال الضابط

الألماني الذي دخل على أثر صراخ فاليريو نعم يا عقيد فاليريو أنا الذي وضعت هؤلاء الحراس عن عمد لأنهم لا يعرفون من هو السجين وهذا ما أريده حتى لا يقتحم أحد هذا السجن وقد يهربه ويعرضنا للمشاكل معكم.

فاليريو ـ معك حق أرجو المعذرة.

وضع فاليريو الحديد في معصمي موسوليني وجميع رفاقه وخرج بهم تحت ستار ضباب الفجر والحراسة المشددة وبعد ساعات كان السجين وحراسه داخل مبنى متصرفية ميلانو حيث كان هناك الجنرال كادورنا ورجل المخابرات الأمريكية «داداريو» وسجينه غرسياني.

وما أن دخل فاليريو ومعه موسوليني مكبل بالاصفاد حتى صرخ موسوليني قائلاً أريد أن تسلموني حياً للحلفاء ولكن سرعان ما دفعه الحراس مع عشيقته وأعوانه إلى غرفة خاصة اعدت لهذا الغرض وقبل أن يدخل موسوليني إلى سجنه طلب مترجياً فاليريو بأن يمنحه قلماً وقرطاساً فاستجاب فاليريو إلى طلبه وفك وثاقه وجلس يكمل بقية فصول حياته ثم سلمها إلى الجنرال كادورنا.

ربما كانت المرة الأولى والأخيرة التي يجتمع فيها موسوليني مع اكلاريتا تحت سقف واحد منذ عدة أشهر حيث أخذا يتجاذبان اطراف الحديث في محاولة من موسوليني أن يسري على قلب العشيقة التعيسة التي أخذت تنصت إلى حديثه ودموعها تنهمر بغزارة اما بقية أعوان الزعيم فقد كانوا كالاصنام لا يتكملون ولا يكتبون حتى لقد قال لهم موسوليني سوف أدون في مذكراتي هذه مواقف كل واحد منكم.

كانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة بعد الظهيرة في يوم/28/ابريل/1945 عندما طرق اثنان من الحراس باب السجن ثم فتحاه ودخل فاليريو كأنه في عجلة من أمره يرافقه «الدولا مبريدي» وهو زعيماً مرموقاً في الحزب الشيوعي ولكنه لم يقل شيئاً بل فاليريو هو الذي قال

انهض يا موسوليني بسرعة هي تحرك.

كانت السماء ممطرة قليلاً وإنما السيارة التي انطلقت من مبنى متصرفية ميلانو تحمل على متنها موسوليني واكلاريتا أولاً إلى ميدان لوريتو لم تستغرق خمس دقائق لتتوقف بعدها إلى جانب أحد الجدران بميدان «لوريتو» كانت كلاريتا ملتصقة بجانب موسوليني مكبلان معاً بالأصفاد ترتعد من رأسها إلى أخمس أقدامها وعويلها مسموع أما موسوليني فقد كان صامتاً واجماً ووجهه شاحباً ينظر إلى الأمام فقط والحراس من أفراد المقاومة المدنية يجلسون حتى على رفارف السيارة ومقدمتها وخلفها مدججين بالسلاح.

وهناك في «ميدان لوريتو» توقفت السيارة إلى جانب صور احدى الفلل فقال فاليريو : «هنا المكان الذي كنت أراه دائماً أمامي كالشبح» وانزل موسوليني ورفيقته اكلاريتا بيتاتشي فأوقفا على الجدار حيث قال فاليريو لفرقة الإعدام استعدوا أيها الرجال فما هي إلا لحظات حتى كان الجميع مصوب سلاحه إلى ظهر موسوليني واكلاريتا وقال فاليريو باسم الشعب حكم عليك يا موسوليني وعشيقتك بالإعدام رمياً بالرصاص من الخلف.

وسرعان ما غربل رصاص الرشاشات ظهورهما وصرخت اكلاريتا صرخة مدوية أخيرة ممزوجة بصوت الرصاص وسقطت جثتيهما بدون حراك وسقطت معهما ممارسات الظلم والطغيان وقال فاليريو فلتبقا هذه الجثث «الجيف» أربع وعشرون ساعة هنا.

وتجمع أهل ميلانو بعد انتشار هذا الحدث التاريخي «إعدام موسوليني وعشيقته في ميدان لوريتو» ولم يغب أحد من الشعب الذي أخذ بعضه يبصق على الجيف وبعضه يرجمهما بالحجارة والبعض يحاول جرهما من الأرجل وهكذا فقد طويت صفحة الظلم والفساد إلى الأبد وفي اليوم التالي جيء ببقية أعوان موسوليني ولاقوا نفس المصير أما غرسياني فقد استلمه الحلفاء وحكم عليه بالسجن حتى مات داخل زنزانة بعد أن أصيب

بـالجنون وأمـا راكيلي زوجـة موسـوليني وأولاده فلم يمسهم أحـد بسـوء لأن الذنب كله كان ذنب موسوليني وأعوانه الذين نالوا جزاءً عادلاً.

ولعل الذين حضروا وما زالوا عـلى قيد الحيـاة يتذكـرون ذلك اليـوم المشهود.

«التعــريفــات الشخصيــة والانشطــة السياسية»

«بنيتو موسوليني»

ولــد بنيتــو مــوســوليني ببلدة «دوفيــا» حي بــريــدابيــو في يــوم 29/يوليو/عام 1883 ميلاديـة من أب يدعى اليســاندرو مـوسوليني مهنتـه حداد ثم ترك الحدادة وفتح (مقصفاً) ومن أم تدعى «روسا مالتـوني» تعمل مدرسة في الابتدائي.

والده كان اشتراكياً وقد اشترك في ثلاثة انقلابات خارج إيطاليا.

أما موسوليني فقد نشأ مشاغباً وقد طرد من المدارس العـامة أكـثر من مرة ولكنه كان بالرغم من هذا نـاجحاً في المـادة الأدبية وبعـد 18 سنة من التعليم تحصل على شهادة دبلوم أدبي فصار مـدرساً في الإبتـدائي انضم إلى الحزب الإشتراكي ثم هـاجر إلى سـويسرا وانضم إلى الأنشطة العـمالية حتى انتخب رئيساً لنقابة البنائين ثم استدعى للتجنيد ولكنه رفض فحكم عليـه بالحبس لمدة عام واحد.

وبعـد الإفراج عنـه اشـترك في تحـريـر عـدة مجـلات إشـتراكيـة وفي عـام/1909 انتخب سكرتيـراً لاتحاد نقـابات العــمال في بلدة «اترينتـو» ثم رئيساً لتحرير مجلة اسبوعية اسمها «الشعبي».

كان موسوليني متقلب المزاج بدليل أنه كان من ضمن زعماء المنظمات

الـذين يعارضـون احتلال «ليبيـا» في عـام 1911 وفي عـام 1912 انتخب موسوليني رئيساً للبرلمان في مقاطعة «ريدجو اميليـا» وقد كـان كاتبـاً صحفياً بـارعاً الأمـر الذي أعـطاه الشهرة والمقـدرة حتى إنه أصـدر صحيفة بـاسم «التقدم» ناطقة باسم الإشتراكية ثم تطوع في الحرب العالمية الأولى وأصيب بجراح.

ثم مضى موسوليني يشق طريقه بالعمال والشعـارات البراقـة حتى لقد اطلق عليه اسم «الدوتشي» أي «الزعيم».

وفي 23/مـارس/1919 أسس مـوسـوليني حـزبـه الفـاشيستي وفي الانتخابات البرلمانية نال حزبه 25 مقعداً ومن ثم أخذ موسوليني يتـطلع إلى الإستلاء على السلطة بالكامل وفي شهر اكتوبر عام 1922 زحف موسوليني بحجافل حزبه المتصـاعد عـلى روما واغتصب السلطة عنـوة فأصبـح رئيساً للوزراء ثم ابتلع حزبه إيطاليا كلها فصار من أشد المتشوقـين لضم ليبيا إلى حكومته ثم الحبشة وقبلها الصومال ثم أخيراً أعلن عن قيام دولـة إشتراكيـة فاشيستية بناء على توجهات هتلر ثم انتهى به المطاف إلى ميدان لوريتو.

«راكيلي جويدي»

ولـدت راكيلي جـويدي عـام 1890 ببلدة «سـالتـو» من أب يـدعى اغستينو جويدي وأم تدعى «ان لومباردي» انتقل أهلها إلى حي «بريدابيـو» وفي المدرسة تعرف راكيلي على موسوليني التي كانت أمه هي مدرستها.

نشأت العلاقة بين موسوليني وراكيلي عام 1909 وتزوجا عام 1915 بعد أن حملت راكيلي بانها فيتوريو بالحرام.

لم تلعب راكيلي أي دور سياسي مؤثر ولهذا لم يصبها ما أصاب زوجها وعشيقته.

«اكلاريتا بيتاتشي»

ولدت اكلاريتا بيتاتشي عام 1912 في «فينيزيا» من أب طبيب يدعى

فرنشيسكو بيتاتشي وأم تدعى جوسيبينا.

تعرفت اكلاريتا على موسوليني عام 1932 وكانت مخطوبة لشاب ضابطاً في السلاح الجوي وقد نشأت علاقة غرامية بينها وبين الزعيم الذي كانت تصادفه في نادي الطيران ثم تزوجت اكلاريتا من خطيبها ولكنها بعثت برسالة إلى موسوليني تقول له فيها «أحبك منذ أن كنت طفلة صغيرة» وقد قام موسوليني باغتصابها من زوجها في عام 1936 وصارت تشارك الزعيم الدكتاتور حياته الترفيهية والسياسية إلى أن انتهت معه في «ميدان لوريتو».

«العقيد/فاليريو اوديسيو»

ولد فاليريو في الاسكندرية عام 1909 نال بعد دراسته شهادة «مهندس مساح» اكتتب في الحزب الشيوعي السري بعد عودته إلى إيطاليا وقد قبض عليه وتم نفيه إلى «بونزا» وفي عام 1943 عاد إلى إيطاليا سراً وانضم إلى جبهة المقاومة الوطنية الإيطالية وعين ضابطاً للاتصال ثم تدرج إلى رتبة عقيد في الحزب الشيوعي ورئيساً للحزب في نفس الوقت وقبل إعدام موسوليني عينته الحكومة الجديدة عن طريق لجنة التحرير قائداً عاماً للشرطة والمخابرات الإيطالية ومنفذاً لحكم الإعدام في موسوليني وزمرته.

«لويدجي لونغو»

ولد لونغو في قرية «فوبيني» بإيطاليا عام 1900م اشترك في الحرب العالمية الأولى كقائد لفرقة مدنية متطوعة.

وعندما زحف موسوليني على روما كان لونغو في موسكو لحضور المؤتمر العام للحزب الشيوعي كمراقب وبعد عودته أسس في عام 1928 الحزب الشيوعي الإيطالي المناهض للفاشيست ثم اشترك لونغو في الحرب الأهلية الإسبانية.

وعند نشوب الحرب العالمية الثانية شكل ولنغو فرقة مقاتلة تحت اسم

«غـاربالـدي» وانضـم بها إلى الجبهـة الوطنيـة الإيـطاليـة في الجبـال لمقـاتلة الفاشيست والنازيون في إيطاليـا وقد استـطاع لونغـو أن يطفىء الفتنـة التي حـاول الجنرال الكسنـدر قائـد قوات الحلفـاء اشعالها بين قـادة الأحـزاب الإيطالية التي انبثقت عنها الجبهة الوطنية.

وفي عـام 1964 انتخب لـونغـو أمينـاً عـامـاً للحـزب الشيـوعي في إيطاليا.

«فيروتشي باري»

ولد باري في «بينيرولا» بإيطاليا عام 1890م كان عسكريا في القوات المسلحة حتى تاريخ زحف موسوليني على روما.

وفي عام 1927 نظم مع بيرتيني الحركة المناوئة للفاشيست تحت اسم «العدل والحرية» ثم أسس الجبهة الوطنية لمقاومة الفـاشية والنـازية في عـام 1942 فأصبح أميناً عاماً للجبهة.

وبعد انتهاء الحرب مباشرة انتخب عضواً في البرلمان مدى الحيـاة وقد تـزعم الجناح اليسـاري الحر ثم انتخب أكـثر من مـرة رئيسـاً للجمهـوريـة الإيطالية.

«الين دولليس»

ولد دولليس في «نيويورك» عام 1893 أمريكي الأصل والجنسية مكث في السلك الـدبلوماسي 23 عـاماً كـان خلال هـذه الأعوام مصـدراً للفتنـة والانقـلابات في الخـارج ومديـراً عامـاً للمخابـرات الأمريكيـة وفي الحرب العالمية الثانية كان دولليس هو الناطق الرسمي باسم حكومته ومقر إقامته في سويسرا.

قاد الين دولليس الحملة ضـد كوبـا التي تعرف بـاسم حملة «خليج الخنازير» لاسقاط حكومة فيديل كاسترا ولكنه فشل وتم القبض على فلول

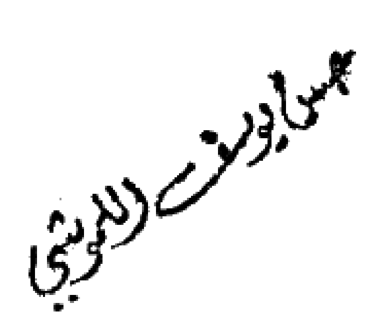
المهاجمين وتمكن بعضهم من الهرب وعلى أثر هذا الفشل والهزيمة عزل دولليس من كافة مناصبه.

ولقد كان الين دولليس من أشد الأعداء للإشتراكية والشيوعية بل وللإنسانية كلها.

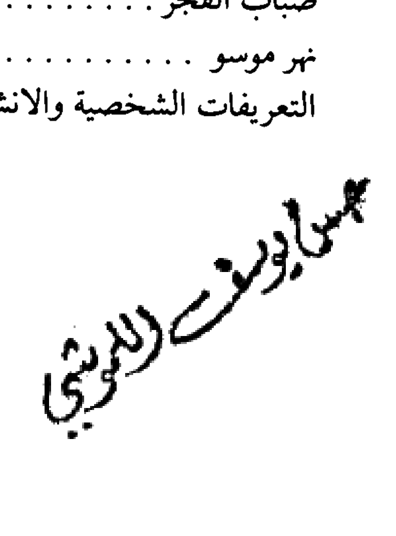
«رفائلي كادورنا»

هو ابن الجنرال «كادورنا لويدجي» ولد رفائلي كادورنا في قرية «بالانزا» الإيطالية عام 1889.

شارك في الحرب الإيطالية التركية - ثم ترقى في عام 1937 - إلى رتبة جنرال ومسئولا عن حماية العاصمة الإيطالية «روما» وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية صار كادورنا يكره الفاشيست والألمان بدرجة دفعته إلى الانضمام بجيشه وأسلحته إلى الجبهة الوطنية الإيطالية التي تلاحمت وأسقطت موسوليني وحزبه الأسود وفي عام 1948 انتخب الجنرال كادورنا عضواً برلمانياً عن الحزب الديمقراطي المسيحي وأخيراً اعتزل كادورنا السياسة وذهب إلى قريته «بالانزا» يعيش حياته المدنية الخاصة بعد أن لعب دوراً كبيراً كان مسبباً في تقوية الجبهة الوطنية وانتصارها على موسوليني وزمرته الباغية.



الفهرس



الغرض من هذه الترجمة هو تسليط الاضواء على حياة هذا المخلوق المستبد وعلاقته بالعذاب والخسائر البشرية والمادية التي أصابت الليبيين نتيجة لسلوكه الشرير الذي كان شعبنا أول ضحاياه.

هذا الطاغية (بنيتو موسوليني) الذي حاول ابادة الشعب الليبي نهائياً بحشره في معتقلات جماعية ومعاملات وحشية هذا الطاغية ظهر في أيامه الأخيرة على حقيقته الممسوخة الحقيرة فإذا به جبان تافه في حكمه وتفكيره تافه في ثقافته خائن لوطنه وزوجته جعله انفصام شخصيته يتآمر أحياناً مع النازية ضد شعبه ويتآمر مع الحلفاء ضد الألمان ولكنه ها قد تحطم حزبه وعمره دفعة واحدة فكان مصيره كأي كلب مسعور يموت وهو يعوي حيث طلب موسوليني الرحمة والانقاذ من مصيره الذي يشبه قميصه الأسود حتى من الفاتيكان ولكنه لم يجد هذا الدكتاتور المجنون من يرحمه وينقذه من العقاب الرادع على أيدي شعبه الذي تجرع هو الآخر مرارة حكم الفاشيست . . .

حسن يوسف الدويشي





الثمن

2500 درهم

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراتة - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى